وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة المدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان:

السردية والعجائبية في أدب الرحلة

"تحفة الألباب ونخبة الإعجاب"

لـ: الغرناطي ـ أنموذجا ـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص أدب حديث ومعاصر

من إعداد:
بسيبسة فتيحة
طرفاوي أسماء

إشراف الأستاذ:
عبابسي ميلود

السنة الجامعية: 2021/2020م

شكر و تقديـــر

نتقدم بجزيل الشكر وخالص التقدير لأستاذنا الفاضل

الأستاذ عبابسي ميلود

على ما قدمه من توجيه وإرشاد ومتابعة طوال إعدادنا للبحث.

فقد كان مثال المشرف والموجه ولم يسأم من توجيهنا وإرشادنا

ونشكره على سعة صدره

جعل الله ذلك في ميزان حسناته، وجزاه عنا خير الجزاء

© Ladie Lynn

إهـــــــــــــــــــداء

إلى ينبوع الحنان الذي لا ينضب أمي الغالية.

والى نبع العطاء الذي زرع في نفسي الطموح والدي العزيز ,

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي إخوتي وأخواتي.

خاصة الفراشة الصغيرة " أية ".

إلى صديقاتي ورفيقاتي.

اهدي هذا العمل المتواضع.

إهـــــــــــــــداء

إلى من كانوا يضيئون لي الطريق ويساندونني أمي وأبي حفظهما الله ورعاهما.

إلى إخوتي خاصة أختي "حنان".

إلى كل أفراد عائلتي.

إلى صديقاتي.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل ثمرة جهدي .

مقدمـــــــة

المقدمة:

لقد شغف العالم في العصور القديمة بالحكاية، وبالخارق والمعجز والعجائبي الذي يغالط الواقع، وعلى السبيل المثال كان النص "الألفليلي" ومازال محور اهتمام عدد كبير من الدارسين والباحثين في العالم العربي وغيره، وليس هذا قاصرا في تراثنا العربي على نص ألف ليلة وليلة فحسب، إذ إن معظم النصوص السردية العربية تمتاز بأنها نصوص مفتوحة ثرية، تدعوا قارئها إلى الإسهام في إنتاجها والإضافة إلى دلالتها، حيث تتعدد مغامراتها القصصية، وتتنوع وحداتها السردية بشكل دائري لا نهائي، ففيها من قصص الجن والعفاريت والخيالي والعجائبي، قدر ما فيها من الواقعي والحقيقي والمعيش، وكثيرا ما نجد عنصر العجيب والغريب يطغى على رواية الرحّالة ولاسيما الذين تجولوا في الأصقاع البعيدة، حيث يمتزج فيها الحقيقي بالخيالي ويصعب الفصل بينهما.

إن أدب الرحلة في التراث العربي، كنز من المعارف يحفل بالثروات التي تنتظر الكشف عنها، ومعرض يضم أعمالا سطر صفاحتها رجال مخلصون، هيأهم الله كي يقتحموا المجهول، فوهبوا أعمارهم ونور عيونهم لهذه المهام التاريخية التي مكنت من حفر اسم العروبة والإسلام بين أهم بناة الحضارة الإنسانية .

إن مطالعة نماذج الرحلة العربية يجعلنا نتأكد أن هذه الآداب ليست فقط دلالة على قدرة القاص العربي وإبداعه، ولكنها دون شك تحمل معلومات قيمة، عن أحوال الأرض والناس في تلك الأزمنة، حيث رسموا ملامحها الجغرافية والإنسانية والاقتصادية والثقافية والدينية والمعمارية، وخدموا العلم كما خدموا الفتوحات الإسلامية خدمات جليلة، وحفزوا الخيال وأعانوا الحكام، وفتحوا أمام طلاب العلم والمعرفة آفاقا رحبة ونوافذ جديدة.

تتجلى أهمية الرحلة وأدبها في التراث العربي لا في تأصيل الفن القصصي فحسب، ولكن في إسهاماتها في مجالات عدّة منها: الأدب والجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع والاقتصاد...الخ، حيث تعدّ كدليل مرشد للباحثين فيها.

وإذ نعرض في هذا البحث لموضوع السردية والعجائبية في أدب الرحلة، فمن أجل البحث عن مواطن السرد العجائبي فيها، مع تبيان مدى توفيق الرحّالة في المزج بين تقنيتي السرد والوصف العجائبي، من خلال نقل انطباعات الناس ونظراتهم، ونقل عادات الشعوب التي زاروها، لأنها أحد أهم العناصر الأنتروبولوجية التي يتعين على أن تلفت أنظار الرحّالة، وتثري كتاباتهم التي كانت في الغالب نتاجا للتلاحم الجدلي بين الخيال والواقع الذي خاضوا دروبه.

لكن إشكالية اشتغال العجائبي في أدب الرحلة اليوم، تحيلنا إلى نصوص مهمة وكثيرة، غير أن العجيب كتقنية في النص الرحّلي ارتبط بالرحالة أبي حامد الغرناطي حيث يعدّ مؤسس المدرسة العجائبية العربية، وهذا ما جعلنا نختار رحلة " تحفة الألباب ونخبة الأعجاب " كمدونة لهذه الدراسة الموسومة بـ" السردية والعجائبية في أدب الرحلة " وقد اعتمدنا في ذلك على نسختين من التحفة، الأولى حققها إسماعيل العربي، كنسخة رئيسية قام عليها التحليل التطبيقي، والثانية حررها وقدم لها قاسم وهب، كنسخة ثانوية من أجل الاستفادة من معلومات التقديم والتحقيق.

وقد دفعنا لاختيار هذا الموضوع ومادته ، العديد من المسوغات الذاتية والعلمية، أما الدوافع الذاتية فمنها:

ـ الميل الخاص نحو القص العجائبي، ذلك العالم السحري، المليء بالخيال والمغامرات الغريبة.

ـ كما أن أدب الرحلة كموضوع قائم بذاته، طالما أثار اهتمامنا واستهوانا، وقد زاد في دواعي اختيارنا له اطلاعنا من قبل على بعض النماذج كرحلة ابن بطوطة، وابن جابر.

ـ رغبتنا في دراسة جزء من هذا التراث العربي، للكشف عن قوانينه الشكلية وموضوعاته ومضامينه وفقا لمناهج الدراسات السردية الحديثة، مع مقارنتها بآليات بناء هذه النصوص، وذلك للكشف عن آليات الاتفاق والاختلاف.

أما الدوافع العلمية، فهي كالآتي:

ـ عدم وجود دراسة مستفيضة في أدب الرحلة اليوم، تجمع بين السردية والعجائبية بالتصنيف والبحث في وظائفه الجمالية والاجتماعية، تسمح بتبلور قراءة جديدة لهذه المتون، وفهمها بشكل مختلف.

ـ حاجتنا إلى الاقتراب من هذه الثروات العلمية والأدبية، وتعريضها للدرس والتحليل وتسليط الضوء على محتوياتها، وتأكيد انتساب أصحابها إلى الأمة العربية والإسلامية والتأكيد على أهمية الرحلة.

ـ غناء كتب الرحالة بمادة ثرية ومثيرة للدهشة، فضلا عن احتوائها على معلومات انتروجغرافية عن سكان كافة الأقطار التي زاروها، بالإضافة إلى دور هذا الأدب الجغرافي في خدمة الإسلام، واللّغة العربية، وتنشيط الفكر والخيال وحفز الهمم على السفر والتجارة ونقل المعارف والعلوم.

وانطلاقا مما سبق، نستطيع أن نطرح إشكالية البحث الرئيسية كالآتي:

كيف يشتغل السرد العجائبي داخل نصوص أدب الرحلة؟

وهذا الإشكال يفتح عدّة نوافذ تتيح لنا طرح إشكالات فرعية منها:

ـ ما هي خصائص السرد العجائبي؟

ـ ما هي أهم مميزات الرحلة ـ باعتبارها خطابا أدبيا ـ عن بقية الخطابات الأخرى؟

ـ ما هي الخصائص الفنية التي تتميز بها رحلة الغرناطي؟ وكيف تجلى العجائبي فيها؟

ـ هل يعد التعجيب تقنية أدبية واضحة المعالم؟ ام إنه صنف جمالي له وظائف محددة داخل النصوص السردية؟

وعلى هذا الأساس، فقد سطرنا خطة منهجية حاولنا من خلالها، الاستثمار الفعال لهذا المكون السردي، تقوم على مقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة، والتي رسمناها كالآتي:

ـ **المدخل:** تعرضنا فيه إلى الرحلة عند العرب.

ـ **الفصل الأول:** وهو عبارة عن الجزء الأول من الدراسة النظرية، وكان حول السرد العجائبي، حيث كانت البداية في تحديد مفهوم مصطلح السرد لغة واصطلاحا، ثم تحديد المفهوم الأدبي له، من خلال التعرف عن كثب على التصور "القزويني" والتصور "التودوروفي"، ثم التطرق إلى السرد العجائبي.

ـ **الفصل الثاني:** اهتممنا فيه بالعجائبية في أدب الرحلة، حيث كانت البداية مع أدب الرحلة مفهوما وتجنيسا، ثم انتقلنا لأهمية الرحلة ووظائفها، ومن ثم الوقوف على مواطن العجائبي في أدب الرحلة.

ـ **الفصل الثالث:** وهو الفصل الأخير الذي قصرناه على رحلة الغرناطي الموسومة بـ" تحفة الألباب ونخبة الأعجاب " وذلك من اجل البحث عن مواطن السرد العجائبي فيها.

وباعتبار الرحلة نصا ذا طابع سردي، فقد قسمنا الدراسة التطبيقية إلى قسمين:

أولا_ الرحلة كحكاية بما تتضمنه من أحداث ومعلومات، تستدعي الوقوف على: مسار الرحلة وقيمتها العلمية والتاريخية، بالإضافة إلى أثرها في مؤلفات أخرى.

ثانيا_ الرحلة كخطاب بما يحمله من بنية سردية، تلفها الكثير من المواصفات العجائبية تحتاج إلى تحليل سردي وعجائبي.

وانتهى البحث بخاتمة كانت محصّلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها، ثم ملحقين يتضمن الأول تعريفا موجزا بصاحب الرحلة، ويمثل الملحق الثاني مدونة البحث، وهما (قصّتان) من الرحلة وقع اختيارنا عليهما نظرا لتوفرهما على المواصفات السردية والعجائبية، تحمل القصة الأولى عنوان "مسجد عفان" والثانية عنوانها "قبر علي رضي الله عنه".

أما المنهج الذي اعتمدناه في بحثنا، فهو المنهج الوصفي التحليلي باعتبار الموضوع متعدد الجوانب إذ يجمع بين العجائبي كنمط تعبيري له خصوصياته، وبين أدب الرحلة كفن قائم بذاته، ومن هنا فإن المنهج الواحد غير قادر على الاضطلاع بكل هذه التفاصيل، فمثلا الحديث عن الرحلة و الرحالة، يقتضي منهجا تاريخيا، على أساس أنه الأجدر بالإحاطة بالمؤثرات والسياقات الخارجية المحيطة بالنص، وأيضا التحليل السردي اقتضى الوقوف على آليات المنهج البنوي.

وفي خوضنا لغمار البحث تزودنا بمجموعة من المصادر و المراجع التي كانت عونا لنا، ولعل أهمها:

_ أدب الرحلة في التراث العربي، لـ "قنديل فؤاد".

_ أدب الرحلات. لـ "حسين محمد فهيم"

_ مدخل إلى الأدب العجائبي لـ "تزفيتان تودوروف".

بالإضافة إلى العديد من الدراسات منها:

_ بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد. رسالة ماجستير.

_ روباش جميلة. أدب الرحلة في المغرب العربي. أطروحة دكتوراه.

ـ بن جامع سميرة. العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة. رسالة ماجستير.

ـ عطية فاطمة الزهراء. العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي. ومنامات الوهراني. أطروحة دكتوراه.

ـ الهروط بلال سالم. صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية. أطروحة دكتوراه.

واجهتنا في هذا البحث ـ كغيره ـ بعض الصعوبات:

صعوبة الإلمام بالموضوع لتشعبه وتعدد جوانبه، إضافة الى ضيق الوقت الذي لم يتح لنا التوغل الجيد في مخيال الرحلة، خاصة وأن الأمر يتعلق بنص ذي تمركز حضاري وعقائدي واجتماعي. بالإضافة إلى العوائق المنهجية والمعرفية، التي تعزى إلى فقرنا المعرفي بخصوص الحضارة الإسلامية، في ما يعرف بالقرون الوسطى عند الغرب*، وقلة خبرتنا.

وفي الأخير لا يسعنا الا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف: ميلود عبابسي الذي كان لنا عونا وسندا في إتمام بحثنا، والى كل من شجّعنا على المضي في طريق العلم والمعرفة،

والله من وراء القصد.

* : بين القرن الثالث حتى الثامن هجري. (القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر ميلادي).

المدخـــــل

مدخل:

إن الرحلة البشرية قديمة قدم الإنسان نفسه فقد " خلق الله الإنسان محباً للحركة والتنقل، وأمده بالعقل الذي يدعوه لذلك، والجسم القوي الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر، بحثا في ـ البداية ـ عن طعامه وشرابه، هربا من القوى المعادية، وقد بدت له عاتية مخيفة، سواء كانت طبيعية من برق ورعد وعواصف أو فيضانات أو كانت حيوانات ضخمة (...) فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب الجسدي والنفسي للإنسان، وقد هيأه الله لها وجعلها إمكانية ضرورية لحياته، تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق من أجلها، وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى." [1]

فالتنقل والسفر فطرة في الإنسان " فقد خلق ومعه غريزة حب الاستطلاع والترحال، واكتشاف ما يحيط به من أسرار، قصد التعرف والتحكم في الوسط الذي يعيش فيه، ومن ثمة تعلوه روح الفضول التي تجاوز البقعة التي ألفها وعاش فيها إلى بقعة أخرى، لتجديد حياته وللبحث عن متطلباته وإكمال نقائصه، والتعرف على أناس جدد ومحيط يوفر له الراحة والرفاهية، فحياة الإنسان رحلة منذ نشأة البشرية ورثها عن أبيه آدم عليه السلام عندما حطّ هو الآخر قدميه على سطح الأرض، وانتشر فيها باحثا مستطلعاً ما حوله، مدوناً بذلك أول رحلة في الحياة الآدمية."[2]

وبما أن الرحلة والسفر والتنقل ديدن الإنسان منذ كان، فإن التنقل للعربي المقيم بالبادية والصحراء أسلوب حياة، وذلك بحكم طبيعة البيئة والحياة التي ترتبط بالماء والكلأ، فضلا عن حركته الدائبة للرعي والتجارة والصيد، وبذلك أصبح السفر لدى العربي معلما من معالم حياته، وجزءًا رئيسا في نشاطه الديني والعلمي والسياسي.

---

[1] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. الدار العربية للكتاب. القاهرة. ط1 و2. يوليو2002 م. ص17.

[2] – حسني محمود. أدب الرحلة عند العرب. رحلات أمين الريحاني نموذجا. الوكالة العربية للنشر والتوزيع. 1995 م. ص1.

شُغف الرجل العربي منذ القدم بالرحلة التي فرضتها أحيانا ظروف العيش، وأحيانا أخرى روح المغامرة والفضول الذي يدفعه لكشف آفاق مجهولة سمع عنها وتاق إليها، فشد أشرعة السفر ليمتد بأنظاره إلى أقاليم بعيدة، ولما جاء الإسلام فتح الأرض من الهند والصين إلى المحيط الأطلسي وجبال البرانس، ومن التركستان وجبال القوقاز إلى السودان، وأصبح كل ذلك عالما واحدا مشتركا في الدين والثقافة.

" كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة مع العراق والشام واليمن، وإن لم تدون أخبارها الرحلات تدوينا خاصا شاملا لها أو جامعا، اللّهم إلاّ ما ورد متناثرا في القصائد وكتب اللغة، وعن هذه الرحلات يذكر القرآن رحلات قريش الشهيرة."[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ قريش: ١ - ٢

" وتشير كتب المؤرخين إلى أن العرب منذ ما قبل الإسلام كانت لهم تجارة نشطة، سافروا لها خارج أوطانهم براً وبحراً، وقد اشتهروا في شرق الجزيرة حتى الهند وما وراءها، بدليل ما ورد في بعض المصادر من أن الإسكندر الأكبر فكّر في غزو الجزيرة العربية، وأنه ارتأى أن يتم ذلك عن طريق موانيها على الخليج العربي الرئيسية التي مونت العربي بالثراء، وبذلك يقطع عليهم هذه الموارد، كما أراد أن يقضي على سيادة العرب على الخطوط التجارية والبرية والبحرية، ويحدّ من الارتفاع الهائل الذي وصلت إليه أسعار البضائع الثمينة التي كانت تأتي من الشرق إلى أسواق مصر أو الشام محمولة على سفن عربية أو على ظهور جمال القوافل ومن هناك تنتقل إلى أوروبا."[2]

وقد حفظ لنا الشعر العربي بعض ملامح تلك الفترة المزدهرة فنجد " ذلك العصر الذي تدّل عليه بقوة وتركيز قصيدة عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلي، خاصة هذا البيت حيث يقول:

---

[1] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص 26.25.

[2] – جواد علي. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم. بيروت. لبنان. ج8. دط. 1970م. ص76.

ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا وظهر البحر نملؤه سفينا."[1]

وهذه الرحلات مهما بلغت من الحيويّة والازدهار، فلا مجال لمقارنتها بالرحلة العربية بعد الإسلام، لأن العالم المعمور آنذاك اتخذ شكلا آخر وانتقل إلى عصر جديد."عندما ظهر الإسلام وأطلّ على الجزيرة العربية نوره، كان القرآن الكريم معجزة الإسلام الكبيرة، وكلمة الله إلى البشر كآفة، داعيا في مواضع عديدة إلى السفر والترحال والضرب في الأرض، نذكر من ذلك قوله سبحانه: [2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنعام: ١١

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ الملك: ١٥

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾

يوسف: ١٠٩

وهكذا " توجه الله عزّوجل بدعوات صريحة إلى المسلمين للسعي في الأرض، والسير في البرّ والبحر، وركوب الفلك وخوض البحار، والانتفاع بها تجارةً وصيداً، وقد كانت الدعوات تشجيعًا لهم على تحمل مشاق السفر انتفاعاً ـ في البداية ـ بالخيرات ثم بعد ذلك تدريبا على حمل الرسالة ونشر الدّعوة، ولن تبلغ الرسالة كآفة الخلق، إلاّ بالسفر وقطع المسافات والطّواف بالأمصار شرقاً وغرباً."[3] بل وجعل السفر عبادة له حيث" كانت أخر أسس الإسلام الخمسة هي حجّ البيت لمن استطاع إليه سبيلاَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

الحج: ٢٧

---

[1] – ينظر: فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص27.

[2] – المرجع نفسه. ص29.

[3] _ المرجع نفسه. ص30.

فالحجّ إذا فريضة على كل مسلم استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يكتمل إسلام المرء دون الحجّ وقد أقدم المسلمون على تلبية هذه الدعوة الكريمة بكل حماس، ينفقون في سبيلها كل مرتخص وغالٍ، وقبل أن يحين موسم الحجّ بشهور تتحرك القلوب منطلقة إلى البيت الحرام، ثم يركب الحجّيج الدّروب الطويلة في اتجاه مكة والمدينة، وشجعت الدّعوة الإسلامية على طلب العلم وحرّضت عليه، وقدّرت العلماء فجعلتهم ورثة الأنبياء، ودعا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الناس إلى طلب العلم، فأقبل الرجال والنساء على طلب العلم أينما كان، ثقة وإيمانًا بأن من يرد الله به خير يفقهه في الدّين، وقد طلبوا العلم في الدّين وغيره."[1] ومثال على ذلك " أورد المقري في نفح الطيب، أسماء 280 شخصا من الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق في طلب العلم وحده، وليس لغرض التجارة أو الحجّ، معترفا رغما من ذلك أنه لم يستوعب كل الأسماء، وقد أصبح من عادة طالبي العلم أن يسيحوا في البلاد للقاء الشيوخ ومجالسة العلماء والإطلاع على الكتب.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : { من خرج من بيته في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع } رواه الترمذي.

وفي حديث آخر: { من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة } رواه مسلم.[2]

وفي أيام الإسلام الأولى لم تكن هناك الكثير من الرحلات حيث كانت " في زمن الرسول محدودة، لأنهم كانوا في شغل بالرسالة وإرساء قواعدها وتثبيت أقدامها في الجزيرة العربية أولا، ومع ذلك يمكن اعتبار الهجرة الأولى التي قام بها نفر من الصحابة إلى الحبشة على رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه رحلة، وكذلك الهجرة الثانية، وهي الهجرة الكبرى التي خرج بها الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه، من مكة

[1]– فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص31.

[2] – المرجع نفسه. ص 33.

إلى المدينة، حماية للدّين الجديد ودعمًا له، فإنّها تعدّ رحلة أيضاً(...) وتقول بعض المصادر أن أهم الرحلات التي تمت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اثنتان: واحدة تنسب إلى تميم الداري وهو صحابي، والثانية قام بها عبادة بن الصامت، ويتحدث تميم عن رحلة له ببحر الشام حيث قذفت به عاصفة هو وصحبه إلى جزيرة مهجورة، رأوا فيها رأي العين المسيح الدجال."[1]

ولكن الرحلات في عهد الخلفاء الراشدين تعددت وتنوعت، "وبعد أن توطدت أعمدة الدين الوليد في شبه الجزيرة، سعى الخلفاء الراشدون إلى إهدائه للعالم كافة قطرًا بعد قطر، فتقدم والى الشام ومصر والعراق وفارس ثم شمال إفريقيا غربا، وأعقب ذلك التوجه شرقا إلى ما وراء النهر والهند والصين وتلا ذالك الأندلس وبلاد الروس وآسيا الصغرى."[2]

وقد ساهم الرحّالة في الفتوحات الإسلامية وكان لهم دور بارز، حيث" كانت الرحّلة ورجالها هي البطل الأول في التمهيد لهذه الفتوحات، وما كانت الجيوش الإسلامية قادرة على طي القفار وصعود الجبال وعبور الأنهار لدخول الأقطار والأمصار إلّا بفضل الرحّالة والتجار والملّاحين وهواة الأسفار، وكان للعرب في ذالك ذخيرة طويلة، أسهمت كثيرا في تسهيل مهمة الانطلاق براية الإسلام إلى كل أنحاء العالم."[3]

وأيا ما كان الأمر فإنه لا محالة في أن " رجال الرحلة الذين سافروا وجاسوا في البلاد واجتازوا المسافات، هم الذين مهدوا للتوسع الإسلامي، كي يعرف طريقه في يسر، حتى ليتحدث عدد من المستشرقين بغير قليل من الدّهشة عن تقدم الفتوحات الإسلامية خلال قرن واحد، لتشكل اكبر إمبراطورية عرفها التاريخ، الأمر الذي يؤكد الخبرة البرية والبحرية والجغرافية للعرب، وغيرهم من الشعوب المجاورة التي أسلمت، وقد كان منهم الأدّلة

[1]– فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص33.

[2]– المرجع نفسه. ص33.

[3]– المرجع نفسه. ص34.

والمرشدون، وعندما بلغت الجيوش العربية بلاد السند في أواخر القرن الأول الهجري، وجدوا طوائف كثيرة من الهنود تقرأ وتكتب العربية."[1]

ومما سبق نتبين أنّ" دور الرحّلة كان سابقا على الفتح, ودارت الأيام ليعود دورها من جديد فيصبح تاليا للفتح، فقد تطلب التوسع توالي إرسال الرّسل وموظفي الإدارة والعلماء والفقهاء ومسؤولي الشؤون المالية وعمال البريد والخراج، لذالك كان لابد من أن يواصل رجال الرحلة مهمتهم التاريخية والجغرافية المهمة، فعملوا على اكتشاف البلدان الجديدة وما يتبعها من عمران، وما يقتضي ذالك من معرفة المسالك المفضية إلى المدن والأقاليم، وكانت تلك الرحّلات أساس علم الجغرافيا العربية."[2]

إذن الرحّلات" هي التي مهدت مسارح عمليات التوسع الإسلامي، وفي المقابل أتاحت الفتوحات الإسلامية وسائل السفر في إمبراطوريتهم المترامية الأطراف بأمان وسلام، وقد أقام الولّاة وأهل الخير محطات على الطرق بعد كل مسافة، كما أقاموا الرّباطات والمضايق والحراسات، وكان الرحّالة يتحرك وهو القادم من تونس مثلا إلى الشام وإيران والى خراسان، وكأنه يجوس خلال وطنه، وقد يلقى الترحيب أكثر مما يلقاه في بلده."[3]

إذن نستنتج أنّ" الرحّلة مصدر ثري تستقي منه مختلف العلوم، باعتبارها شريط تسجيلي وثائقي حقيقي، فالرحّالة وهو يجوب الأرض, يسجل ملاحظاته لمختلف مظاهر الحياة التي يشاهدها أو يسمع عنها وينقلها في رحلته، ولا شكّ أن الرحّالين يختلفون في ملاحظاتهم وتصويرهم للأماكن والمشاهد كما يختلفون في تصديقهم وأمانتهم في نقل مشاهداتهم وأخبارهم."[4] وتحتوي كتب الرحّالة على مادة علمية غزيرة حيث" يتطرق الرحّالة

[1] - فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص34.

[2] – ينظر: فؤاد قنديل.المرجع نفسه. ص35.

[3] – ينظر: المرجع نفسه. ص36.

[4] – ينظر: منصور نعيمة. جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة. إشراف: عبد القادر سكران. مذكرة مقدمة لشهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.جامعة السانيا. وهران. الجزائر.ص9.

في رحلته إلى عرض كل جوانب الحياة، من عادات وتقاليد وغرائب شاهدها، وهي تعتبر مادّة دّسمة وثمينة لكل مؤرخ وجغرافي وعالم الاقتصاد والاجتماع ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فهذا التنوع في الهوية الثقافية والاجتماعية للرحّالة المؤلف, ما بين أديب ومؤرخ وجغرافي وسائح وسفير وغيرها من الصفات التي تطبع هويته، وبالتالي تطبع النص الرحلي وهذا ما جعل أدب الرحلة يستحوذ على مكانة مميزة، ومختلفة عن بقية الأنواع الأدبية الأخرى."[1]

[1] – ينظر: منصور نعيمة. جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة. مرجع سابق. ص.10

الفصل الأول:

السرد العجائبـــي

الفصل الأول: السرد العجائبي.

أولا: السرد.

توطئة: قبل الحديث عن هذا الفن لابد من الظفر بشيء من تاريخ ومصادر اشتقاقه، يقول رولان بارت:" إن السرد يوجد في كل الأمكنة وفي كل الأزمنة، يبدأ السرد مع التاريخ فلكلّ الطبقات والتجمعات الإنسانية سارداتها، وقد يسعى أناس من ثقافات وبيئات مختلفة لتذوق السردات."[1]

فالسرد جذوره جذور التاريخ مع أول قصة في الكون ـ بدأ الخلق ـ وخلق آدم ورؤية الشيطان له وتلاعبه به، وأمر الله له بالسجود ورفضه للأمر... بنية سردية زمان ومكان وحوار.

"يبدأ هذا الفن مع ظهور المدرسة الشّكلانية أو بالأخص مع الشّكلانيين الروس. وبالتحديد فلاديمير بروب (1928-1968) في علمه الموسوم بمرفولوجيا الخرافة الذي حلّل فيه تراكيب القصص إلى أجزاء ووظائف."[2] وقد اجتهدت هذه المدرسة وقدّمت العديد من المفاهيم، التي صاغها روادها في شكل بداية أولية للسرد" لكن عدّ مفهوم أو مصطلح علم السرد طفلا للبنيوية الفرنسية، وحفيدا للشّكلية الروسية والتشكيلية."[3] وقد حاول الشّكلانيون الوصول إلى ما سموه بمصطلح الأدبية، من خلال البحث في الخصائص التي تجعل من الأدب أدبا بالفعل، وقد دفعهم هذا الاهتمام إلى إهمال كل الدوافع التي أدّت بالنص للظهور، كحياة الأديب والظروف الاجتماعية و الاقتصادية..." وليس معنى هذا أن الشّكلانيين كانوا

---

[1]– علم المعاني. القصة القصيرة المعاصرة. في الخليج العربي. مؤسسة العربي. بيروت. ط1. 2010م. ص36.

[2]– يان مانفريد. علم السرد. مدخل إلى نظرية السرد. تر: أماني أبو رحمة. ط1. دار نينوى. دمشق. سوريا. 2011م. ص7.

[3]– جيينز بروكمير ودونال كربو. السرد والهوية. دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة. تر: عبد المقصود عبد الكريم. المركز القومي للترجمة. القاهرة. عدد 2303. ط1 2015م. ص12.

يعتبرون البحث في هذه الجوانب الخارجية عن الأدب لا صلة لها البتّة بالأدب ولكنهم فقط اعتبروا البحث في هذا الميدان بعيدا عن اختصاصهم كنقاد للأدب."[1]

لقد اعتمد الإنسان في حياته الأولى على السرد، بطريقة مباشرة في الإخبار لأحداث وقعت، ومع تطوره تطورت معه آليات هذا السرد، حتى غدا المجال الأكثر استقطابا للدارسات والدارسين تنظيرا وممارسةً، وللتعرف إليه أكثر، ارتأينا أن نقدم بعض الجوانب النظرية، بالقدر الذي يعين على تحديد المفاهيم والأدوات التي ستعول عليها الدراسة في تحليل المدونة ـ من الجانب العجائبي ـ تحليلا سيؤدي في نهاية المطاف إلى فك تشابكات النص السردي العجائبي.

1_ السرد لغة:

. في المعاجم اللّغوية القديمة:

قبل التطرق لكلمة السرد في المعاجم اللغوية القديمة يحسن بنا الإشارة إلى أن لفظة السرد وردت في القرآن الكريم في:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ سبأ: ١١

فسر ابن الكثير الآية " لا تدق المسمار فيقلقل في الحلقة، ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر، وقال الحكم بن عيينة: لا تغلظه فيقصم ولا تدقه فيقلقل، وهكذا روي عن قتادة وغير واحد، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: السرد هو الحلق الحديد، وقال بعضهم يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق."[2]

[1] – حميد الحمداني. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.ط1. 1991.ص11.

[2] – ابن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد اسلامه. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. ط2. ج6. 1999م. ص498.

فالسرد" تقدمة الشيء إلى شيء، تأتي به متسقا بعضه إثر بعض متتابعا، وقيل سرد الحديث ونحوه، يسرده سردا إذا تابعه، وكان جيد السياق له."[1]

كما نجد "في صفة كلامه صلى الله عليه وسلم، لم يكن يسرد الحديث سردا أي يتابعه يستعجل فيه، وسرد القرآن تابع قراءته في حذر منه، والسرد المتتابع، وسرد فلان الصوم إذ ولاه وتابعه، ومنه الحديث: كان يسرد الصوم سردا، وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أين أسرد الصيام في السفر، فقال: إن شئت فافطر، وقيل لأعرابي أتعرف الأشهر الحرام؟ فقال: نعم، واحد فرد وثلاثة سرد."[2] أي ثلاثة شهور متتابعة وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم، وواحد فرد وهو رجب، كما أن السرد" هو اسم لجودة سياق الحديث."[3]

هذا ما دار حوله التعريف اللّغوي لمادة سرد في المعاجم تقريبا بين التتابع والتواصل والإيصال وهي حركة زمنية بين أجزاء التواصل، نسج وتداخل الحلق مع جيد السياق المزاحم للتتابع.

. في المعاجم النقّدية الحديثة:

اختلفت الدلالة المعجمية لهذا المصطلح باختلاف المعاجم النقدية الحديثة والمدارس، حيث يعرف جيرالد برنس المصطلح في معجم السرديات بأنه" خطاب يقدم حدثا أو أكثر، ويتم التمييز تقليديا بينه وبين الوصف والتعليق، سوى أنه كثيرا ما يتم دمجهما فيه."[4] ونلاحظ في هذا التعريف أنه يقف عند العلاقة بين كل من الوصف والسرد والخطاب، وهذا ما ذهب إليه جيرار جنيت في قوله: " فكل سرد إلا ويتضمن ـ بنسب متفاوتة جدا ـ من

[1] – ابن منظور. لسان العرب. دار صادر. بيروت. ط4. 2004م. مادة سرد.ص164.

[2] – المصدر نفسه. ص 165.

[3] – الفيروز أبادي. القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة. ط8. 2005م. مادة سرد. ص288.

[4] – جيرالد برنس. قاموس السرديات. تر: السيد امام. ميريث للنشر والمعلومات. القاهرة. ط1. 2003م. ص 122.

جهة أولى عروضا لأفعال وأحداث هي التي تشكل السرد بمعناه الخالص، ويتضمن من جهة ثانية عروضا لأشياء ولشخوص هي نتاج ما ندعوه اليوم وصفا."[1]

ونجد لجيرالد برنس تعريفا أخر في المعجم نفسه ما نصّه:" إنتاج حكاية، سرد مجموعة من المواقف والأحداث..."[2]

وقد تناول النقاد العرب هذا المصطلح، بطريقة لا تختلف كثيرا عن تلك الموجودة في المعاجم الغربية، ومن بين هذه المعاجم، نذكر معجم (دليل الناقد الأدبي) الذي جاء فيها السرد معرفا كما يلي:" دراسة القص واستنباط الأسس التي يقوم عليها، وما يتعلق بذلك من نظم تحكم إنتاجه وتلقيه."[3] وهذا التعريف ينظر للسرد من جوانب مختلفة، كحصر السرد في جانب القص، وتحديد الهدف من دراسته.

ونجد في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، للسعيد علوش، فقد عرّف المصطلح نفسه بكثير من الإيجاز إلى درجة الغموض، في قوله:" إن السرد خطاب غير منجز."[4] كما اعتبر السرد:" خطاب مغلق، حيث يداخل زمن الدّال في تعارض مع الوصف."[5] في هذا التعريف السرد لا يحيل على أي شيء.

وفي الأخير، إن المعاجم النقدية العربية كلها انطلقت من الدّلالة اللّغوية لهذا المصطلح ، وأعادت النظر فيه بطريقة موضوعية علمية مما أتاح لها تطوير القواعد والمفاهيم التي تحكم هذا المصطلح.

---

[1] – جيرار جنيت. حدود السرد. تر: بلعيسى بوحمالة. ضمن كتاب طرائف تحليل السرد. منشورات اتحاد كتاب المغرب. ط1. 1992م. ص 71.

[2] – جيرالد برنس. قاموس السرديات. مرجع سابق. ص122.

[3] – ميجان الرويلي. سعد البازغي. دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2002م. ص147.

[4] – سعيد علوش. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. سوشبريس. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 1985م. ص110.

[5] – المرجع نفسه. ص110.

2_ السرد اصطلاحا:

السرد علم حديث النشأة نسبياً، وهو ربيب الفكر البنيوي، وقد كثرت التعاريف حوله بين ما هو خطاب لفعل منجز أو طريقة في الرواية، وذهب جنيت إلى تعريفه من خلال تمييزه للقصة" أي مجموعة الأحداث المروية من الحكاية، أي الخطاب الشفهي أو المكتوب الذي يرويها، ومن السرد أي الفعل الواقعي أو الخيالي الذي ينتج هذا الخطاب، أي واقعة يسرد روايتها بالذات."[1] كما رأى الشكلانيون أن السرد وسيلة" وسيلة توصيل القصة إلى المستمع أو القارئ، بقيام وسيط بين الشخصيات والمتلقي وهو الراوي."[2]

لقد مهدت أبحاث الشكلانيين الروس لدراسة البنيات السردية، وذلك من خلال دورهم في البحث عن مختلف أنساق الحكي حيث" كان نزوعهم الوضعي من خلال اهتمامهم بالشكل أو الخصائص النوعية للأدب بارزا منذ بداياتهم الأولى."[3]ومن أشهر هؤلاء الباحثين, الباحث الروسي فلاديمير بروب المؤسس الفعلي لعلم السرد، والذي راح يدرسه من زاوية أخرى مغايرة للدراسات السابقة، من خلال عمله الرائد(مورفولوجيا القصة) والذي اهتدى فيه إلى الوظائف، وذلك بعد أن حلّل متنًا حكائيا يتألف من مئة خرافة روسية، وأشار في كتابه أن" هذه الوظائف تتكرر بطريقة مذهلة، ويدعوا إلى مراعاة دلالة كل وظيفة منها, ودورها في السياق الحكائي العام، أن الوظائف المتشابهة قد يكون لها دلالات مختلفة، إذا ما أُدرجت ضمن سياقات متباينة، ولهذا نراه يعرف الوظيفة على الشكل التالي: ونعني بالوظيفة عمل شخص ما، وهو عمل محدد من زاوية دلالته داخل جريان الحبكة."[4]

---

[1] – جيرار جنيت. خطاب الحكاية. تر: محمد معتصم. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط1. 2000م. ص13.

[2] – ايخنباوم بوريس وآخرون. نظرية المنهج الشكلي. نصوص الشكلانيين الروس. الشركة المغربية للناشرين المتحدين. مؤسسة الأبحاث العربية. ط1. 1982م. ص153\ 174.

[3] – سعيد يقطين. تحليل الخطاب الروائي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. ط3. 1997م. ص28.

[4] – فلاديمير بروب. مورفولوجيا القصة. تر: عبد الكريم حسن. شراع للدراسات والنشر والتوزيع. دمشق. ط1. 1996م. ص24.

وقد قدم بروب في دراسته أربع فرضيات يلخصها كما يلي:

" أولا: إن العناصر الثابتة في الحكاية هي الوظائف التي تقوم بها الشخصيات، كيفما كانت هذه الشخصيات، وكيفما كانت الطريقة التي تم بها إنجازها، ولهذا فإن الوظائف هي الأجزاء الأساسية في الحكاية.

ثانيا: إن عدد الوظائف التي تحتوي عليها كل حكاية عجيبة دائما يكون محدودا.

ثالثا: إن تتابع الوظائف متطابق في جميع الحكايات المدروسة.

رابعا: جميع الحكايات تنتمي ـ من حيث بنيتها ـ إلى نمط واحد."[1]

وفي كتاب خطاب الحكاية اعتمد جنيت نظاما سرديا شاملا انطلق منه في التمييز بين أنواع الحكي وضحه كما يلي:

" ـ الحكي بمعنى الملفوظ السردي وهو الخطاب الشفوي أو الخطي، والذي يعتمد أن يخبر حدثا أو سلسلة من الأحداث.

ـ الحكي بمعنى تتابع الأحداث(واقعية أو خيالية).

ـ الحكي بمعنى الحدث الكلامي أو الفعل السردي."[2]

وقد رأى جنيت في هذه الدراسة" أن للعمل السردي ثلاثة أبعاد:

1ـ الحكاية، وهي المدلول أو المضمون السردي.

2ـ الحكي، القصة وهي الدّال أو الملفوظ السردي, أو الخطاب أو النص السردي ذاته.

3ـ السرد، الفعل السردي المنتج."[3]

ومما سبق نستنتج أنه برغم كثرة الدراسات التي تناولت هذا المصطلح إلا أنه ظل مستعصيا على مفهوم محدد، وذلك لتعدد المدارس وتنوع خلفياتها، فكل مدرسة صاغت

---

[1] – فلاديمير بروب. مورفولوجيا القصة. مرجع سابق. ص38\40.

[2] – جيرار جنيت. خطاب الحكاية. مرجع سابق. ص45.

[3] – المرجع نفسه. ص45.

فلسفتها في نظريات مستقلة، الأمر الذي جعل المفاهيم تختلف، كما تعدّدت الاتجاهات في دراسة السرد، فمنهم من اهتم بالمستوى الخطابي اللّغوي في الظاهرة السردية، ومنهم من اتجه إلى الدّلالة التركيبية.

ومن خلال هذه التعريفات نلمح أهمية السرد" في تجديد المنظومة الداخلية للنص الروائي، وكونه أكثر العناصر دلالة التي تكشف عن الأدوات الإجرائية التي يتطرق لها الراوي في المراحل الكتابية للنص الروائي، متجاوزا السطحيات، والمُنقلُ إلى صفة الاندهاش التي يفترض وجودها على ملامح القارئ والمتلقي، والتي بدورها تكشف على الفهم للنص المقدّم أو كشف عن نظرة جديدة"[1] كما أن له العديد من الوظائف" فهو يساعدنا على إدراج تجربتنا الفردية المحدودة في الزمان والمكان، ضمن ذاكرة أوسع أشمل هي ذاكرة الإنسانية جمعاء، من تلك القدرة التي تتوفر عليها والتي تساعدنا على استيعاب عوالم تنتمي إلى ثقافات أخرى لا نعرف عنها في الغالب أي شيء، إن هذا التداخل بين الذاكرتين الفردية والجماعية يطيل من عمرنا، حتى وإن كان ذلك بشكل عكسي، إنه يلوح لنا بوعد الخلود."[2]

[1] – سعيد بنكراد. جولات ايكوالسردية. موقع سعيد بنكراد. 2021/05/09. 16:30 .http://Saidbengrad. Free.Fr

[2] –المرجع نفسه.الموقع نفس.

ثانيا: العجائبي:

1_ العجائبي لغة:

. في المعاجم العربية:

في لسان العرب ابن منظور يقول:" العَجْبُ والعَجَبُ: إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، والنظر إلى الشيء غير مألوف ولا معتاد.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾ الرعد: ٥

الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام، أي هذا موضع عجب، حيث أنكروا البعث."[1]

وجاء في معجم الوسيط:" العجب روعة تأخذ الإنسان، عند استعظام الشيء يقال: هذا أمر عجيب، وهذه قصة عَجَبْ، وعجب عاجب (شديد للمبالغة)"[2]

وعرفه زكريا القزويني بأنه:" حيرة تعترض الإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء أو معرفة كيفية تأثيره."[3]

وقال عنه الجرجاني:" العجب انفعال النفس عما خفي سببه"[4]

وفي معجم مجمل اللّغة لابن فارس نجد:" العجيب والعجاب شيء واحد، وهو الأمر يتعجب منه وأما العُجاب فأكثر منه"[5]

أما في تاج العروس فنجد أن التعجب هو:" حيرة تعرض للإنسان عند سبب جهل الشيء، والذي هو سبب في ذاته، بل هو حالة بحسب الإضافة إلى من يعرف السبب ومن

---

[1] – ابن منظور. لسان العرب. مصدر سابق. مادة عجب.

[2] – مجمع اللغة العربية. المكتبة الإسلامية. تركيا. دت. ص854.

[3] – القزويني محمد زكريا. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. تح: فاروق أسعد. دار الشرق العربي. منشورات دار الأفاق الجديدة. بيروت. ط2. 1977. ص10.

[4] – إبراهيم الأنباري. التعريفات. دار الكتاب العربي. بيروت. ط1. 1405هـ. ص85.

[5] – ابن فارس أبي الحسن أحمد بن زكريا. مجمل اللّغة. تح: زهير عبد المحسن سلطان. مؤسسة الرسالة. ط2. 1996م. ج3. ص651.

لا يعرفه، ولهذا قال قوم: لا شيء عجب."[1] فالإنسان عندما يدهشه شيء ويحار فيه، فذلك لكونه غير معتاد عليه، ولجهله وعجزه عن معرفة السبب، فما إن يعرف السبب حتى تسقط حيرته وتسكن دهشته ويأنس به لكثرة المشاهدة.

يظهر لنا أن المعاجم اللّغوية القديمة، ترى في العجيب الأمر النادر الحدوث، الذي يثير الغرابة والدهشة والحيرة في الناس.

أما فيما يخص المعاجم الحديثة، فقد ورد في قاموس محيط المحيط أن" العجب إنكار ما يرد عليك، واستطرافه وروعته تعتري الإنسان عند استعظام الشيء...والتعجب انفعال نفسي عما خفي سببه."[2]

نلاحظ أن المعاجم الحديثة لم تختلف كثيرا عن المعاجم القديمة في تحديد مفهوم العجيب.

كما نجد لفظة عجيب قد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ هود: ٧٢

في هذا الموضع تتعجب سارة باعتبار ما جدث لها غير مألوف، ومنافي لما تعارف عليه الناس، كيف تلد وهي عجوز؟!

وفي قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾ ق: ٢

وهنا يتعجب الكفار لبعث الرسول صلى الله عليه وسلم منهم وهذا ما أصابهم بالدهشة والحيرة. وقد وردت في العديد من الآيات، في قوله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

الصافات: ١٢

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ النجم: ٥٩

---

[1] – الزبيدي محمد مرتضى بن محمد الحسني. تاج العروس من جواهر القاموس. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. ج2. 2007م. ص207.

[2] – بطرس البستاني. محيط المحيط. مكتبة لبنان. بيروت. نسخة الكترونية بدون دار نشر. ص576.

وفي قوله عزّ وجل: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ ص: ٥

. في المعاجم الغربية:

ورد في قاموس لاروس الصغير مايلي:" العجيب هو الذي يبعد عن ساحة المألوف والعادي للأشياء، أو الذي يظهر فوق طبيعي."[1]أما بالنسبة لقاموس روبار الصغير:" فالعجيب هو الذي لا يفهم طبيعيا وهو عالم ما فوق طبيعي."[2]

في حين نجد القاموس الموسوعي:" أن كل عجيب هو ما يبعد عن ساحة المألوف للأشياء...وأدبيا توجد وسائط فوق طبيعية، مثل الآلهة، الأساطير، الشياطين والملائكة، عالم الجن..."[3]

ولا يخرج معنى العجيب في المعاجم الفرنسية على إحدى الدلالتين:" الأولى: ما يبعد عن مجرى العادي والمألوف للأشياء، فيبدوا معجزا فوق طبيعي، والثانية: تدخل وسائط وأشخاص فوق طبيعي في الآثار الأدبية."[4]

2_ العجائبي اصطلاحا:

لقد اهتم العديد من النقاد العرب بهذا المصطلح، ويعد سعيد يقطين من أبرز المشتغلين في هذا المجال، حيث يرى أن" العجائبي يتحقق على قاعدة الحيرة أو التردد المشترك بين الفاعل(الشخصية) والقارئ حيال ما يتلقيانه إذ عليهما أن يقررا ما إذا كان يتصل بالواقع أم لا كما هو في الوعي المشترك."[5]

---

[1] – سميرة بن جامع. العجائبي في المخيال السردي. في ألف ليلة وليلة . مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. قسم الآداب و اللغة العربية. جامعة الحاج لخضر. باتنة. الجزائر. 2010/2009م .ص16. نقلا عن قاموس لاروس الصغير.

[2] – المرجع نفسه. صفحة نفسها. نقلا عن قاموس روبار الصغير.

[3] – المرجع نفسه. صفحة نفسها. نقلا عن القاموس الموسوعي.

[4] – خامسة علاوي. العجائبية في أدب الرحلات. رحلة ابن فضلان نموذجا. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي. كلية اللغات والآداب. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة منتوري، قسنطينة. الجزائر. 2005م. ص32.

[5] – سعيد يقطين. السرد العربي مفاهيم وتجليات. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 2006م. ص 267.

أما عند الغرب فقد تعددت التعاريف وتنوعت، وقد ذكر "تودوروف" بعض التعريفات لمؤلفين فرنسيين في كتابه "تعريف الأدب العجائبي" نذكر أبرزها:" كاستيكس في "الحكاية العجائبية" حيث يعرف العجائبي بأنه:(يتميز بالإقحام البشري الغامض في إطار الحياة اليومية)، أما "لويس فاكس" في "الفن والأدب العجائبي"، فيقول:(القصص العجائبي يجب أن يقدم لنا أناسا مثلنا، يعيشون معنا في عالمنا الواقعي يوضعون في وضع غير مفهوم) ويصف " روجي كابوا " من خلال كتابه "في صميم العجائبي" فيقول:(إن العجائبي ككل هو قطع للنظام المعروف، وبروز مفاجئ للامعقول)"[1]

ويعد تعريف تودوروف من ابرز هذه التعريفات، حيث يكمن العجائبي عنده في" تفسير التردد والحيرة التي تحصل للشخص، جراء ظاهرة أو حادثة غريبة تتخذ مظهرا يتجاوز الطبيعي، تفسيرا يعتمد على العلل فوق الطبيعية البعيدة عن الواقعي والعقلاني."[2]

ومن جهة أخرى حدد ثلاثة شروط في تحديد تعريف شامل للعجائبي، من الناحية الأدبية:

"**أولا:** لابد أن يحمل النص القارئ على اعتبار عالم الشخصيات كما لو أنهم أشخاص أحياء وعلى التردد بين تفسير طبيعي وتفسير فوق طبيعي للأحداث المروية.

ثانيا: قد يكون هذا التردد محسوسا بالمثل من طرف شخصية، فيكون دور القارئ مفضوضا إليها، ويمكن بذلك لن يكون التردد واحدة من موضوعات الأثر، مما يجعل القارئ ـ في حالة قراءة ساذجة ـ يتماهى مع الشخصية

ثالثا: ضرورة اختيار القارئ لطريقة خاصة في القراءة، من بين عدة أشكال ومستويات، تعبر

[1] – مجول وردة. تجليات العجائبي في السرد الحكائي للحكاية الشعبية. (حكاية وش من خضرة– من واد سوف). إشراف: سامية عقيلة قرورو. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي. جامعة الشهيد حمة لخضر. كلية الآداب واللغات. الوادي. الجزائر. نقلا عن: تزفيتان تودوروف. تعريف الأدب العجائبي. تر: احمد مندور.ص99.

[2] – المرجع نفسه. ص98.

ـ أي الطريقة ـ عن موقف نوعي يقصي التأويلين الأليغوري (المجازي) والشعري (الحرفي أي غير التمثيلي أو المرجعي)."[1]

3_المفهوم الأدبي للعجائبي:

للعجيب حضور في الثقافة الإنسانية بصفة عامة، وفي الثقافة العربية الإسلامية بصفة خاصة، باعتبارها أكثر تداولا ومعايشة لهذا المفهوم والكتابة عنه، حيث نجد العديد من النماذج التراثية ذات الطابع العجائبي، والتي أغرقت قصصها فيه .

لقد ارتبط" العجائبي في الثقافة العربية بأخبار المذكرين وقصصهم، وكذا الروايات والحكايات التي التي كان يرويها القصاص بين أوساط العوام، خصوصا بعد انفتاح الثقافة العربية على نظيرتها الفارسية، التي أفرزت دخول نصوص سمتها الأساس هو الخيال، ككتاب كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة، كما اندست كثير من الاسرائليات ضمن هذه الروايات، وبقيت مصدرا لا ينضب من مصادر اللامعقول العربي، إضافة إلى حضور رواة مشهورين في الثقافة العربية الإسلامية، كان لهم دور بارز في هذا السياق، من بينهم ابن هشام* صاحب السيرة، والجاحظ*، والمسعودي*، وابن خرداذبة*، والشعبي صاحب سير الملوك(...) وتهدف هذه المؤلفات إلى الجمع بين الإفادة والمتعة."[1]

---

[1] – تزفيتان تودوروف. مدخل إلى الأدب العجائبي. تر: الصديق بوعلام. دار الكلام. الرباط. ط1. 1993م. ص19/18.

*: ابن هشام هو أبو محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، كاتب سير ومؤرخ بصري، كما كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب توفي في 218هـ، أهم مؤلفاته: سيرة ابن هشام. ينظر: موقع ويكيبيديا.2021/06/25م 15:05.

*: الجاحظ الكناني: هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة اللّيثي الكناني البصري (255–159هـ) أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها. من أهم أعماله: البيان والتبيين– الحيوان– البخلاء. ينظر موقع ويكيبيديا. 2021/06/25م. 15:15.

*: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (346–283هـ) مؤرخ وجغرافي. من أعماله: مروج الذهب. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/06/25م. 17:30.

وقد كان لتوظيف العجيب أهمية بالغة في الثقافة العربية" فالقصص العجائبية المخترعة، كانت ضرورة ومجالا لتحقيق الإمتاع والمؤانسة، كما كان لها دور سياسي متمثل في تحويل عامة الناس عن القضايا الأساسية للدولة، وكان له دور في بروز الأدبين الشعبي والرسمي، حيث خص بعضهم تداول النصوص الغرائبية الخرافية بين الطبقات الاجتماعية المتدنية، في حين ظلت الثقافة العالية منتشرة بين علية القوم، وذاك ما يفسر عدم اهتمام مجموعة من النقاد العرب المرموقين بهذا الأدب الغرائبي، وأيضا من مسوغات عدم الاهتمام به هو إغراقه في الخيال، حيث عدّ من الفنون الأدبية الشعبية الشفهية، التي لا طائل من ورائها وقد تدخل في باب ما يشغل عن ذكر الله."[2]

أما بالنسبة للمصطلح نفسه فقد تنوعت مفاهيمه واستعمالاته" فقد عرف اضطرابا وتداخلا بين المصطلحات في الاستعمال النقدي، ويبدو ذلك جليا لدى جمهور الباحثين، وإن كان التسليم بدءا بأن مصطلح العجائبي الشائع استعمالا، والذي يرادف غالبا مصطلح "Fantastique"، ويبدو واضحا أن انتشاره والاتفاق حوله لا يوازيه أي مصطلح أخر."[3]

وقد عرف مصطلح العجائبي نقلة نوعية عبر التنظير له، ويعد الناقد "تزفيتان تودوروف" من ابرز الذين أسسوا لمفاهيم الأدب العجائبي، غير أننا نجد قبله احد علماء العرب القدامى، وفي زمن متقدم على تودوروف، اهتم بهذا المصطلح، وقدم لنا تأسيسا

*: ابن خرداذبة هو عبيد الله بن احمد بن خرداذبة أبو القاسم، مؤرخ وجغرافي فارسي الأصل، من أهل بغداد، ولد نحو 205هـ كان جده خرداذبة مجوسيا اسلم على يد البرامكة، صاحب كتاب المسالك والممالك. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/06/25م. 18:30.

[1] – خديجة هلال العتيبي. العجائبي في الرحلة العربية. جامعة أبو ظبي. الإمارات العربية المتحدة. العدد23. 2016م. ص51

[2] – ينظر: خديجة هلال العتيبي. العجائبي في الرحلة العربية. مرجع سابق. ص 52.

[3] – ينظر: لؤي علي خليل. تلقي العجائبي في النقد الأدبي الحديث (المصطلح والمفهوم). مراجعة علي أبو زيد. هيئة الموسوعة العربية. دمشق. ط1. 2005م. ص101.

اصطلاحيا بسيط، وبشكل منهجي دقيق، وهو الشيخ القزويني*(زكريا محمود ت682هـ) في كتابه الشهير (عجائب المخلوقات)" الحد الذي اعتقد فيه البعض أن النظرية "التودوروفية" في العجائبي لا تخرج عن الدائرة "القزوينية"، إلا في بعض الأبعاد الدلالية التي لم يعتن بها القزويني كثيرا"[1] ومما يؤكد فكرة السبق لدى القزويني، أنه حاول بين ثنايا كتابه التمييز بين لفظ العجيب والغريب، وإدراك غايتهما، حيث عرف العجيب بقوله:" العجب الحيرة تعرض للإنسان، لقصوره عن معرفة سبب الشيء، أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه"[2] ومثل لذلك بخلية النحل التي يصيب العجب كل من يراها أول مرة، يقول:" مثاله أن الإنسان إذا رأى خلية النحل، ولم يكن شاهده قبل لكثرت حيرته، لعدم معرفة فاعله، فلو علم أنه من عمل النحل لتحير أيضا، من حيث إن ذلك الحيوان ضعيف كيف أحدث هذه المسدسات (...) فهذا معنى العجب، وكل ما في العالم بهذه المثابة."[3]

كما يضيف مؤكدا أنه ما من شيء" إلا وفيه من العجائب مالا يحصى، وإنما يسقط التعجب هنا للأنس وكثرة المشاهدة."[4] إذن فالعجيب عنده هو" رد فعل نفسي أساسه الحيرة، ومرده قصور فكر المتلقي عن معرفة الأسباب المفسرة له، باعتبار أن الحيرة هي شكل من أشكال العجز عن الفهم والمعرفة"[5] ومنه فالعجيب مرتبط بعنصر الحيرة وهي" اللحظة

*: هو أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عالم مسلم عربي قزويني المولد حجازي الأصل، ولد في عام605هـ وتوفي عام682هـ وهو علامة مسلم، مؤرخ ورياضياتي وعالم حيوانات وجغرافي، ابرز مؤلفاته: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، وأيضا أثار البلاد وأخبار العباد. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 19:30.

[1] – ينظر: جاسم الموسري. مخابئ الخيال المنذهل، عجائبي ألف ليلة وليلة. ضمن كتاب: في المتخيل العربي. إعداد مجموعة من الباحثين. منشورات المهرجان الدولي للزيتونة. تونس. 1995م. ص8.

[2] – القزويني زكريا بن محمود. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. مرجع سابق. ص10.

[3] – المصدر نفسه. ص9.

[4] – المصدر نفسه. ص13.

[5] – ينظر: خديجة هلال العتيبي. العجائبي في الرحلة العربية. مرجع سابق. ص50.

الخاصة التي يعيشها متلقي أي موقف، فيه نوع من غياب التعليل وحدوث كيفية التأثير، مما يولد الاندهاش والانبهار والعجز عن فهم ما يقع."[1]

والحيرة هنا لا تختلف كثيرا عن مفهوم التردد لدى "تودوروف" في تقبل الحدث وتفسيره إذ إن " التردد هو الذي يمدّ العجائبي بالحياة."[2] والتردد هنا هو الذي يحصل مع المتلقي، ويضطره للاختيار بين التفسير الطبيعي وآخر غير طبيعي، وحينئذ يسهم في خلق الفعل العجائبي، الذي يحدد عنه" التردد الذي يحس به كائن لا يعرف قوانين الطبيعة، فيما يواجه حدثا غير طبيعي حسب الظاهر."[3] وكأنه يشير في هذا القول إلى أن" التردد بين تفسير الأحداث ضمن نظام المألوف واللامألوف، هو دليل واضح على أن ثمة حيرة، تصيب صاحبها في الفصل بين الواقعي والخيالي."[4] إذن فهو يرى أن العجيب مرتبط بالمتلقي أكثر من ارتباطه بالظاهرة، حيث يقول:" يكمن الفانتاستيك في القارئ وليس النص، أي التأويل وليس الكتابة."[5] ولهذا" فالعجيب يقتضي من المقبل عليه أن يكون غارقا في عالم تختلف قوانينه إطلاقا عن قوانين عالمه."[6]

وبعد أن تعرضنا لمفهوم العجائبي عند "القزويني" و"تودوروف" وتبيان مدى تطابقها أو اختلافهما، نشير إلى أن توظيف العجائبي ضمن النصوص السردية، لم يكن إعتباطيا بل كان له أهداف ومقاصد حيث" يهدف الحكي العجائبي لتحقيق غايات معينة، لعل أبرزها الإمتاع والمؤانسة، فهي أهم الغايات التي ينشدها منذ بداياته الأولى، وذلك لان الإنسان

---

[1] – ينظر: حمادي المسعودي. العجيب في النصوص الدينية. مجلة العرب والفكر العالمي. مركز الإنماء القومي. بيروت. عدد 14/13. 1991م. ص90.

[2] – تزفيتان تودوروف. مدخل إلى الأدب العجائبي. مرجع سابق. ص48.

[3] – المرجع نفسه. ص44.

[4] – ينظر: لؤي علي خليل. تجنيس العجائبي. مجلة علامات. مج 15. العد75. ص390.

[5] – تزفيتان تودوروف. مدخل إلى الأدب العجائبي. مرجع سابق. ص11.

[6] – المرجع نفسه. ص 207.

بطبعه يحب دائما إضافة بعض العناصر العجيبة والغريبة لقصصه، من أجل الوصول إلى تلك المتعة، كما له وظائف أخرى، فهو قد يعبّر عن قضايا اجتماعية، ويعبّر عن آراء ممنوعة ومضطهدة، حيث نجدها متوارية خلف هذه النصوص السردية العجائبية."[1] وذلك للإفلات من عين الرقابة، فكثيرا ما نجد المفكرين والأدباء احتالوا بوسائل شتى لخرق الحدود المفروضة عليهم حيث" اتخذوا العجائبي كذريعة لطرق المواضيع التي تحجرها الرقابة الذاتية والرقابة المقننة"[2] وقد نجدها كسلاح يستعمل من طرف السلطة الحاكمة، أو الدولة لغايات سياسية لتبرير فشلها، أو لتأكيد شرعية حكمها، وإعطائه بعض القدسية، أو لإشغال الرأي العام عن قضايا مهمة وحساسة تحدد مصيره، أو كآلية للتحكم في الشعوب وتسييرها.

أما فيما يخص وظائف العجائبي داخل النص الأدبي، فق حدّدها "تودوروف" في ثلاثة وظائف:

"أولا: يخلق العجائبي أثرا خاصا خوفا أو هولا، أو مجرد حب استطلاع، (الشيء الذي لا تقدر الأجناس أو الأشكال الأخرى أن تولده).

ثانيا: يخدم العجائبي السرد، ويحتفظ بالتوتر حيث إن حضور العناصر العجائبية يتيح تنظيما للحبكة، منضغطا بصورة خاصة.

ثالثا: فإن للعجائبي من النظرة الأولى وظيفة تحصيل حاصل، إذ يسمح بوصف عالم عجائبي، وهذا العالم ليس له مع ذلك حقيقة خارج اللغة، فالوصف والموصوف ليسا من طبيعتين متباينتين."[3]

[1] – ينظر: سميرة بن جامع. العجائبي في المخيال السردي. في ألف ليلة وليلة . مرجع سابق. ص21.

[2] – ينظر: فوزي الزمرلي. شعرية الرواية العربية. مركز النشر الجامعي. جامعة منوبة. تونس. 2002م. ص130.

[3]– تزفيتان تودوروف. موضوعات العجائبي. (مدخل نظري). تر: الصديق بوعلام. في مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية. فاس. المغرب. العدد1. 1987م. ص137.

ومما سبق يعدّ العجائبي فضاءً حافلا بالمغامرات الخارقة، والأساطير المبهرة التي تحلق بالقارئ إلى عوالم جديدة، وتفتح له أبوابا ينتقل من منها إلى واقع مغاير، تمتزج فيه الحقيقة بالخيال والسحر، فتتغير نظرته ورؤيته للكون والحياة. والباحث في تراثنا السردي العربي يكاد لا يقع بين يديه إلا بعض النماذج السردية التراثية المعدودة، التي تتجلى فيها العجائبية، وذلك لضياع كثير من النصوص، ولعلّ هذا راجع إلى اهتمام العرب قديما بالشعر وعنايتهم به على حساب السرد الذي لم يلتفت إليه، هذا ما أدى إلى تغييب بعض خصوصيات الصورة السردية العربية، لكن رغم ذلك نستطيع لمحها في النماذج التي استطاعت النجاة ووصلت إلينا، كالرحلة والمقامة وليالي العرب الساحرة، لينكشف أمامنا تراث قصصي حافل بالمغامرات والسحر والخرافة.

وقبل ذلك نجد" أقدم أثر عربي حمل بين طياته السحر والعجائبية، هو ملحمة "جلجامش" البابلية*، فمن أبرز الصور العجيبة فيها، مسخ بعض أزواج الآلهة، ورحلة جلجامش إلى نهاية العالم، قاصدا جده الأكبر، حيث عبر بحار الموت وأماكن الظلام من اجل الحصول على عشب الخلود"[1]

أما بالنسبة للنماذج الأخرى فنجد" كتب الرحّالة العرب التي حملت بين طياتها متنا سرديا غنيا بحضور العجائبي، سواء كان هؤلاء الرحالة ممن يجولون البلدان والأمصار بحثا عن الغريب من أجل التسلية والمتعة، أو كانوا من رجال الدين أو القصاص البارعين في حبك الحكايات العجائبية. أما الشكل الثاني والذي حفل بالعجائبية، فهو المقامة* ومن

* : يرجع أصلها الأول إلى السومريين أقدم سكان بابل، أما نص الملحمة الرئيسي الذي وصل إلينا، فيرجع على وجه التقريب إلى القرن السابع قبل الميلاد، أي انه يرجع إلى العصر الآشوري، للتوسع ينظر: فراس السراح. حركة المسافر وطاقة الخيال. (دراسة في المدهش والعجيب والغريب). مجلة المقتطف. العدد12. 1974م.

[1] – ينظر: سميرة بن جامع. العجائبي في المخيال السردي. مرجع سابق. ص25.

*: فن من الفنون النثرية التي عرفت أوجها في العصر العباسي، وكان الهمذاني أول من أبدع هذا النوع السردي.

أهمها: مقامات" أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني* (ت398هـ)" وقد كان أول من أضاف إلى فن الكتابة العربية ثروة جديدة، بإنشائه لفن المقامة، فكانت هذه أول محاولة عربية لكتابة القصة أو الأقصوصة، والتي تدور حول بطل أو أديب شحاذ، يحدث عنه وينشر قصته رواية جّوالة يتزيا بزي البطل أحيانا، أو بطل يتقمص شخصيات متعددة، تارة يكون ذلك الفكاهي الفصيح، وتارة التقي الواعظ، داخل موضوعات متعددة وعصور متباعدة متفاوتة، وهنا يتجلى العجيب، فكيف يكون البطل واحدا بهيئات متعددة، وفي أمكنة مختلفة وعصور متباعدة؟! وكيف يلتقي الراوي بالبطل أحيانا كثيرة. وبالنسبة للّيالي العربية الساحرة، فأفضل ما يمثلها وأروع ما أبدعه الإنسان هي قصص "ألف ليلة وليلة" فبنيانها نابع من الخيال وفي نفس الوقت تستمد قوتها من واقع الحاضر الملموس، واقع أبهر السامع وجعله يعتقد بوجود هذا العالم المجهول والغريب، فقدرة شهرزاد على الحكي الذي يجمع بين ما هو واقعي وما هو خيالي، جعلها تتقن بمهارة مزج الغامض بالمستحيل، وان تمنح قصصها العجائبية طابعا مقبولا أقنعت من خلاله شهريار"[1]

وأخيرا فإن المتأمل لفضاءات التراث السردي العربي ـ رغم ضياع الكثير منه بفعل تغييبه نظرا لسيادة الشعر آنذاك ـ يدرك جيدا مدى ارتفاع درجات التعجيب وتفاوتها من شكل لآخر، وهي تجذب القارئ إلى عوالمها غصبا، فتدهشه وتحيره وتخلخل إدراكه بقوة عجيبة، فجاءت النصوص السردية العجائبية زاخرة بالتنوع والغريب والعجيب.

*: هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحي بن سعيد، المعروف ببديع الزمان الهمذاني (358– 395هـ) كاتب وأديب من أسرة عربية ذات مكانة علمية مرموقة، ولد في همدان ونسب إليها، وهو شاعر ولغوي وأديب، من أهم أعماله: مقامات بديع الزمان الهمذاني. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/7/08م. 15:45.

[1] – ينظر: سميرة بن جامع. العجائبي في المخيال السردي. مرجع سابق. ص31/25.

ثالثا: السرد العجائبي:

كما بينا سابقا أن الساحة الإبداعية العربية التراثية، عرفت حضورا لكتابات سردية مزجت بين المتناقضات، بين الواقع والخيال، ويعد كتاب "ألف ليلة وليلة" أشهر النماذج التي تمتعت بفضاء خيالي منقطع النظير، حيث" استطاع العجائبي ـ في هذا المصنف ـ أن يخلق أساليب وطرائق جديدة في السرد، وذلك بجعل الخطاب الأدبي أكثر مرونة وقابلية للانفتاح على منظورات وتصورات جديدة، وذلك بفضل تلك الأساليب والتقنيات الخاصة به ولقد استطاع النص الأدبي داخل عباءته العجائبية أن يؤسس لنفسه فضاءً غريبا، له جاذبيته وحجمه وفنيته."[1]

إن السرد العجائبي يختلف عن باقي أنواع السرد، وقد قُرن بكلمة "عجائبي" فصار يدعى السرد العجائبي، حيث تميز بسمات وأساليب خاصة به" لأن السارد يوظف العجائبي الذي يترك أثرا خاصا في القارئ، ويدفعه إلى طرح مسألة الممكن والمستحيل، وفي الوقت نفسه محاولة دفعه إلى التصديق، فإن مهمته السردية ستكون صعبة، تتطلب خصائص أسلوبية مغايرة لما هو مألوف، تخترق الحدود والمنطق، تثير الدهشة والتردد، تصنع العجيب والخارق، وبالتالي فالسارد يعمل على خلق الإيهام المحايث، انطلاقا من تموضعه الذي يؤطر علاقته بالحكاية."[2]

إذن فالأسلوب من أهم مكونات السرد الذي لابد أن تطغى عليه تقنية التعجيب إضافة إلى تقنيات سردية أخرى كالوصف والأحداث والأمكنة والأزمنة والشخوص." فالمؤلف العجائبي لابد أن يربط السرد بالوصف، لأن الأول لا يستطيع تأسيس كيانه دونه، وإن تمتع بلعب الدور الأول، فليس الوصف في واقع الحال سوى خادما لازما للسرد، وفوق ذلك فهو

[1] – ينظر: سميرة بن جامع. العجائبي في المخيال السردي. مرجع سابق. ص25.

[2] – المرجع نفسه. ص32.

خاضع له باستمرار، حيث يشتغل على خصوصيات تتعلق مباشرة بالكائنات والأشياء، والسرد العجائبي أيضا يشتغل على الأحداث، كغيره من الفنون السردية، بالإضافة إلى أن الحدث يشكل علامة لها سماتها، تجعل من رواية القصة لعبة السارد، يقوم فيها بنشر علامات متعددة كرونولوجية، مدعومة ومكسرة باسترجاعات واستباقات، وتقنيات زمنية أخرى"[1]

إن تضافر هذه التقنيات السردية، هي التي تمكن المؤلف من نسج أسلوبه ذي الطابع العجائبي، حتى تأتي قصصه زاخرة بالتنوع الأسلوبي الغريب والعجيب، حيث" يقوم خلق العجيب في السرد على أساس استدعاء المعقول والمعلوم من طرف السارد، ثم يتصرف فيه وفق نسق يسمح له بإشاعة اللّبس والدهشة في تلك الأحداث..."[2]

ومما سبق يعتبر السرد العجائبي أول مظاهر السرد في العالم، حيث نجد القصة العجائبية والخرافية منتشرة عند جميع الشعوب القديمة، ويتمتع حضورها بالعمق التاريخي في ثقافة أية أمة من الأمم.

[1] – ينظر: شعيب حليفي. مكونات السرد الفانتاستيكي. مجلة فصول. ج4. مج11. العدد4. 1993م. ص68.

[2] – ينظر: شعيب حليفي. المرجع نفسه. الصفحة نفسها.

الفصل الثاني:
العجائبـــي في أدب الرحلـــة

الفصل الثاني: العجائبي في أدب الرحلة.

أولا: أدب الرحلة مفهوما وتجنيسا

إن الباحث المهتم بدراسة التراث العربي الإسلامي، يدرك مدى الحاجة إلى إعادة قراءته من جديد، وفق رؤية مغايرة لما هو متعارف عليه، وتسليط الضوء على جوانب وزوايا مختلفة، من أجل فهم أفضل لمقومات الحياة العربية الإسلامية الأصيلة.

ومن هذا المنطلق يتناول هذا المبحث من الفصل الثاني، أهمية الرحلة في تراثنا، وإبراز مدى ثراء وغنى كتابات الرحالة بالعجائبية، الأمر الذي يجعل من أدب الرحلة مصدرا انتوجرافيا* هاما، وذلك لأن الرحلات تزخر بالقصص الشعبية، وتتنوع فيها الحكايات التي تحمل الكثير من الغرائب والعجائب" وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن الجانب الأسطوري في مادة الرحلات، لم يحظ بالقدر الوافي من التحليل...علما بأن الأساطير والخرافات، تمثل جانبا هاما من التراث الشعبي للثقافة الإنسانية."[1]

"إن حديثنا عن الرحلة والأدب العربي، لا يعني إدراج بعض نتاج الأدب أو الفلسفة ضمن أعمال أدب الرحلات، وإنما القصد هنا التركيز على تأثير الرحلة على ذهنية الأديب أو الفيلسوف... من حيث أن الأدب والفلسفة قد يبعثان الرغبة في الرحلة، سواء كانت رحلة واقع أو خيال."[2]

*: انتوجرافيا أو اثنوغرافيا: هي طريقة بحثية فرعية تأتي من تخصص علم الإنسان (الانثروبولوجيا) ولكنها تنطبق على تخصصات أخرى، والاثنوغرافيا هي دراسة متعمقة لثقافة أو جانب من جوانب الثقافة. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/06/25م. 20:20.

[1] -- ينظر: حسين محمد فهيم. أدب الرحلات. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. عالم المعرفة. الكويت. 1989م. ص89.

[2] – ينظر: حسين محمد فهيم. المرجع نفسه. ص نفسها.

1_ تعريف أدب الرحلة:

ـ أدب الرحلة لغة:

. **في المعاجم اللّغوية القديمة:** تكاد تتفق المعاجم القديمة حول الرحلة في كونها تعني الارتحال والانتقال، جاء في لسان العرب:" رحل الرجل إذا سار، ورجل رحول وقوم رحّل...والارتحال: الانتقال، والرحلة: اسم للارتحال...والرحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده."[1]

وجاء في مختار الصحاح:" الرحلة بالكسر الارتحال، يقال دنت رحلتنا"[2] ومن معاني الرحلة التي وردت في قاموس المحيط" الارتحال: الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة، والرحيل: اسم ارتحال القوم، وارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، ترحلوا، والاسم: الرحلة، بالضم أو الكسر"[3]

وفي معجم مقاييس اللّغة لابن فارس(ت395هـ)" رَحَلَ يَرحَلُ رُحلَةً، والرِّحلة: الارتحال، ورحّله إذ أظعنه من مكانه."[4]

نلاحظ أن أغلب المعاجم القديمة، قد اتفقت بشأن الرحلة، وهي الانتقال من مكان محدد إلى وجهة مقصودة.

. **في المعاجم اللّغوية الحديثة:** نجد أن أغلب المعاجم الحديثة لم تهتم كثيرا بصياغة تعريف للرحلة، واكتفت بإشارات مقتضبة اليها، وقد ورد في دائرة معارف القرن العشرين،

---

[1] – ابن منظور. لسان العرب. مرجع سابق. ج11. مادة رحل.

[2] – الرازي محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. ض وتع: مصطفى ديب البغا. دار الهدى. الجزائر. ط4. 1990م. مادة رحل.

[3] – الفيروز أبادي. القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط8. 2005م. ص1005.

[4] – ابن فارس أبي الحسن احمد بن زكريا. مقاييس اللغة. تح وض: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. سوريا. ج2. ط2. 1979م. مادة رحل.

على أن الرحلة من" يرحل رحلا ورحيلا وترحالا: ذهب، ورحّله من بلد: أخرجه منها...والرحلى مركب للبعير من القتب، والرّحلة: الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكان رحلتنا، وهو عام رُحلة أي يُرْحَلُ إليه."[1]

ـ الرحلة في القرآن الكريم:

لقد وردت العديد من الآيات في القرآن الكريم التي تذكر الرحلة، أو تحث على السفرة والهجرة ومفارقة الوطن، لأسباب متنوعة كطلب العلم أو لغرض التجارة أو للتفكر في خلق الله، أما بالنسبة للرحلة كلفظة فقد وردت مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣﴾ قريش: ١ - ٣

الآيات تشير إلى الرحلتين اللّتين كان العرب يقومون بهما" وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم، لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله."[2]

وجاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ الملك: ١٥ أي:" فسافروا حيث شئتم من أقطارها، وترددوا في أقاليدها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم، إلّا أن ييسره الله

[1] – فريد وجدي. دائرة معارف القرن العشرين. دار المعرفة. بيروت. لبنان. دط. دت. مادة رحل.

[2] – ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل القريشي الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. دار الإمام مالك. الجزائر. ط1. 2006م. ص841.

لكم."[1]وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الروم: ٤٢ أي" فانظروا ماذا حلّ بهم من تكذيب الرسل وكفر النعيم"[2]

وقوله عزّوجل: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةًۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾النساء:١٠٠ وهنا نجد" الترغيب في الهجرة، أي من يفارق وطنه، ويهرب فرارا بدينه من كيد الأعداء يجد مهاجرا ومتحولا في الأرض كبيرا، يراغم به أنف عدوه، ويجد سعة في الرزق، فأرض الله واسعة ورزقه سابغ على عباده."[3]

ومما سبق نلاحظ أن هذه الآيات في مجملها تدعو إلى السفر والرحلة من اجل أغراض متعددة ومختلفة، كالفرار بالدين أو طلب العلم...الخ

ـ أدب الرحلة اصطلاحا:

لقد تعددت المفاهيم الخاصة بالرحلة من الناحية الاصطلاحية، والتي تبدو في الظاهر متفقة، لكنها في الحقيقة مختلفة بعضها عن بعض، حسب خلفية كل باحث وزاوية اهتمامه، كما أن المصطلح في حد ذاته يصعب تحديده، فهو يشمل موضوع الأدب بمفهومه الفني الجمالي، وموضوع الرحلة بما هو تجربة" تعلن عن سرد الأسفار، وتتضمن معنى الذهاب بعيدا عن الموطن الأصل، كما تفتح أفق انتظار يرتبط بالنوع نفسه، أي أن القارئ ينتظر وصفا للبلدان التي زارها صاحب الرحلة"[4]

---

[1] – ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل القريشي الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. مصدر سابق. ص 590.

[2] – المصدر نفسه. ص 629.

[3] – الصابوني. صفوة التفسير. نسخة الكترونية من موسوعة شريط. الإصدار الأول.

[4] – عبد الفتاح كيليطو. الحكاية والتأويل. دراسات في السرد العربي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 1997م. ص72.

ومن التعريفات الاصطلاحية لأدب الرحلة، نجد أن ناصر الموافي قد عرفه بأنه" ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية، قام بها رحالة متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرينين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه"[1] فالرحلة هنا تعتبر تسجيل للأحداث والمشاهدات التي مرّ بها الرحالة، حيث تمتزج ذاته بما رآه فيعبر عن انطباعاته حولها، لينقلها إلى المتلقي ويجعله ينتقل معه عبر محطاتها وأزمنتها.

ويعرف "أنجيل بطرس" الرحلة بقوله:" أدب الرحلات إذن هو ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا لهه، يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير."[2] هنا يحددها بطرس بكونها رحلة واقعية أي انتقال من مكان إلى أخر، وننوه إلى أن الرحلة قد تكون بدون مغادرة المكان، أي أن أحداثها خيالية محضة كرسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي* الذي يصف فيها رحلته إلى العالم الآخر، حيث ينتقل بين الجنة والنار ولقائه مجموعة من شعراء الجاهلية والإسلام، ورسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي*، وهي عبارة عن رحلة إلى عالم الجن، ومناظرة الشعراء.

---

[1] – ناصر الموافي. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري. مكتبة الوفاء. القاهرة. ط1. 1995م. ص41.

[2] – إنجيل بطرس. الرحلات في الأدب الانجليزي. مجلة الهلال. ج7. يوليو 1975م ص52.

*: أبو العلاء المعري (449–363هـ) هو احمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري، شاعر ومفكر ونحوي أديب من عصر الدولة العباسية، ولد وتوفي في معرة النعمان في محافظة إدلب واليها نسب، لقب برهين المحبسين أي محبس العمى ومحبس البيت وذلك لأنه اعتزل الناس من اهم مؤلفاته: رسالة الغفران. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/6/25م. 18:45.

*: هو أبو عامر احمد بن أبي مروان عبد الملك بن مروان. المعروف بابن شهيد الأندلسي. الذي ولد بقرطبة في خلافة هشام بن الحكم سنة382هـ وهو صاحب رسالة التوابع والزوابع. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/06/25م. 19:20.

ويرى عبد الفتاح كيليطو أن الرحلة" هي مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد."[1]

ومما سبق نلاحظ أن مفهوم الرحلة متعدد وغير واضح المعالم، تتداخل فيه مستويات عدّة وتتجاذبه اتجاهات مختلفة، الأمر الذي يضعنا أمام إشكالية ملحة وهي إشكالية تجنيس الرحلة، وخصوصياتها التي تجعل منها خطابا رحليا مستقلا بذاته.

2_ تجنيس أدب الرحلة:

لطالما كانت محاولة تصنيف أدب الرحلة ضمن الأجناس الأدبية مهمة صعبة، وذلك لتداخل العديد من الأنواع الأدبية وتقاطعها معها في العديد من الجوانب" الرحلة ظاهرة أدبية، تتداخل فيها عدّة عناصر أدبية وخارج أدبية، فهي الشكل النصي المفتوح، وذلك نتيجة مجموع مكونات ثقافية واجتماعية وسياسية متداخلة، ونسيج متفاعل يشكل نصا يتموقع في ملتقى علامات شديدة التجذر في حقول تعبيرية شتى(...) وتتغذى من الأشكال الفنية النثرية ومن التاريخ والجغرافيا والتراجم(...) والاسترسال في السير والتعليقات التي تعطي للحكي طابعا مزدوجا بين التقرير والانسياب والوصف، مما يمد النص الرحلي برحابة تسع المعرفة بأسئلتها الممتدة في راهننا."[2]

ولذلك يشكل تجنيس الخطاب الرحلي هاجسا للباحثين، وهذا راجع للسمات المشتركة والتي تتقاطع مع بعض الخصوصيات المميزة للعديد من الأشكال السردية، ولاشك أن تعريف

[1] – عبد الفتاح كيليطو. الحكاية والتأويل. مرجع سابق. ص 73.

[2] – جميلة روباش. أدب الرحلة في المغرب العربي. رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم. كلية الآداب واللغات . قسم الآداب واللغة العربية. جامعة محمد خيضر. بسكرة. الجزائر. 2015/2014م. ص22.

جنس الرحلة سيكون صعبا، ليس مثل تعريف أي جنس آخر" نظرا لتعدد مضامينها وأساليبها، ولتداخلها مع خطابات أخرى، فالرحلة تشبه فناء بيت تنفتح فيه غرف متعددة الجغرافيا والتاريخ، المذكرات والتراجم(...) التصوف والأدب والسيرة الذاتية، والحكايات في حدّة زخم الخصوصيات والتنويعات في النصوص الرحلية العربية"[1]

وقد تعددت آراء الباحثين بخصوصها، فكل واحد منهم ينظر إليها من زاوية مغايرة عن الآخر، الأمر الذي خلق تنوعا وتعددا في التعريفات، حيث نجد مثلا عبد النبي ذاكر يرى أنها" شكل أدبي هجين ينماز بتعدد أوجهه، وتمظهراته متنوعة من الأشكال والمحتويات الشيء الذي يعطي انطباع بأنه شكل مائع إلى حد كبير، إضافة إلى شدّة تعقده واحتماله لأنماط وأساليب ومضامين كتابية تبعده عن البساطة الظاهرة، لتجعل منه جنسا مركبا وشموليا وعاما وجنس الأجناس."[2]

ويتفق معه في هذا الرأي عبد الرحيم مؤدن الذي يرى أن الرحلة" كتابة ملتبسة سواء على مستوى الهوية الأجناسية، أو على مستوى محاورتها ـ في سياق نظرية الأدب ـ لأجناس أدبية وغير أدبية."[3]

وهذا الالتباس في الكتابة أدى إلى تعدد أوجه دراستها، تبعا لاهتمام الباحثين حيث يجد فيها كل واحد مبتغاه من المعلومات حسب تخصصه، سواء كان مؤرخا أو جغرافيا أو أديبا، وذلك راجع لمادتها المعرفية الضخمة، كما افرز هذا التنوع المعرفي تعددا في اسمائها فنجد: الرحلة وأدب الرحلة، والأدب الجغرافي، والجغرافيا الوصفية، وهذا ما يؤكده عبد الفتاح

[1] – جميلة روباش. أدب الرحلة في المغرب العربي. مرجع سابق. ص 20.

[2] – عبد النبي ذاكر. عتبات الكتابة. مقاربة لميثاق المحكي الرحلي العربي. منشورات مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي. المغرب. دط. 1996م. ص35.

[3] – ينظر: عبد الرحيم مؤدن. الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر. مستويات السرد. دار السويدي للنشر والتوزيع. الأردن. ط1. 2006م. ص23

كيليطو، بقوله:"...هذا كله يجعل نص الرحلة مستعصيا على الانتساب النوعي، وينعكس ذلك على التسمية التي تصبح متعثرة أو متعددة."[1]

ومما سبق، وبالرغم من احتواء أدب الرحلة نصوصا متنوعة، تاريخية أو جغرافية، أو صوفية أو شعرية، إلا أن ذلك لا يجعلها كتابا تاريخيا أو صوفيا...ويمكن عدّها جنسا أدبيا قائما بذاته، وحتى يتحقق هذا لابد لنا من إبراز سماتها الخاصة، التي تميزها عن الخطابات الأخرى.

_ سمات وخصائص الخطاب الرّحلي:

بالرغم من تنوع موضوعات أدب الرحلة وتعددها، إلا أن لديها خصائص ومميزات تحقق استقلالها، وتجعلنا نستطيع التحدث بثقة عن جنس أدبي قائم بذاته وهو أدب الرحلة، ومن هذه السمات لابد من توفر شروط أطراف الخطاب الرحّلي، وتتمثل في الذات الحاكية والخطاب المحكي والموضوع المحكي عنه.

" **الذات الحاكية:** هي ذات الرحالة نفسه، حيث إن جلّ الرحلات من تدوين أصحابها، فرحلة العبدري* الذي بدا بتقييد رحلته إبتداءًا من تلمسان، لكن هناك بعض الرحلات لم يقم أصحابها بعملية التدوين، وإنما أسندوها إلى أشخاص آخرين، واكتفوا بعملية الإملاء كما فعل ابن بطوطة الذي لم يقيد رحلته أثناء القيام بها(...) ولذا يمكن القول أن

[1] - عبد الفتاح كيليطو. المقامات والسرد والأنساق الثقافية. دار توبقال. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 1993م. ص127.

*: فقيه ومؤلف وأديب ورحالة مغربي قام برحلة في القرن7هـ وسمى رحلته " الرحلة العبدرية" هو محمد بن علي بن احمد بن مسعود العبدري يكنى بابي عبد الله. ينظر: فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث. ص465.

هذه السّمة ـ الذات الحاكية ـ يمكن أن تسقط من بعض الرحلات بالرغم من وجاهتها"[1] اي أن توفر الذات الحاكية في النصوص الرحلية مقترن بعملية التدوين.

" أما السّمة الثانية فهي **الخطاب المحكي** الذي يبدأ بتحديد أسباب الرحلة ودوافعها، وكذا ذكر زمان الخروج ومكانه، كما يتتبع كل المحطات التي مرّ بها الرحالة وصولا إلى نقطة النهاية ومن أمثلة ذالك ما جاء في مقدمة التجاني (...فكان خروجي من تونس المحروسة صحبة الركاب العلى المخدومي أعلى الله مقامه، وأطال في العزّ دوامه في آخر جمادى الأولى من عام ستة وسبعمائة، وكان مراده منها بالقصد الأول إنما هو التوجه لأداء فريضة الإسلام ...) وهنا يمكن القول إن الخطاب المحكي بهذه الطريقة ـ يعد تلفيظا ـ بفعل الرحلة اي نقلها من الواقعية في القيام بها، إلى عملية التدوين والتقييد."[2]

أما السّمة الثالثة وهي **الموضوع المحكي** وهو:" السفر الذي أنجزه الرحالة فعليا، وهكذا يصبح السفر بنية مهيمنة من جهة وهي من جهة ثانية بنية متحكمة وجاذبة لباقي البُنى، إلى الحد الذي تخضع فيه هذه الأخيرة لبنية السفر، وبهذه الهيمنة التي تتمتع بها بنية السفر داخل الكتابة الرحلية، يصبح السفر هو الناظم لمختلف مكونات الرحلة الأخرى، من سرد ووصف وأخبار وحكايات وأشعار ومعارف متنوعة، بيد انه ينبغي الانتباه والتفريق بين السفر عندما يكون بنية مهيمنة وناظمة، وبين السفر عندما يكون بنية ومكونا كباقي المكونات، في الحالة الأولى نكون أمام جنس الرحلة، وفي الحالة الثانية نكون أمام أجناس أخرى (...) وهكذا أصبحت هيمنة بنية السفر معيارا نقديا، يتم فيه التمييز بين الرحلة وباقي

[1] – لبنى لونانسة. النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين. مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي القديم. كلية الآداب واللغات. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة الحاج لخضر. باتنة. الجزائر. 2014/2013م. ص52.

[2] – لبنى لونانسة. النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين. المرجع نفسه. ص52.

نصوص السفر."[1] وبهذا نستطيع تمييز خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات الأخرى. كما أن للكتابة الرحلية خصائص أخرى نوردها في النقاط التالية:

"**هيمنة بنية السفر**: التي تؤطر الأحداث وتنظمها.

الذاتية: تحضر ذات الرحالة في رحلته حضورا بارزا، فهي تحتل المركز في الحل والترحال.

الحكي بضمير المتكلم مفردا أو جمعا: وهذا تجلّ من تجليات الذات في أسلوب الكتابة.

الواقعية: الرحالة رجل واقعي عاش في فترة زمنية معروفة، والأشخاص الذين يتحدث عنهم هم أيضا واقعيون، عاشوا في زمن معروف ومكان معروف، فالأماكن التي يصفها أماكن حقيقية لها وجود فعلي على الأرض، وبهذه الخصيصة تتميز الرحلة عن الرواية والمقامة المبنيتين على الخيال.

دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق: فالخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود معه إلى نقطة الانطلاق.

تعدد المضامين وتداخل الخطابات: يشمل الخطاب الرحلي معارف متنوعة دينية وأدبية وتاريخية وجغرافية وانتوغرافية... وتتداخل فيه خطابات مختلفة، الشعر والرسالة والحكاية والوصف والسرد... وهذا ما يجعله جنس الأجناس أو محصلة الأجناس."[2]

ومما سبق يمكننا القول أن هذه الخصائص إذا تم تتبعها في الخطابات التي تتقاطع في موضوعاتها مع أدب الرحلة، نستطيع بكل سهولة تمييزه عن الأجناس الأدبية الأخرى كجنس مستقل ومتفرد بكيانه.

[1] – ينظر: جميلة روباش. ادب الرحلة في المغرب العربي. مرجع سابق. ص13.

[2] – ينظر: المرجع نفسه. ص19.

ثانيا: أهمية الرحلة ووظائفها.

أدب الرحلة حافل بالتجارب الحية، فكل رحلة تعبر عن تميز مؤلفها وتفرده لذا تعتبر كتب الرحلات شريطًا تسجيليا، لأخبار الأمم والشعوب ووصفا للحوادث التي مر بها الرحالة أثناء تجواله، كما أنها تصوير للمجتمع الذي احتك به، وقد اكتسب هذا اللون الأدبي أهميته من خلال تعريفه بالمناطق المجهولة، ونقله لجوانب الحياة المختلفة، لذا فالمطلع على الرحلات يجد فيها المتعة والمعرفة التي تساهم في إثراء فكره وإنارة بصيرته" ذلك أنها تتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو تكاد، إذ تتوفر فيها مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي، وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع ثرية لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مرّ العصور."[1]

ولأدب الرحلة وظائف متعددة" فهي ليست معرفة ووعيا فقط، وإنما هي متعة القارئ والكاتب على السواء، فمتعتها مرتبطة بوظائفها وأهمها:

. **متعة الحكي:** هي الخصيصة الأولى لأدب الرحلة وهي متعة متشابكة، يشتبك فيها ماهو ذاتي ونفسي بما هو موضوعي واجتماعي، وبما هو فني وجمالي، وتزداد المتعة عندما يتدخل الرحالة في الحكي والسرد والتذكر.

. **متعة المشاهدة:** تعود إليه عند إعادة سرد الحكايات والتفصيلات، كما يفترض فيه المتلقي تحديد زمان الحكي والنقل الحكائي وصدق الوصف والاختيار.

[1] – حسني محمد حسين. أدب الرحلة عند العرب. دار الأندلس. بيروت. لبنان. ط1. 1983م. ص05.

. **المتعة الوصفية:** وهي متعة قلب السمع إلى البصر، وتحويل المسموع إلى مرئي من قبل الرحالة."[1]

وهكذا فالرحلة تزخر بالمعلومات التي يفيد منها الباحثون، وذلك راجع للرّحالة فهو دائم الوقوف على الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التي لفتت انتباهه، فجاءت كتاباته مليئة بالصور الفوتوغرافية عن عادات الشعوب وتقاليدها، والتي تعكس لنا معالم حضارية وتاريخية واجتماعية مهمة.

وفي ظل ما سبق، من: تعريف لماهية أدب الرحلة وتحديد جنسها ضمن الأجناس الأدبية، نجد أن الرحلة في كثير من جوانبها قد خرجت عن الإطار التقريري أو السجلي إلى الجانب السردي القصصي العجائبي، ومن هذا المنطلق كان لابد لنا من تسليط الضوء على تلك الجوانب الفنية، وهو السرد العجائبي الذي اتخذ جانبا مهما من مادة الرحلات.

ثالثا: العجائبي في أدب الرحلة.

لقد تميزت الرحلة بالتنوع والشمولية في أشكال القص والعناصر الفنية، وهذا جعلها تحفل بموروث حكائي يمتزج فيه الواقع بالخيال والخرفات بالأساطير، فالمتأمل في نصوص الرحلات يجد أغلبها توظف العجائبي كجزء من مظهرها التركيبي والجمالي، ومنه عدّت الرحلة مجلا خصبا لدراسة العنصر العجائبي.

إن أدب الرحلة يشكل رافدا مهما لتجلي العجائبية، وذلك راجع إلى أن أغلب نصوصه تقوم على الغريب والعجيب حيث" تمتزج المعلومات بالمغامرات، والواقع بالأساطير وتمتزج الذّات بالمشاهدات والتجربة، والحكمة بالخيال، السحر بالغرائب والعجائب."[2] وهذا

[1] – ألجبار مدحت. أدب الرحلة. مداخل لقيمه وتوظيفه. مجلة الرواية. ـ قضايا وآفاق ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. العدد 13. ص 32.

[2] – ينظر: فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص13.

التوظيف العجائبي جعلها تحتوي" على كثير من الوقائع والأحداث التي تسمح بتوسيع دائرة الحلم، وتجلي العقل إلى ما وراءه، لتصبح الرحلة نتيجة ما تحتويه من تعجيب وخيال، سفرا في اتجاه الأقاصي إلى تخوم الغرابة، إن نصوص الرحلة بذلك هي فضاءات مفتوحة، تتكشف فيها مقدرة الخيال على التوسيع دوائر الممكن والمستحيل(...) حتى إنه لا يمكن أن ينظر في الكلام باعتباره مصدقا به أو غير قابل للتصديق، لأنه يكرس بما يبتنيه من فريد وعجيب ومهيب، مبدأ رفع عدم التصديق الذي ينهض عليه السرد عامة."[1] هنا تظهر مقدرة الرحالة ـ السارد ـ في تجاوزه للامعقول، وذلك من خلال أسلوبه في عرض الواقعة العجيبة في شكل يصيبنا بالحيرة والتردد، هل نصدقها أم لا.

وقد استعمل الرحالة العجائبي في نصوصه، إذ ينتقل من المألوف إلى اللامألوف وذلك لإضفاء بعد جمالي" حيث ساهم في إثارة المخيلة لدى المتلقي وتحرير الخيال، وقد جنح كثير من كتاب الرحلات إلى استخدام هذا العنصر في رحلاتهم، باعتباره وظيفة جمالية تساهم في تلقي النص بصورة غير نمطية."[2]

إن الرحالة دائم التنقل لا يعرف إلى الاستقرار سبيلا، هدفه البحث عن الغريب والعجيب، وهاجسه مطاردة الإشاعات الأسطورية والخيالية التي تنتشر في العالم، لذلك لا عجب أن يأتي أدب الرحلة حافلا بالعجائبية، كما أن" تحول تجربة الرحلة من وقائع ومشاهدات إلى تذكر ثم إلى فعل الكتابة، يتم عبر قنوات منها قناة الخيال"[3] أي أن عملية

---

[1] – خديجة هلال العتيبي. العجائبي في أدب الرحلة العربية. مرجع سابق. ص52/51.

[2] – أشواق فهد الرقيب. تجليات العجائبي في أدب الرحلات. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. جامعة الطائف. المملكة العربية السعودية. العدد1. مج5. مارس2019م. ص113. ينظر: 2021/05/12م. 15:30. متاح عبر الانترنيت: www. Ajsrp.com

[3] – ينظر: سليمان العطار.الخيال عند العربي (النظرية والمجالات). دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. دط. 1991م. ص18.

تدوين الرحلة تسهم في تغذية العجيب بداخلها، حيث نجد للخيال حضورا كثيفا يرتبط تواجده بالمراحل السابقة للحظة التدوين.

إن لكل رحّالة منهجا خاصا يتبناه في الحديث عن العجائبي، كما يتميز برؤيته الاجتماعية التي تلتقط كل ماهو غير مألوف بالنسبة له، ولذلك جاءت الرحلة" في بعض جوانبها تجميعا لغرائب وعجائب الآخر، إنسانا وعمرانا وتاريخا، فهي شيء غير معروف بالنسبة للرّحالة، وبذلك عُدّت الرحلة خروجا من المألوف إلى اللامألوف."[1] كما أن الاطلاع على أحوال الشعوب والأمم الأخرى، يثير فينا الدهشة والغرابة، لذلك" شملت العجائبية عنصرا آخر هو صورة الآخر، والتي تكونت في الغالب الأعم عبر السماع من خلال مراكمة مجموعة من الصور النمطية حول الشعوب، خصوصا تلك البعيدة والشديدة الاختلاف."[2]

لقد تضمنت نصوص الرحلات العديد من الأشكال التي تجلى فيها العجائبي، كما تنوعت عناصره" فنجد الوصف العجيب والشخصية العجائبية، والحدث العجائبي والمكان العجائبي، وكذلك غرائب العادات والتقاليد، استحضرها الرحالة بأنماط سردية مختلفة، فيأتي بعضها ضمن قصص أسطورية بعيدة عن المألوف والمنطق، وبعضها قصص واقعية نقلها الرحالة بصورة تخييلية تعاكس الواقع، وتشحذ ذهن المتلقي تفاعلا مع الموقف."[3]

هذا المزج بين الواقعي والخيالي، هو الذي جعل الكثير من النقاد العرب يصنفون الرحلة ضمن الأدب الشعبي، ويبعدونها عن الأدب الرسمي، إذ يقول شاكر خصباك:"...

[1] – ينظر: شعيب حليفي. الرحلة في الأدب العربي. دار القرويين. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2003م. ص430.

[2] – خديجة هلال العتيبي. العجائبي في أدب الرحلة العربية. مرجع سابق. ص55.

[3] – أشواق فهد الرقيب. تجليات العجائبي في أدب الرحلات. مرجع سابق. ص114.

لكن دارسي التراث العربي الإسلامي من البحاثة العرب، ظلوا ينظرون إلى الرحلة على أنها نوع من الأدب الشعبي الأسطوري، نظرا لازدحامها بالحكايات ذات الطابع الخرافي."[1]

إن إضفاء الرّحالة الطابع العجائبي على الشخصيات والأماكن ذات الوجود الفعلي يفقدها مرجعيتها ويكسبها سمة عجيبة، تجعل المتلقي في حيرة من أمره، أيصدق ما يقال عنها أم يكذبه" فذلك التناقض بين ما هو واقعي وما هو خيالي، هو الذي يولد تلك الحيرة وذلك القلق الطارئ الذي يخرق انسجام الفكر واستقرار المشاعر والوجدان، وإزاء هذه التناقضات يتردد المتلقي في تفسير الوقائع والأحداث، بين التفسير الواقعي المعتمد على التقبل والتصديق، وبين استدعاء المخيلة وحملها على ما يمكن تفسيره بما هو طبيعي وواقعي."[2] وهنا مثلا "نجد ابن فضلان* يحيد عن طابع الإسناد ليروي مشاهداته حتى يضمن صدقية المروي، وتحمل المتلقي على التصديق، فيقول:(...ورأيت من العجائب مالا أحصها كثرة، من ذلك أن أول ليلة بتناها في بلده، رأيت قبل مغيب الشمس بساعة قياسية أفق السماء وقد احمرت احمرارا شديداً، وسمعت في الجو أصواتا وهمهمة عالية، فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النار قريب مني، وإذا تلك الأصوات والهمهمة منه، وإذا فيه أمثال الناس والدواب، وإذا في أيدي الأشباح التي فيه تشبه الناس، رماح وسيوف أتبينها وأتخيلها، وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها أيضا رجالا ودواب وسلاحاً ، فأقبلت هذه تحمل على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة، ففزعنا من ذلك واقبلنا على التضرع والدعاء وهم يضحكون من ويتعجبون من فعلنا(...) فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ثم غابت، فسألنا الملك عن ذلك فزعم أن أجداده كانوا يقولون: إن هؤلاء مؤمني الجن وكفارهم وهم يقتتلون كل

[1] – شاكر خصباك. في الجغرافية العربية. دار الحداثة. بيروت. لبنان. ط1. 1988م. ص10.

[2]– ينظر: مسعود بودوخة. الملمح العجائبي في الرحلات. رحلة ابن بطوطة نموذجا. مجلة الاستهلال. المغرب. العدد10. 2016م. ص09.

*: هو احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، يحتل مكانة مرموقة بين الرحالة العرب بفضل ما كتبه عن رحلته إلى بلغار والتي قام بها عام309–310هـ (922–921م). ينظر: فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. ص163.

عشية، وإنهم ما عدموا هذا منذ كانوا كل ليلة."[1] وقد ابتعد ابن فضلان عن إسناد مروياته إلى أخر بل تبنى هو الحكي في خدعة سردية تحمل المتلقي على التصديق، توحي بأنه عاشها بالفعل، رغم تجاوز الأحداث الواقع والمألوف.

ومن الأمثلة عن الرحّالة الذين تميزوا بحضور العجائبي اللّافت في رحلاتهم، نجد ابن بطوطة*، الذي كان مفتونا بالحكي عن الغريب والعجيب والمدهش، فأنتج نصوصا ذات تركيب رائع مزج فيها الخيال بالواقع، ومن ذلك ما يرويه لنا من مشاهد عجيبة صادفته في إحدى رحلاته، يقول: قد نزل بخارج بلدنا هذا حجر من السماء(...) فأمر الرجال أن يأتوا بالحجر، فأتوا بحجر اسود أصم شدي الصلابة له بريق(...) فأمر السلطان بإحضار القطاعين فضربوا عليه ضربة رجل واحد أربع مرات بمطارق حديد فلم يؤثروا فيه شيئا، فعجبت من أمره."[2] والعجيب في هذه القصة بالنسبة لابن بطوطة ومن كان معه، هو سقوط حجر من السماء وعدم قدرتهم على تحطيمه، وهذا لأنهم يجهلون الظاهرة الطبيعية المتمثلة في سقوط النيازك، أما بالنسبة لنا في الوقت الحالي فيسقط التعجب للأنس وكثرة المشاهدة على حد تعبير القزويني.

---

[1] – خديجة هلال العتيبي. العجائبي في أدب الرحلة العربية. مرجع سابق. ص54.

*: هو محمد بن عبد الله بن محمد اللّواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (779–703هـ) وهو رحالة ومؤرخ وقاضي، لقب بأمير الرحالين المسلمين، صاحب تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 20:15.

[2] – ابن بطوطة محمد بن عبد الله. رحلة ابن بطوطة. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دار إحياء العلوم. بيروت. لبنان. ج1. ط1. 1987م. ص309.

ومن الشخصيات العجائبية التي لها قدرة على فعل الأشياء الخارقة، التي وردت في رحلة ابن بطوطة، المرأة "كفتار" وقد سميت بذلك لأنها" إذا نظرت إلى المرء سقط ميتا، فإذا شقوا صدره لم يجدوا قلبه في مكانه، ويذهب العامة أنها آكلة قلب الميت."[1]

ومن الرحّالة أيضا نجد المسعودي* حيث يروي في رحلته الموسومة ب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) قصة عن حاتم الطائي، حيث يسندها إلى راوٍ أخر، وذلك باستخدام أسلوب العنعنة وهو من خصوصيات رواة الحديث النبوي الشريف، حيث يقول:" عن يحي بن عقاب الجوهري قال: حدثنا علي قال: أنبأني عبد الرحمان بن يحي المنذري عن آبي المنذر هشام الكلي قال: حدثنا أبو مسكين بن جعفر بن محرز بن الوليد عن أبيه، وكان مولى لأبي هريرة قال: سمعت محمد بن أبي هريرة يحدّث قال: كان رجل ويكنى أبا البختري، مرّ مع نفر من قومه بقبر حاتم الطائي فنزلوا قريبا منه، فبات أبو البختري يناديه: يا أبا محمد أقرنا، فقال قومه له: مهلا ما تكلم رمّة بالية، قال: إن طيئا يزعم أنه لم ينزل به أحد قط إلا قراه، وناموا فلما كان في آخر اللّيل قام أبو البختري مذعورا فزعا ينادي: وراحلتاه، فقال له أصحابه: ما بدا لك ؟ قال: خرج حاتم من قبره بالسيف، وأنا أنظر حتى عقر ناقتي، قالوا له كذبت، ثم نظروا إلى ناقته بين نوقهم مجدّلة لا تنبعث، فقالوا له: قد والله قراك، وظلوا يأكلون من لحمها شواءً وطبيخا حتى أصبحوا، ثم أردفوه وانطلقوا سائرين، فإذا راكب بعير يقود أخر قد لحقهم، فقال: أيكم أبو البختري؟ فقال أبو البختري: أنا ذلك، فقال: أنا عدي بن حاتم، وإن حاتما جاءني الليلة في النوم ونحن نزول وراء هذا الجبل، فذكر

[1] – ابن بطوطة محمد بن عبد الله. رحلة ابن بطوطة. تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. مصدر سابق. ص543.

*: هو أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (346–283هـ) مؤرخ وجغرافي، من أهم أعماله: مروج الذهب. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 20:15.

شتمتك إياه، وأنه قرى أصحابك براحلتك(...) وقد أمرني أن أحملك على بعير مكان راحلتك، فدونكه."[1]

وقد اعتمد المسعودي أسلوب العنعنة ليضفي نوعا من المصداقية على روايته، بحكم أن غرضها التشدد في قبول النصوص وتصحيحها من الزيف والخطأ،" وبالنظر للحكاية في سطورها الأربعة، يظهر أن الراوي قد اختار لنفسه منذ الوهلة الأولى، الطريق الذي يسلكه بلجوئه إلى استخدام العنعنة، وفي هذه الحكاية تبدأ الأحداث تنحوا إلى العجائبية حين أخذت المسافة الفاصلة بين الحلم والحقيقة تضمحل وتتلاشى، وذلك حين رفع أبو البختري عقيرته ونادى: وآرحلتاه، ومما يزيد في تضخيم بؤرة السرد العجائبي في هذه الرواية، انه بعد مغادرة القوم المكان لحق بهم عدي بن حاتم وهو يسوق بعيرا، والملاحظ في هذه الرواية أن الحلم استحال فيها إلى حقيقة، والى واقع معاش مما أضفى عليها الطابع العجائبي المحير"[2]

ومما تقدم، وبعد ذكر بعض النماذج من الرحلات العربية، التي تعمد فيها مؤلفوها طبعها بالطابع العجائبي، يتضح لنا أن تجليات العجائبي في الرحلات، تتمظهر في الأسطوري والفلكلوري، وكل ما هو سحري، وكل ماله علاقة بالأمم والشعوب والمعتقدات المختلفة.

[1] – ينظر: خامسة علاوي. العجائبية في أدب الرحلات. رحلة ابن فضلان نموذجا. مرجع سابق. ص 138/ 140.

[2] – ينظر: المرجع نفسه. ص 140.

الفصل الثالث:

تجليات السرديـــــة والعجائبيــة في رحلة الغرناطـــي

الفصل الثالث: تجليات السردية والعجائبية في رحلة الغرناطي.

أولا: مسار الرحلة وأهميتها:

تقديم:

يعد أدب الرحلة رافدا من روافد الأدب، ومصدرا من مصادر الموروث الثقافي على مر التاريخ، إذ يجمع بين عناصر الخلق والإبداع، وثمة عجائبية وغرائبية بحيث يرتقي إلى مستوى الخيال الفني، ويبتعد عن الأسلوب الجاف والمادة التجريدية مما جعله متداولا بين القراء.

"ويعكس أدب الرحلات ويوثق كل ما صادف الرحالة عبر رحلاته كلها، حيث إن الكاتب أو الرحالة(...) يصف الأماكن التي زارها كلها، ويصف عادات الشعوب وأهلها ويقول كل المواقف التي تعرض لها خلال رحلته أو رحلاته التي قام بها خلال حياته. وكتب الأدب الخاصة بالرحلات هي المراجع الجغرافية، كما أنها مراجع تاريخية مهمة، إذ أنها تصف وبشكل دقيق جدا التفاصيل التي عاشها وعاصرها الرحالة في سفره، عدا عن الناحية الاجتماعية، ومن هنا أيضا استمدت كتب الرحلات متعتها، حتى إن كل من يقرأ كتب الرحلات يشعر بالمتعة الكبيرة، وكأنه عاش في تلك المدينة وفي تلك الفترة، فهي بمثابة فيلم سينمائي مصور يصف بشكل دقيق كافة التفاصيل خاصة إن امتلك الكاتب أسلوبا أدبيا شيقا في الكتابة."[1]

ومن الرحلات والكتب العجائبية التي تحضى بالعملية السردية وتتوفر فيها مجموعة من العناصر والأركان السردية، لاسيما الراوي الذي نجده يروي المشاهد ويوظف أساليب

[1] – فتيحة بخالد. تقاطعات العجائبي والغرائبي في أدب الرحلات. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية. مج5. العدد11. 2017م. ص243.

خاصة في روايته، نجد رحلة أبي حامد الغرناطي الموسومة بـ" تحفة الألباب ونخبة الإعجاب" حيث يعتبر الغرناطي من أهم الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين اللذين" لديهم اهتمام كبير في نقل ما عاشوه وما عايشوه وعاصروه من أحداث ومواقف، وقد بالغوا في بعض الأحيان في وصفهم، حتى وصلوا إلى درجة الخرافة في بعض الأحيان والأوقات."[1]

وقد نقلت رحلة الغرناطي جانبا كبيرا من تاريخ وجغرافية الشعوب، واعتمدت على كثير من عوالم الغريب والعجيب، فهي تحتوي على مادة علمية قيمة لابد للباحثين والدارسين اكتشافها واستخراجها.

ولابد أن ننوه بأن اختيارنا لرحلة الغرناطي " تحفة الألباب ونخبة الأعجاب " يعود إلى أن هذه الرحلة تتميز بالكثير من الأنماط السردية، التي تم إغراقها بكم هائل من الأساطير والخرافات والعجائب، والتي تتيح مجالا واسعا للفحص والدراسة السردية والعجائبية، باعتبار أن أبا حامد الغرناطي يعد مؤسس مدرسة العجائب العربية.

1_ مسار الرحلة:

من خلال تتبعنا لمسار رحلة الغرناطي نجد أنها كانت طويلة وشاقة، ويمكن القول إنها انقسمت إلى مرحلتين، حيث انطلق من الأندلس إلى مصر، ثم عاد إلى الأندلس مرة أخرى، لينطلق منها في رحلة طويلة إلى أصقاع العالم.

" بدأ أبو حامد رحلته إلى مصر سنة 508هـ، حيث نزل بالإسكندرية ليتصل بعلمائها ويأخذ عنهم، ثم انتقل بعدها إلى القاهرة للسبب نفسه، إذ من المرجح انه كان يعدّ نفسه لرحلة طويلة بضاعته فيها الفقه وعلوم الدين، ثم عاد أبو حامد إلى الأندلس ولكنه لم يقم فيها طويلا، إذ غادرها سنة 511هـ ولم يعد إليها البتّة، فكانت السنوات الأربع والخمسون

[1] – فتيحة بخالد. تقاطعات العجائبي والغرائبي في أدب الرحلات. مرجع سابق. ص 244.

الباقية من حياته ارتحالا مستمرا موصولا برحلته الأخيرة إلى جوار ربه، وحرص الغرناطي في رحلته الثانية على أن يعود إلى مصر عن طريق البحر."[1]

" وفي غضون هذه الرحلة الثانية مر أبو حامد على جزيرة سردينيا* وصقلية*، ليحط رحله بالإسكندرية ثم بالقاهرة، وفي سنة 516هـ نلتقي به في بغداد، حيث سمع أبا العز احمد بن عبيد الله بن كادش* وغيره، وهناك أقام أربع سنوات متمتعا بعطف الوزير يحي بن هبيرة* المشهور بحبه للعلم وبرعايته للعلماء والأدباء."[2] " ومما لاشك فيه أن إقامة الغرناطي في بغداد، لا تختلف في مغزاها عن إقامته في القاهرة أو الإسكندرية، من حيث السعي إلى الإفادة من علمائها والأخذ عنهم."[3]

ثم ها نحن" في سنة 524هـ، يخبرنا أبو حامد انه نزل بأبهر* المدينة الإيرانية، وفي العام التالي عبر بحر قزوين ليصل إلى مصب نهر الفولجا* في الأراضي الروسية، وفي

---

[1] – أبو حامد الغرناطي. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. تح و تق: قاسم وهب. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبو ظبي. والمؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط1. 2003م. ص11.

*: سردينيا أو سَرْدانية هي ثاني ابر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط (بعد صقلية وقبل قبرص) هي إقليم ذاتي الحكم من ايطاليا. ويجاورها جزيرة كورسيكا الفرنسية وشبه الجزيرة الايطالية وصقلية وتونس وجزر البليار الاسبانية، عاصمتها كالياري. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 20:30.

*: صقلية: اكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، وهي منطقة ذاتية الحكم في ايطاليا. تبلغ مساحتها 25708كم2 عاصمتها باليرمو. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/08م. 14:02.

*: هو أبو العز احمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن كادش، اخو المحدث أبي ياسر محمد، ولد في 432هـ ، وطلب الحديث وقرأ على المشايخ. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 20:30.

*: الوزير ابن هبيرة، احد الوزراء المشهورين، هو أبو المظفر يحي بن محمد بن الهبيرة الشيباني نسبا، ثم الدوري البغدادي الحنبلي، ولد سنة499هـ وتوفي في560هـ ، وهو فقيه ومحدث وكاتب. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 21:30.

[2] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. تح: إسماعيل العربي. منشورات دار الأفاق الجديدة. المغرب ط1. 1993م. ص8.

[3] – أبو حامد الغرناطي. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. مصدر سابق. ص12.

*: ابهر مدينة إيرانية تقع في محافظة زنجان، من أعلامها: أثير الدين الأبهري. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 20:45.

غضون الفترة التالية قام بثلاث رحلات إلى خوارزم*وفي سنة 530هـ دخل بلغار حيث مات احد أبنائه، وبعد ذلك بخمس عشرة سنة في "باشغرد"* أو "باشقرد" أي في هنغاريا*، حيث كان يمتلك منزلا في هذه المدينة، تزوج ابنه حامد بسيدتين من تلك البلاد وأقام هنالك بصفة دائمة."[1]

وبعد ذلك "عاد الغرناطي إلى من رحلته الأسيوية والأوربية إلى بغداد سنة 554هـ بعد غياب دام نحو ثلاثين عاما، ليحل ضيفا مرة أخرى على الوزير ابن هبيرة، وفي تلك الأثناء دفع إليه كتابه المسمى (المُغرب في عجائب المَغرب)"[2] ثم "بعد ثلاث سنوات، أي في سنة 557هـ استقر به المقام في الموصل، حيث نزل عند احد علماء هذه المدينة، واسمه الشيخ معين الدين أبو حفص عمر بن الخصر الازدبيلي، وهو مؤلف كتاب بعنوان (وسيلة المتعبين) والى جانب الضيافة وجد أبو حامد تشجيعا لدى هذا الشيخ لتسجيل مشاهداته وما صادفه من العجائب والغرائب أثناء رحلاته."[3] ويحدثنا الغرناطي عن ذلك فيقول:" ولما

*: نهر الفولجا: يعد أطول نهر في أوربا (3.690كم) ويمر في مناطق غرب روسيا، يعتبره الروس النهر القومي لهم ومصدر فخرهم. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/05/25م. 21:05.

*: هي واحة كبير تقع على دلتا نهر جيحون في غرب أسيا الوسطى، واليوم خوارزم أجزاؤها تنتمي إلى أوزبكستان وكازاخستان وتركمانستان، والخوارزميون هم سلالة تركية مسلمة سنية، حكمت أجزاء كبيرة من أسيا الوسطى وغرب إيران بين (1220-1077م) كانوا أتباع السلاجقة وأصبحوا حكاما مستقلين في القرن11م. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/08م. 16:20.

*: هو الاسم العربي للباشقر والمنجر وهم أتراك جاوروا الألمانيين على عهد متوارث، وهم مسلمون وأكثر عمائرهم على نهر دانوبا الكبير وعلى جنوبه قاعدتهم، وقد كان الباشغرد يسكنون المنطقة التي تعرف الآن باسم اوفا اورنبورج، وقد كان الباشغرد خاضعين للبلغار مدة من الزمن ولكن لغتهم كانت اللغة المجرية،وقد كان الروس هم الذين اكتشفوا في القرن السادس عشر أن الباشغرد أصبحوا امة إسلامية صحيحة الإسلام. ينظر: تحفة الألباب. ص70/69.

*: هنغاريا أو المجر، ورسميا الجمهورية المجرية، هي دولة أوروبية تقع في حوض الكاربات في وسط أوروبا، عاصمتها بودابست. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/08م. 16:10.

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص9.

[2] – أبو حامد الغرناطي. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. مصدر سابق. ص 12.

[3] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص 9.

وصلت إلى الموصل سنة سبع وخمسين، ونزلت في جناب الشيخ الإمام الزاهد الماجد، معين المسلمين ومحي سنن سيد المرسلين وخاتم النبيئين بتأليفه وسيلة المتعبدين، أبي حفص عمر بن محمد، متوخيا بتأليفه رضي الله تعالى وشفاعة نبيه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم (...) فشهدت من كرمه وإكرامه وتواضعه، وإنعامه وبره بجميع المسلمين(...) جزاه الله عني وعن جميع المؤمنين أفضل جزاء المحسنين، ولم يزل أبقاه الله، ومن المكاره وقاه يحثني كلما كنت ألقاه، أن اجمع ما رايته في الأسفار من عجائب البلاد والبحار، وما صح عندي من نقلة الأخبار الثقات الأخيار، فأجبته إلى ذلك(...) ورأيت أن اسمي هذا المجموع (تحفة الألباب ونخبة الأعجاب)."[1] ثم بعد ذلك" انتقل من العراق إلى الشام، فأقام بحلب عدّة سنوات، ليتوجه بعدها إلى خراسان حيث أقام بعض الوقت، وبعد ذلك إلى دمشق حتى توفي بها سنة 565هـ"[2]

لقد انتهت بذلك رحلته الطويلة رحمه الله بعد أن جاب مشارق الأرض ومغاربها، لكن روحه المثابرة المغامرة لازالت مستمرة تسافر عبر الزمن، متنقلة بين صفحات كتابه الذي خلد ذكراه إلى الأبد، ليتبوأ مكانه بين أهم الرحّالة العرب والمسلمين.

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق ص31/30.

[2] – أبو حامد الغرناطي. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. مصدر سابق. ص12.

2_ أهمية الرحلة وأثرها:

لقد أثارت رحلة الغرناطي اهتمام الدارسين سواء عند العرب أو عند الغرب وذلك لأهميتها العلمية بما تحويه من معطيات جغرافية وتاريخية وأدبية قيمة.

إن رحلة" (تحفة الألباب) نص طريف، انتخبته العقول من حكايات ومشاهدات تحمل الدهشة والغريب(...) حيث اتجه العلم الجغرافي خلال القرن السادس وما يليه إلى وجهة عجائبية صرفة، أي أن هم الناس اتجه إلى البحث عن عجائب الكون والأرض والمخلوقات ووصفها والمبالغة في ذلك الوصف، على اعتبار أن ذلك إظهار لقدرة الخالق سبحانه وتعالى على خلق المعجزات والعجائب وما لا يحيط به عقل بشر."[1]

بالإضافة إلى القصص العجيبة التي تزخر بها التحفة، نجد أنها تتوفر على معلومات قيمة" فالمعطيات التي تشمل عليها عن أوربا الشرقية، وشواطئ بحر قزوين* بصفة اخص حوض الفولجا الأوسط والأدنى، وعن شعوب القوقاز، ذات أهمية قصوى، فمن المعطيات الأساسية التي تحتوي عليها التحفة والتي لم يسبق إليها أبا حامد احد، ذكره لبلاد الألمان باسم نامس(أو نامش في بعض النسخ) (النمسا) وهو الاسم الذي كان يطلقه الصقالبة على الشعوب الجرمانية، وأبو حامد أيضا هو أول كاتب عربي يتحدث عن تجارة في عظام البشر وربما كانت عظام العمالقة، التي نشطت بين سكان ضفاف الفولجا ومنطقة خوارزم، وقد اثبت سارطون* أن هذه العظام قد ورد ذكرها عند مؤلفي العالم القديم، وكذلك يقدم أبو

---

[1] – روفيا بوغنوط. فتنة السرد وصورة الأخر في رحلة أبي حامد الغرناطي (تحفة الألباب ونخبة الأعجاب). مجلة إشكالات. جامعة العربي بن مهيدي. أم البواقي. الجزائر. مج:07. العدد:01. 2018م. ص

*: بحر قزوين: هو بحر مغلق يقع في غرب أسيا على مساحة تبلغ371.000كم^2 وهو اكبر بحر مغلق في العالم، يطل بحر غزوين على خمسة دول هي: روسيا وإيران وأذربيجان وتركمنستان وكازاخستان. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/08م. 16:30.

*: جورج سارتون: مؤرخ أمريكي،ولد في 31/ 8/ 1884م في بلجيكا، من أعماله: مقدمة في تاريخ العلوم، وأثناء إعداد كتابه تعلم اللغة العربية وسافر إلى الشرق الأوسط كجزء من أبحاثه وتفقد المخطوطات الأصلية لعلماء المسلمين، وقد كان واثقا ومتأكدا أن الإسهام الإسلامي في العالم كان العنصر الأكثر تأثيرا في تطور العلوم في العصور الوسطى في أوروبا،

حامد معلومات هامة، وتفاصيل يتفرد بها عن أصحاب الزرد(زريه كاران)، الذين يقطنون قرب دربند*(باب الأبواب) وهم الشعب الذي يسمى حاليا الكبجي."[1]

وقد ساهم أبو حامد في الجغرافيا، حيث نجد" المنطقة التي درست بعناية خاصة، من المناطق التي تعالجها (التحفة) هي روسيا والمناطق القديمة المجاورة لها، ويرجع الفضل الأول في ذلك إلى العلامة " دورن"* الذي بذل لذلك مجهودا متواصلا وكان من أول من اشتغلوا بإبراز اثر أبي حامد الغرناطي ومساهمته في الجغرافيا(...) وفي سياق معالجة أبي حامد للأصقاع الروسية يقول كراتشكوفسكي:(وأبو حامد احد الذين تظفر رواياتهم بأهمية خاصة بالنسبة لتاريخ شعوب اتحادنا السوفياتي، ولا تزال مادته في هذا الشأن تنتظر بحثا خاصا، يأخذ في حسابه المادة التي تجمعت منذ عهد دورن."[2]

بالإضافة إلى ذلك "فالمساهمة الأخرى التي قدمها أبو حامد في المنطقة، تتصل بالطريق التجارية التي يسلكها التجار البلغار، من (ويسوى) ليحملوا معهم السيوف غير المصقولة المصنوعة في أذربيجان ليبيعوها لهؤلاء الكفار ويشتروا في مقابلها فرو القندز*، ثم يحملها أهل (ويسوى) إلى ولاية قريبة من بحر الظلمات، فيبيعونها لسكان تلك المناطق

وكان غاضبا عندما تجاهلت دراسات العصور الوسطى الغربية هذه الحقيقة، توفي في 3/22/ 1956م.ينظر:موقع ويكيبيديا 2021/07/08م. 17:05.

*: وهي كلمة فارسية تعني باب الأبواب، وهي إحدى مدن داغستان التي تنتمي للكيان الفدرالي الروسي، تقع مدينة دربند على الساحل الغربي لبحر قزوين وهي ثاني اكبر مدن جمهورية داغستان. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/08م. 16:25.

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص18.

*: برنارد دورن: مستشرق روسي من أصل ألماني (1881–1805م) لغوي وأستاذ جامعي اهتم بلغة اليوشتوا واليشتون والأفغان عموما. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/08م. 16:25.

[2] – المصدر نفسه. ص20/18.

* القندز: أو القندس: هو من القوارض المائية ، يعيش عادة في الماء، يقوم ببناء السدود من أخشاب الأشجار التي يقوم بتقطيعها بأسنانه الحادة.

بجلود السمور*، وبهذه الوثيقة الهامة ثبت لدينا وجود علاقات تجارية، لا نعرف مدى اتساعها بين سكان جبال الأورال الجنوبية من المملكة الإسلامية، عن طريق بلغار* وعبر سخسين*، وبين حافة بحر القطب الشمالي."[1]

لقد تفرد أبو حامد في ذكره لبعض المعلومات وذلك لأنه تجول" في مناطق لم يطرقها احد من العرب قبله، وجمع ما استرعى اهتمامه فيها، من القصص التي أثارت شعور الدهشة والاستغراب في نفسه، وهو لم يدّع قط انه يكتب التاريخ أو يصف الممالك، ومع ذلك فهو يبذل قصارى الجهد لتحقيق ما يبلغ مسامعه، وتلك خصلة في علماء المسلمين في جميع الأجيال، وفي رواة الحديث بصفة خاصة."[2]

وفي حديثه عن غرائب الشعوب، نجد في" رواية أبي حامد عن بلاد السودان معلومات عن التجارة، ولاسيما تجارة الملح الذي يباع في غانة*بوزنه ذهبا (أو ربما باعوه بوزنين أو أكثر) وعن قوافل التجار التي تستغرق أسفارها من ستة أشهر، وكذلك نستخلص من (التحفة) معطيات عن أجناس السودان وأسلحتهم، وعن الحيات التي تعيش في بلادهم، وعن حيوان اللّمط وحمار الوحش والكركدن وأنواع الطير..الخ، كما يعرض المؤلف لأسماء المراكز الثقافية والتجارية الكبرى، مثل غدامس وسجلماسة وغانة (...) وكذلك يجب أن لا

*: السمور هو نوع من الثدييات يتبع جنس الخز من فصيلة العرسيات، يعيش في بيئات الغابات بشكل أساسي في روسيا، بدءا من جبال الاورال وعبر سيبيريا وشرقي كازاخستان وشمالي منغوليا والصين وكوريا واليابان، تاريخيا كان يتم صيده للحصول على فروه عالي القيمة. والذي لا يزال سلعة كمالية إلى يومنا هذا. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/08م. 16:45.

*: بلغار: مجموعة عرقية موطنها بلغاريا والمنطقة المجاورة لها، وهو عرق يتكون من قوميات مختلفة بعضها من أصول سلافية والبعض من أصول تركية. بنظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/09م. 17:05.

*: سخسين، الاسم الشائع بين الجغرافيين العرب هو سقسين. تقع على نهر الدنبيير، وكانت في القديم مدينة مشهورة. ينظر: تحفة الألباب. ص113.

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. 22/21.

[2] – المصدر نفسه. ص20.

* : الأصح أن تكتب غانا.

ننسى المعلومات التي يقدمها أبو حامد عن بعض جزر المحيط الهندي وعن سكانها، وأنواع من حيواناتها وما فيها من العجائب والغرائب، وذلك قبل ابن بطوطة بعدة قرون، ونحن يكفي أن نذكر هنا بأن العالم الفرنسي (كزانوفا)* قد عبر عن رأيه بأن أبا حامد هو أول جغرافي رحالة عربي، تحدث عن طائر الرخ الضخم، وذلك قبل أن يقدم لنا ابن سعيد وماركو بولو وصفهما له بعدة قرون."[1]

لقد كان للغرناطي اهتمام بالأبنية والمعالم الأثرية، حيث نجد في التحفة "معلومات فائقة عن الآثار القديمة، المتناثرة هنا وهناك في أصقاع الأرض، وقد أولى الغرناطي أهمية كبيرة للأبنية والمعالم التي تمثل ثلث الكتاب تقريبا، فقد رأى أعمدة هرقل عند مجمع منارة الإسكندرية مكتملة البناء قبل انهيارها، وأورد وصفا دقيقا لها، بالإضافة إلى تجواله في موقع على اعتبار انه نفذ إلى داخل هرم خوفو."[2]

بالإضافة إلى اهتمامه بعالم البحار ومخلوقاته، التي تثير الدهشة والخوف في آن واحد، حيث" تعج أيضا الرحلة بمعلومات فائقة الأهمية، عن أحياء البحر خاصة تلك المتعلقة بالأحياء البحرية في البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم) والمحيط الأطلسي (بحر الظلمات) أو البحر الأسود كما يسميه الغرناطي، والذي يبدوا من (التحفة) أن الرحالة دأب

*: بول كازانوفا: مستشرق فرنسي ولد في الجزائر عام 1861مسافر إلى باريس 1874م وتعلم بمدرسة اللغات الشرقية، وحاضر في الجامعة المصرية، من أهم أعماله: محمد ونهاية العالم. توفي عام 1926م. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/09م. 17:25.

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص23/22.

[2] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. إشراف: يوسف وغليسي. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. شعبة السرد العربي القديم. كلية الآداب و اللّغات. قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر. 2006/2005م. ص28.

على مخالطته زمنا، حتى تسنى له الإلمام بأوصاف مثيرة عن إحيائه ومخلوقاته، والتي قد تكون ذات أهمية فائقة بالنسبة لعلماء التاريخ الطبيعي."[1]

ونلاحظ أن أهمية (التحفة) على المستوى الجغرافي راجع لذكرها مناطق مجهولة لم تطأها أقدام البشر، ووصفه لمناطق بعيدة وغريبة، أما بالنسبة لأهمية الرحلة على مستوى البنية السردية، نجد أن أبا حامد الغرناطي" يخلق عالما خارقا وذلك بالارتكاز على العجيب والأساطير، وهي وفق سنة التطور الأدبي محاولة للانزياح من الكفاءات السابقة، وخلق نسق سردي جديد، وهذه الكفاءات التي أرساها نهلت منها الرحلات الأخرى لاعتبارين: الأول أن أبا حامد يعده النقاد من أوائل مؤسسي المدرسة العجائبية...والثاني انه اخترق أفقا بكرا لم يصل إليه احد قبله من الرحالة العرب، وبالتالي فإن الرحالة الآخرين قد أفادوا منه غاية الإفادة."[2]

ومن المؤكد أن هذين الاعتبارين قد فسرا سبب ظهور الرحلة بهذا التركيب، الذي يمتزج فيه الخيال بالحقيقة، فقد أثبتت التحفة" أنها بناء خصب قادر على امتصاص كم هائل من الأنساق الإيديولوجية واللسانية والأسطورية، وهي بناء لا يجب أن يفحص في مستواه السطحي إنما في العمق، فالقصة المرواة هي في الحقيقة قصة حضارة بأكملها، قصة رحالة لينقل تاريخها ونبضها الحضاري، وهي قصة قادرة لوحدها على إثارة المتعة والتشويق."[3]

فكل هذه المعلومات والمعطيات التاريخية والجغرافية والفلكلورية والطبيعية والدينية، جعلت من قصة الرحلة" قصة حضارية وعلمية وعقائدية، تتكلم داخل الرحلة بالخصائص

[1] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص29.

[2] – المرجع نفسه. ص22.

[3] – ينظر: المرجع نفسه. ص 27.

الحضارية العربية وأساليبها اللغوية، وأصولها الإيديولوجية التي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالدين الإسلامي."[1]

وفي الأخير، ومما سبق نجد أن رحلة الغرناطي قد حفلت بمعلومات دقيقة وقيمة عن جهات وأماكن من العالم لم يسبقه إليها احد، وهذا ما جعل أبو حامد من الجغرافيين المسلمين القلائل الذين تحدثوا عن شعوب مجهولة من قبل، كشعوب حوض الفولجا ومنطقة بحر الخرز ووصفهم ووصف عاداتهم وحياتهم " فقد نقل الغرناطي عن هذه الأصقاع شهادات جغرافية وحضارية وحقائق تاريخية في غاية الأهمية، وأضاء حلقات مفقودة في تاريخ هذه الشعوب، ورغم أن الغرناطي كان شديد الميل إلى الغرائب والعجائب، الأمر الذي جعله مؤسسا لمدرسة تقف على الحدود بين الجغرافيا الوصفية وأدب الرحلة، إلا انه ورغم التهويم الأسطوري لأوصافه يمكن أن نلتقط في خضم التموجات الأسطورية ـ التي لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحات الكتاب ـ حقائق تاريخية مهمة عن أحوال الشعوب التي تطوف بها الرحالة"[2]

.أثر الرحلة على مؤلفات أخرى:

لقد تأثر العديد من الرحالة الذين جاءوا بعد الغرناطي بأسلوبه العجائبي، فساروا على نهجه واستشهدوا بأقواله واقتبسوا من رواياته، فقد كان" لكتاب (تحفة الألباب) تأثير واضح في الأجيال التي جاءت بعد أبي حامد، وذلك على مستوى الجمهور وعلى مستوى الكتاب من الجغرافيين والكوزموغرافيين* والمؤرخين على حد السواء، فأما الجمهور فقد جذبه إلى الكاتب أسلوبه الرفيع ـ وهو لهذا ولغيره يمكن اعتباره تحفة أدبية ـ وما يقصه ويرويه من

[1] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص24.

[2] – المرجع نفسه. ص28.

*: الكوموزغرافيا: علم أوصاف الكون ورسم الدنيا. هو العلم الذي يبحث في مظهر الكون وتركيبه العام، يشمل علوم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا. ينظر: موقع ويكيبيديا. 2021/07/09م. 15:30.

مشاهداته الشخصية المسلية، وما ينقله عن الغير مما يزكيه ويثق بنقله من العجائب والغرائب، وهذا شيء تشهد به كثرة النسخ الموجودة في مختلف أقطار العالم من (التحفة) وأما الكتاب فقد استهوتهم في الكتاب تلك الروح العلمية، التي تدفع الكاتب إلى تحقيق ما يرويه وإسناده بعناية إلى من ينقله عنه، وكون القصص والحكايات التي يقدمها إذا كانت مسلية ومثيرة، فهي في اغلب الحالات تكتسي طابعا من الحقيقة، وكذلك يمكن بحق اعتبار أبي حامد مؤسسا لمدرسة تقف على الحدود بين أدب الرحلة والجغرافيا."[1]

لم يقتصر تأثير الرحلة على الأجيال التاليه لزمنها فحسب، بل امتد وشمل كتاب ورحالة من بلدان وعصور مختلفة ومتفاوتة، وقد انقسموا في تأثرهم بالغرناطي إلى طائفتين "طائفة اتخذته مصدرا للاستشهاد بأقواله وللاقتباس من رواياته، وطائفة اقتدت بمنهجه وقلدته وعمدت إلى اقتباس شذرات مهمة من التحفة. واهم الكتاب الذين تعرضوا لتأثير أبي حامد واستشهدوا بأقواله واقتبسوا شذرات من التحفة، هم حسب الترتيب الزمني:

. القزويني (605_682هـ) في كتابيه: (عجائب المخلوقات) و(آثار البلاد وأخبار العباد).

. ابن الوردي (691_749هـ) في كتابه: (خريدة العجائب وفريدة الغرائب).

. الدميري (742_808هـ) في كتابه: (حياة الحيوان الكبرى).

. القلقشندي (756_821هـ) في كتاب: (صبح الأعشى).

. تقي الدين المقريزي (766_845هـ) في كتاب: (الواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار).

. الأبهشي (790_852هـ) في (المستطرف من كل فن مستظرف).

. وابن إياس (852_930هـ) في كتاب (نشق الأزهار في عجائب الأمصار).

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص10.

فهؤلاء جميعا استشهدوا بأقوال أبي حامد، أو أبي حامد الأندلسي، ومنهم من يذكره باسم "مؤلف تحفة الألباب"، ومنهم مثل القلقشندي وابن إياس، من يقتصر على الإشارة إليه باسم "الإقليشي" وأما المقريزي فيكتفي بالإحالة إلى كتاب تحفة الألباب"[1]

ومن النماذج التي اقتبسها الكتاب والرحالة من رحلة الغرناطي، نورد بعضها:

. "مقتبسات للقزويني من تحفة الألباب: (لم ترد في النسخ التي بين أيدينا أو وردت بصيغ مختلفة) من كتاب عجائب المخلوقات(تحقيق ونشر وستنفلد ليبسيك 1845 في جزأين _ جزء1 صفحة124) بحر المغرب..فصل في جزائره: ذكر أبو حامد الأندلسي في كتابه الذي ألفه لابن هبيرة، أن بمجمع البحرين جزيرة فيها منار مبنية من الصخر الصلد الذي لا يعمل فيه الحديد...الخ."[2]

. "مقتبسات ابن الوردي من التحفة: في كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب (طبع القاهرة 1300ه) جزيرة الكنيسة (ص91): ذكر أبو حامد الأندلسي أن بهذه الجزيرة جبلا على شاطئ البحر الأسود، عليه كنيسة منقورة في الصخر وعليها قبة عظيمة...الخ."[3]

. "مقتبسات احمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى للقلقشندي (62/5): وقد وصف محمد بن عبد الرحمان الإقليشي هذه المملكة (الهند) في كتابه (تحفة الألباب) فقال: المُلك العظيم والعدل الكثير، والنعمة الجزيلة، والسياسة الحسنة...الخ."[4]

ونلاحظ أن القلقشندي قد أشار إليه بالإقليشي*، وهذه النسبة قد اختلف فيها العديد من الباحثين والدارسين هل تعود إليه أم لا، يقول المحقق إسماعيل العربي:" ونسبة الإقليشي

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص11/10.

[2] – المصدر نفسه. ص169.

[3] – المصدر نفسه. ص181.

[4] – المصدر نفسه. ص183.

وكونها تنطبق على أبي حامد، ظلت محل نزاع بين الباحثين حتى أثبتها العالم الروسي "دورن" نهائيا في سنة 1872م، وقد سانده في هذا الرأي "جاسطون فييت" في طبعته لخطط المقريزي، ومن جهة أخرى لاحظ "دورن" أن نسبة (الأندلسي) التي وردت في كتاب (مناهج الفكر ومباهج العبر) لجمال الدين محمد بن إبراهيم المعروف بالوطواط، تنطبق أيضا على أبي حامد، والمؤلف الوحيد الذي احترم عددا من الأسماء والنسب الكثيرة التي عرف بها أبو حامد فيما نعرف، هو ابن فضل الله العمري (700_749هـ) عندما نقل عنه فقرة في كتابه (مسالك الأبصار وممالك الأمصار) الذي ذكره باسم محمد بن عبد الرحيم الإقليشي الغرناطي."[1]

ويمكن القول أن دائرة تأثير رحلة الغرناطي على مؤلفات أخرى، بل وحتى آداب شعوب أخرى ، أوسع واكبر مما نظن، حيث" أن أعمال أبي حامد الرحالة الأندلسي تكاد تمثل الصورة الأولى، إن لم تكن المصادر الأساسية للبناء الروائي الحديث الذي ظهر في بلدان أمريكا اللاتينية، وبرع فيه كتاب من أمثال "جارسيا ماركيز" الكولومبي، والكاتب "فارجاس ايوسا" من بيرو، و"جورج أمادو" من البرازيل، والذي يصطلح النقاد على تسميته اتجاه الواقعية السحرية، والذي يرجح ما نذهب إليه هو أعمال الغرناطي التي ترجمت إلى اللاتينية والاسبانية منذ قرنين على الأقل."[2] وهذا الرأي وإن اتسم بالمبالغة نوعا ما، فإن فيه قدر كبير من الصحة، ولإثباتها نحتاج إلى تدقيق علمي يقوم على تقنيات الدرس المقارن.

*: نسبة إلى مدينة إقليش: كذا ضبطها ياقوت، مدينة وبليدة بالأندلس من أعمال طليطلة، نسب إليها ياقوت خلقا كثيرا، لكنه لم يذكر من بينهم أبا حامد، انظر عن اقليش معجم البلدان(237/1). ينظر" تحفة الألباب. ص07.

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص11.

[2] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص368.

3_ وصف كتاب " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب ":

يعتبر كتاب (تحفة الألباب) الكتاب الثاني الذي ألفه أبو حامد، بعد كتابه (المُغرب في عجائب المَغرب)، حيث" ألف أبو حامد الغرناطي رحلته (التحفة) بطلب من معين الدين أبي حفص عمر بن محمد ابن الحضر الاردبيلي، مؤلف كتاب (وسيلة المتعبدين) الذي يثني عليه أبو حامد في فاتحة الكتاب. ولم يبين الغرناطي رحلته على نسق منتظم، فقد كان كتابه غير منتظم أو مرتب بصورة تاريخية وجغرافية، وإنما هو مؤلف بالتداعي، فكل ما يرد على ذهنه يدونه، خاصة ما يتسم بالغرابة وما يمكن أن يثير الدهشة."[1]

نظن أن في هذا القول نوع من المبالغة، في حكمه على الكتاب بأنه مؤلف بالتداعي، أي كل ما يرد على ذهن الغرناطي يدونه مباشرة بطريقة عفوية غير مرتبة، فمن خلال النسخة التي بين أيدينا، يتضح لنا أن الغرناطي قد بذل جهدا في تمحيص ذكرياته ومشاهداته وتصنيفها في أبواب وفصول مثلا: (الباب الثاني: في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان، فصل في المباني...وهكذا) وهذا لا يتأتى إلا بطريقة منهجية في التأليف.

وقد " فرغ أبو حامد من تدوين كتابه (التحفة) في الثالث من إبريل سنة 557هـ الموافق للثاني والعشرين من مارس 1162م وكان بالموصل، بعد خروجه من بغداد واستقراره بالمدينة العراقية الثانية في كنف صديقه الشيخ معين الدين."[2] وجعله في أربع أبواب:

". **الباب الأول:** في صفة الدنيا وسكانها من انسها وجانها.

. **الباب الثاني:** في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان.

. **الباب الثالث:** في صفة البحار، وعجائب حيواناتها، وما يخرج منها من العنبر والقار.

---

[1] – ينظر: روفيا بوغنوط. فتنة السرد وصورة الأخر في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص58.

[2] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص359.

. **الباب الرابع:** في صفات الحفائر والقبور، وما تضمنته من العظام إلى يوم النشور."[1]

ونلاحظ هنا أن كل باب من أبواب الكتاب قد انفرد بوصف معين، لأشياء مختلفة يرى الغرناطي أنها تتميز بالعجائبية" ففي الباب الأول يتحدث باختصار عن الأرض، المعمور منها والمغمور وما تحتويه من أصناف الإنس والجن، والحيوان والنبات، ثم يذكر في الباب الثاني عجائب البلدان وغرائب البنيان، بادئا بارم ذات العماد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والمنسوب بناؤها إلى شداد بن عاد، وما أنفقه في بنائها من المعادن الثمينة والكنوز النادرة، ليجعل منها بديلا عن الجنة التي كان يعِدُه بها هود عليه السلام بعد الموت، ثم اختفاء هذه المدينة في طرفة عين عقابا لشدّاد على طغيانه وكفره. ثم يذكر قصة مدينة النحاس التي بنتها الجن لسليمان بن داوود في فيافي الأندلس بالمغرب الأقصى، وما بذله موسى بن نصير لمعرفة حقيقة هذه المدينة، ويلي ذلك حديث بحيرة الجن، وما جرى بين موسى بن نصير ومنسك بن النفرة من ولد يافث بن نوح، كما ذكر صنم قادس الذي بناه ذو القرنين في مجمع البحرين (الأطلسي والمتوسط) وسد يأجوج ومأجوج وعظمة بنائه ومنعته وسدّ البر من ارض شروان إلى بلاد اللّان بطول مئة فرسخ، وما بنته العرب من الأوابد كقصر غُمدان، وكنيسة القليس، وما خلفه الفرس من البنيان العجيب مثل: شادروان تُستر وقصر بهرام جور قرب همذان، وقصر اللّصوص بقرمايسين، وقنطرة سنجة، وأهرام مصر ومنارة الإسكندرية، ومنارة عين شمس، وغير ذلك من عجائب البنيان. ثم تحدث في الباب الثالث عن البحار، وما تشتمل عليه من عجائب المخلوقات، وما يخرج منها من العنبر والقار، وما في جزائرها من النفط والنار، ويذكر في الكتاب أشياء عاينها بنفسه، وأخرى سمع بها أو قرأ عنها، وكلّها مما يدخل في باب العجائب والغرائب، فأم الحيات مثلا رآها بعينه، وخاض معها معركة خاسرة، أما حكاية الرخّ الذي في جزائر الصين فهي مما سمع به، أو

[1] – الغرناطي أبو حامد. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب و تحفة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. مصدر سابق. ص12.

قرأ عنه في الكتب. ويتحدث الغرناطي في الباب الرابع عن صفات الحفائر والقبور، وما تضمنته من العظام إلى يوم البعث والنشور، فيبدأ بذكر الغار الذي فيه أهل الكهف، وقبر الأمير الظالم الذي يخرج منه النار والدخان في الأندلس، وحفيرة هود وحفير شدّاد، ثم يتحدث عمّا رآه من عظام الجبابرة في ارض بلغار وباشغرد، الرجل الذي لقيه في باشغرد من نسل العاديين، وطوله أكثر من سبعة أذرع! وكان يأخذ الفرس تحت إبطه كما يأخذ الإنسان الحمل الصغير!!، ثم يذكر عجائب القبور كقبر دانيال الذي سباه بختنصر، وقبر محمد المعلّم الذي يؤخذ ترابه للنجاة من هياج البحر وعواصفه، ومسجد عفّان بمصر، ثم يختم كتابه بحكاية عجيبة عن اكتشاف قبر الإمام علي رضي الله عنه، بعد سنة 530ه في قرية من قرى بلخ تسمّى الخير، حيث وجد الجثمان على حاله لم يذهب منه شيء، فبني على القبر مشهد عظيم أحسن وابهى من مشهد الغري."[1] وهذا إن دّل على شيء فانه يدّل على وعي الغرناطي ودقة ملاحظته في رسم ملامح الأصقاع التي طاف بها، والشعوب التي احتك بها، ومن اجل ذلك استطاع هذا الكتاب الصغير الحجم نسبيا أن يضمن لنفسه مكانا في أهم مكتبات العالم" فقد انتسخت من مخطوطة (التحفة) نسخ عديدة وتوزعت في مكتبات كثيرة، فمنها واحدة في باريس، وأخرى في لينجراد، وثالثة في المتحف البريطاني، ورابعة في الجزائر، وخامسة في أكاديمية التاريخ بمدريد، وسادسة في مكتبة كيمبردج، وفي مكتبة باريس الأهلية خمس نسخ، وقد نشر لنص "جابرييل فران" كاملا سنة 1925م كما قام بترجمته."[2]

[1] – أبو حامد الغرناطي. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الألباب ورحلته إلى أوربة وآسية. مصدر سابق. ص14/12.

[2] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع ساق. ص360.

4_ التحفة في عيون العرب والمستشرقين:

أثارت رحلة الغرناطي اهتمام المستشرقين والمستعربين منذ نهاية القرن الثامن عشر بينما نجد الدّارسين العرب والمسلمين لم يهتموا بها لا في القديم ولا الحديث، بل على العكس كثير منهم أجحفوا في حق الغرناطي ورموه بالكذب دون تثبت.

وعندما نتحسس التحفة في البحث الجغرافي الأوروبي، نجد أن" أول من تحدث عن (تحفة الألباب) من الباحثين الأوروبيين، فيما نعرف هو السائح والمستعرب الفرنسي "هربلو" في (المكتبة الشرقية) وقد ذكره بعنوانه الصحيح (تحفة الألباب ونخبة الأعجاب)، وفي سنة 1798 خصص "لانجليز" لتحفة تعليق وترجم منه قطعة في طبعته لكتاب "لويس نوردن" المعنون (رحلة إلى مصر وبلاد النوبة)، وقد ذكر في هذا التعليق أن أبا حامد يواصل سرده للأحداث حتى سنة 530هـ، وهو تقري غير صحيح، حيث إن كتاب التحفة قد حرر كما رأينا في سنة 557هـ. وفي سنة 1846م خصص "كورتن" واضع فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني (والفهرس مكتوب باللاتينية) وقد وصفه بأنه عبارة عن رسالة صغيرة في الكوزموغرافية لا قيمة لها.

وقد تحدث عنه "رينو" في مقدمته المشهورة للترجمة الفرنسية التي قام بها لكتاب (تقويم البلدان) لأبي الفدا، فأبدى هو أيضا تحفظا ملحوظا في رأيه في قيمة (تحفة الألباب)، فهو يرى أن المؤلف كان بوسعه أن يقدم خدمات كبرى في محيط الجغرافيا والتاريخ الطبيعي، لو أنه جمع إلى طبيعته المتشوقة إلى المعرفة نصيبا من الإطلاع وروح النقد. وبعد "رينو" ببضع سنوات وضع "مهران" نبذة عن سيرة أبي حامد الغرناطي، على مخطوطة كوبنهاجن. وكذالك تشتمل قوائم المخطوطات العربية التي وضعت بعد ذالك لمكتبات باريس ولندن كوبنهاجن وبرلين وسانت بيتر سبورج والجزائر، على ملاحظات ومعلومات قيمة عن (تحفة

الألباب)."[1]

ومن بين أهم الباحثين الذين اهتموا بدراسة التحفة وأنصفوها نجد" المستشرق الروسي "دورن"، فقد اطلع على النسخ المحفوظة في بيتر سبورج و كوبنهاجن وباريس من (التحفة) ودرسها بعناية قبل أن يستخلص منها النص الذي ترجمه إلى اللغة الألمانية، حيث وصفه بأنه عمل في غاية الأهمية (...وإنه ليمكن استخلاص حقائق جديدة وقيمة من بين العجائب والغرائب التي ينطوي عليها الكتاب...)، وهذا الرأي يتعارض تماما مع الحكم القاسي الذي كان " سيلفاستر دو ساسي" قد أصدره على (التحفة) منذ أوائل القرن التاسع عشر، ودون أن يكلف نفسه عناء درس الكتاب وذالك بوصفه إياه بأنه ذي قيمة كبيرة."[2]

وبالإضافة إلى دراسة "دورن" المنصفة ظهرت دراسة أخرى اتبعت نفس الأسلوب "ففي عام 1892م نشر المستشرق الألماني "جورج يعقوب" دراسة تحليلية متعمقة لكتاب (التحفة) ركز فيها اهتمامه، خصوصا على القسم الذي خصصه المؤلف لمصر والسودان وللأراضي الآسيوية الداخلية، فقد أعلن هذا الباحث تقديره لمساهمة أبي حامد بالمعلومات التي يقدمها عن هذه المناطق، فكان رأيه فيها ممتاز، ويفوق حتى حسن رأي "دورن"، وقد اثبت يعقوب في هذه الدراسة، أن كثيرا من روايات أبي حامد التي كانت من قبل تعتبر في نظر الباحثين مجرد أساطير وخرافات، تقوم على أسس واقعية وتدل على دقة ملاحظات الكاتب."[3]

لقد كان للمستشرقين "دورن" و "جورج يعقوب" دور كبير في الكشف عن الأهمية التي تحتلها التحفة، إلاّ أن أول من رد إلى أبي حامد وكتابه الاعتبار الكامل، وأعطى التحفة المكانة التي تستحقها، هو المستشرق الروسي الخبير في الجغرافية العربية "اغناطيوس

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص13/12.

[2] – المصدر نفسه. ص13.

[3] – المصدر نفسه. ص14/13.

كراتشكوفسكي" وذالك في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) حيث تعد تعليقاته وانتقاداته وأحكامه من أهم ما قيل عن التحفة، حيث نجد" المؤلف الروسي يصرح بدون تردد، بأنه من المستحيل تجاهل الغرناطي في تاريخ الأدب الجغرافي، فهو قد اكتسب شهرة عريضة لدي جمهور القراء، وقد راق كثيرا للأجيال القادمة، وبعدما يقول: إن ميله إلى الغرائب واضح ملموس بحيث لا يمكن إنكاره، ثم يستدرك مؤرخ الأدب الجغرافي العربي، وينقل رأي "كرامرز" الذي يقول: إن عرضه يتميز بالحيوية والتفنن، ويمكن بعد تمحيصه تمحيصا دقيقا، استخراج نتائج طيبة منه في مختلف النواحي."[1]

ومن تحليلات المستشرق "كراتشكوفسكي" لرحلة الغرناطي، نجده يقول:" ويورد أبو حامد أسماء رُواته بدقّة، ويتحدث عن نفسه بضمير المتكلم، ولهذا يمكن التفريق بسهولة بين مصادر مادته، وكثير مما يورده على لسان الغير لا يمثل في الواقع أهمية ما، وذلك لسهولة تصديقه للعجائب، واعتقاده فيها، ولكنه على أية حال يبذل دائما قصارى جهده لتوسيع نطاق معلوماته، ففي القاهرة مثلا يتجاذب الحديث مع أهل الحجاز عن عجائب الهند والصين حيث أمضى ذلك الرجل أربعين سنة من عمره، وفي بغداد يستفهم أحد مسلمي صقلية عن ثوران بركان أثنا، وفي هنغاريا يجمع أخبارًا مفصلة من أهل البلاد عن القسطنطينية والمشاكل السياسية فيها، وتنال أهمية خاصة روايته لما رآه بعيني رأسه، وهو يمثل ثلث الكتاب تقريبا، واهتمامه بالأبنية والمعالم المختلفة قد خلف لنا مقدارا ملحوظا من المعطيات الطريفة، فهو قد رأى أعمدة هرقل عند مضيق جبل طارق، وذلك قبل فترة قصيرة من انهيارها عام 1145م، وكان واحدا من بين الآخرين ممن رأوا منار الإسكندرية في صورته التامة، وآخر من ذكره كان الإدريسي، وبعين شمس قرب القاهرة رأى المِسلّة التي سقطت عام 1160م، كما نفذ إلى داخل هرم خوفو، ويعلق يعقوب على هذا بقوله إن هذه ليست

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص15.

هي الحال الوحيدة، التي قد تثير اهتمام علماء الدراسات المصرية القديمة في كتابه، ويصدق هذا القول على مجالات أخرى كثيرة، وإذا حدث أن وجد لديه علماء الطبيعة مادة، إلاّ أن معلوماته ذات قيمة كبرى فيما يتعلق باستفادة الإنسان من ثمار الطبيعة العضوية منها وغير العضوية، وليس من المستطاع بطبيعة الحال مقارنة معلوماته عن أوروبا من ناحية الكم بما أورده غيره من الجغرافيين، ولكن رغما من ذلك نجد من بينها معطيات قيمة."[1]

وبخصوص أراء العرب والمسلمين فيه وفي رحلته، يقول راغب السرجاني عن ذلك:"...على أن بعض المؤرخين العرب أصدروا بحق الغرناطي أحكاما سريعة ومقتضبة لا تقوم على أساس من الاستقصاء والتحليل، فمنهم من أثنى عليه، ومنهم من اتهمه بالكذب فالمقرّي يقول: انه رأى عجائب في بلاد شتّى، ونسبه بعض الناس بسبب ذلك إلى مالا يليق، وصنّف في ذلك كتاباً سمّاه تحفة الألباب، وكان حافظاً عالماً أديبا. أما ابن عساكر فقد وصمه بالكذب، في حين أن معطيات الغرناطي تسوّغ الرأيين معا، إذ ذكر وقائع رآها بأم عينيه اثبت البحث صحّة بعضها، مثلما ذكر أمورا يصعب تصديقها لأنها تدخل في باب الخوارق والأساطير كالعملاق ـ المار ذكره ـ الذي رآه في باشغرد، والسمكة التي يضيق بها مجمع البحرين مضيق جبل طارق، فترجع إلى البحر الأسود (المحيط الأطلسي)، وسوف يرى القارئ في هذا الكتاب مشاهدات عدّة يصعب تصديقها."[2]

ويشير راغب السرجاني إلى مسألة مهمة وهي" أن الغرناطي ألف كتابه بعد أن نيّف على الثمانين، جامعا بين دفتيه خلاصة نصف قرن ممّا عاينه خلال ترحاله في بلاد الله الواسعة، فمن منا لا تخونه الذاكرة في مثل هذه السن؟ وربِّ قائل يقول" لعل الغرناطي كان

[1] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مصدر سابق. ص16/15.

[2] – راغب السرجاني. أبو حامد الغرناطي. الأعلام ـ علماء الحياة ـ قصة الإسلام. 2017/06/18م. تاريخ الاطلاع: 2021/05/27م. التوقيت:14:30. www.islamstory.com

قد دوّن شيئاً من مشاهداته في أوراق متفرّقة، ثم قام بجمعها وتصنيفها فيما بعد، وهذا أمر ممكن ولكن ما قدمه صاحب الكتاب من انّه ألفه بناء على اقتراح من الشيخ الأربيلي الذي أشار عليه بذلك خشيةً على ما كان يرويه على مسامع الناس من الضياع."[1] وكأنه هنا يبرر للغرناطي طغيان الأسلوب العجائبي على مروياته، وأن ذلك جاء لظروف معينة، ولكننا نرى أن الغرناطي قد توسل للعجائبية طريقا ممنهجا، وقصده في ذلك تلبية روح العصر مخالفا الأنساق السردية الموجودة آنذاك، وهذا ما جعله مؤسسا للمدرسة العجائبية العربية.

وفي الأخير" ومع كل ذلك فلابد من أن نسجّل للغرناطي إعجابنا بتلك الروح المغامرة، والهمّة العالية التي لا تعرف الكلل، وهذا الفضول العلمي الذي يدلّ على رغبة حثيثة في الإطلاع والتنقيب عن الغريب والعجيب في هذا العالم، من قبل رجل تجاوز الخمسين من العمر جرؤ على اقتحام هذه الأصقاع النائية، وتحمّل مشاق السفر والترحال والإقامة في بلاد مغايرة متعدّدة الأعراق واللّغات والأديان والعادات، وهو لا يمتلك ـ على الأرجح ـ سوى الإسلام سلاحاً في هذه الرحلة الطويلة الشاقة يحمله بين جنبيه ليعلّمه وينشر تعاليمه بين أقوام أكثرهم حديث عهد به، وهم بحاجة إلى من يوضّح لهم معالمه ومراميه، والعمل به على نحو جليّ."[2]

[1] _ راغب السرجاني. أبو حاد الغرناطي. مرجع سابق.

[2] – المرجع نفسه.

ثانيا: الرحلة الغرناطية سرديا وعجائبيا.

توطئة:

إن المتأمل في التراث العربي الإسلامي، يرصد العديد من الظواهر العجيبة والغريبة التي ميزت الحياة الإنسانية بمختلف أشكالها وأنواعها، فالسرد العربي القديم لطالما وفّر نصوصا ونماذج تراثية تقوم على الغرابة والتردد بين الحقيقة والخيال، ما يجعل المتلقي يرتاد فضاءات مجهولة تتجاوز الواقع.

وهذا الأمر يدّل على أن الأديب العربي كان" ممتلكا للّغة السردية، بارعا في الأداء السردي، حيث نجده مكتسبا للعناصر والقواعد السردية، متحكما في وصف الأمكنة وتحريك الشخصيات، وتفعيل الحبكة ومسرحة الإحداث."[1]

ومن هذه النماذج التراثية نجد الرحلات التي تتموضع في الأدب لتحمل من العجائبي بمادتها الموغلة في القدم، التي تقوم على إرتياد حقول مجهولة المعالم، وقد استمد الرحالة القدرات السردية التي تعدّ المادة الأولية في بناء المعمار السردي، من خلال ليالي السّمر والنوادي الشعرية والأسواق وحلقات العلم التي استوعبت طاقة القص عند العرب، فجاءت نصوصهم متأثرة بقصص القرآن والحديث، وأيام العرب وأخبار الأمم السابقة وقصص الجن والعفاريت،" وامتزجت في هذه النصوص المعلومات بالمغامرات، والواقع بالأساطير، ذات الكاتب ومشاهداته التجربة، والحكمة مع الخيال، السحر مع الغرائب والعجائب."[2]

ومن خلال تتبع النصوص الرحلية، نلاحظ أن" سلطة السرد هي المهيمن الأسلوبي الأول على أدب الرحلة، لأنه يحتوي على قصة تضم أحداثا معينة(...) حيث يصاحب النص حركة التاريخ الإنساني في تطوره وتفاعله، ونص الرحلة هو نص موازٍ للتاريخ يمتص

[1] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص22.

[2] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص13.

منه ويجري مجراه، رغم أنه في بعض الأحيان يفارقه وينفصل عنه، لما يتعلق الأمر بالمبالغة في القصد وسرد العجائب ورواية الأساطير والغرائب."[1]

فالرحالة مثله مثل أي سارد ينبغي أن يكون قادرا على صياغة النص ومعالجته بأسلوب يقنع القارئ بالتخييل الذي يصنع أحداث الحكاية، ويجعله يشعر بالتردد والحيرة في تقبله، كما أن" إنتاج النص على مستوى أدب الرحلة لصيق بذات الرحلة، أي على مستوى هذه الذات يتم تجميع وتصنيف ومن ثمة تأليف الموضوعات وجعلها ذات طابع متجانس من خلال تبني أسلوب أدبي إنشائي، وهو خلال كل ذلك سيقحم أناه ويصبح بؤرة الرواية بمصطلح علم السرد، بالإضافة إلى انه راوٍ ممثل داخل الحكي، وهو ما سيضاعف من ذاتية الرحّالة المؤلف، ذات الحساسية الحضارية المفرطة."[2] فهو يسجل كل مشاهداته بدقة عالية تشمل جميع التفاصيل من تاريخ بدء الرحلة إلى خطة سيرها إلى الأيام التي قضاها في كل مدينة أو قرية أو جبل أو بحر...الخ.

" فالرحالة ليس إنسانا عاديا، فهو ذو قوة نفسية كبيرة، وطاقة حضارية وعلمية عالية كل ذلك يعطيه منحا خاصا في اختراقه للأقاليم ومخالطة الأمم والثقافات، فتثير في نفسه حركة الانتقال، فوق المكان وعبر الزمن ورعشات نفسية من التأثر والدهشة والغرائبية، كل هذا الاهتزاز الحضاري والجغرافي لا يمكنه أن يكبح، بل يتم تخريجه بحركة أسلوبية مماثلة على مستوى الشكل المادي للنص، وبالتالي فإن الرصيد المعرفي المنقول يصاحب قالب أسلوبي، يربط عناصره المشتتة ويعطيها انسجاما موضوعيا على مستوى نص الرحلة."[3]

[1] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص20/19.

[2] – المرجع نفسه. ص19.

[3] – المرجع نفسه. ص نفسها.

ولذلك جاءت الرحلة تتضمن" كثيرا من المعلومات، وتسجيل المشاهدات وسرد للمغامرات والعجائب والغرائب التي تصادف الرحّالة، ويصاغ كل ذلك في أسلوب قصصي بديع يؤكد الواقع أحيانا، وينشئ لنا عوالم خيالية أحيانا أخرى."[1]

وقد أردنا الوقوف في دراستنا التطبيقية لرحلة الغرناطي (تحفة الألباب) على تمظهرات السرد العجائبي، وقد اخترنا هذه الرحلة لأنها تتميز دون غيرها بحضور بناء سردي يضم كما هائلا من العجائب والغرائب والخرافات والأساطير، وهذا يرجع لكون الغرناطي يعد مؤسس مدرسة العجائب العربية.

ولكن في البداية لابد أن نشير إلى أن نص الرحلة يعد نصا صعبا من الناحية الشكلية والبنيوية، وعند التعامل معه" فإنه ينفتح على عالم غزير الثراء، شديد التكثيف من الناحية المعرفية والفكرية، وهو ما يجعل افتضاض النسيج اللّغوي لأجل تفريغ محمولات النص وتطويقها بالمعاينة والدرس عملاً شاقاً، يستدعي الإلمام بمجموعة من الآليات النقدية والإجراءات المنهجية، والتي تتوزع على التخصصات العلمية التي يحيل عليها عالم الرحلة لذلك فإن القراءة في هذا النوع من النصوص تتوخى التعددية."[2]

وعندما نتأمل النص نلاحظ أنه" تزداد الصعوبة على مستوى رحلة الغرناطي من ناحية الخاصية المنهجية التي اعتمدها في إنتاج نصه، حيث تتخذ رحلته طابعا خاصا، فهي تجمع إلى جانب الجغرافيا الملتقطة أثناء قيامه برحلته الفعلية، جغرافيا كونية مستجمعة عن طريق التناص مع نصوص الرحالة الآخرين، المبثوثة في الأدبيات الجغرافية المزدهرة آنذاك علاوة على استدعاء الموروث الديني، ينضاف إلى هذا الجهد الجغرافي محاولات لتطويق

[1] – فاطمة الزهراء عطية. العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي. ومنامات ركن الدين الوهراني. إشراف علي عالية. رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب واللغة العربية. جامعة محمد خيضر. بسكرة. الجزائر. 2015/2014م. ص23.

[2] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص31.

تاريخية الحضارة الإنسانية، ليس على مستوى القرون الوسطى زمن إنتاج النص، وإنما بالتوغل إلى أعمق المواقع الجغرافية التي تتيحها ثقافة الرحالة"[1]

وبالإضافة إلى كل ذلك نجد أن نص الرحلة" يختزن مجموعة من المعطيات الانتروبولوجية والحضارية واللّلبوس والاجتماعية والعقائدية التي تنبثق من الفضاءات الجغرافية المخترقة، التي يتم تعويمها بالطابع الأسطوري الذي يلف أرجاء النص، كل هذه التشبعات المعرفية والتموجات الايدولوجية لابد أن تحتكم إلى ثقافة عالية، وتستدعي تحكم علميا في أصول الانشغال الفكري في القرون الوسطى."[2]

وهذا الأمر جعل من غير الممكن" أن نربط بين هذا الطابع السردي المبعثر من حيث تناوبه الزمني بين الحاضر والماضي، وما يعرف على مستولى البنية الزمنية للأجناس المستحدثة بالمفارقات السردية، والتي تنتج عن كون القصة متتالية مزدوجة الزمن، فهناك زمن الشيء المسرود وزمن السرد، زمن الدال وزمن المدلول، حيث يتميز الأول بتدفقه وفق الترتيب التاريخي المعتاد، أما الثاني فيتميز بتشويش على التركيب الخطي بواسطة عمليات الاستذكار والاستشراف."[3]

وإذا عدنا إلى التحفة نجد أن" هذا التناوب الزمني لا يتم بشكل عضوي بين أطراف الزمني للرحلة، لغياب هذه الوحدة الزمنية أصلا، فلاستذكار أو العودة إلى زمن أقوام ما نجده منفصلا عن زمن الحدث الذي قبله، حيث يستحيل فيما بعد استخلاص الطرف الأول من المتتالية الزمنية (...) وبالتالي فإن هذا الاستذكار إنما يتم على مستوى هذه البنية الكلية ومحاولة رسم تطورها."[4]

---

[1] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص31.

[2] –. المرجع نفسه. ص32.

[3] – المرجع نفسه. ص26.

[4] – المرجع نفسه. ص نفسها.

وهذا الأمر جعل عملية تتبع البناء السرد ومحاولة تفكيك عناصره، في شكل مرتبط ومتتالي ضمن بنية واحدة، للوقوف على تمظهراته داخل النص عمل صعب ومعقد، وذلك لأن" المكان جغرافيته ممزقة، لا رابط بينهما ثم إن وظائفها التحفيزية والدّلالية منفصلة عن الحدث والشخصية، وكل منهما يشيح بوجهه عن الأخر، حتى غدت التحفة عالما سرديـــا ممزقا تائه العناصر السردية (...) وأما الانتظام الوحيد في فضاءات الرحلة، فيتحقق في تواجد نوعين من الأماكن، أماكن المجتمعات العربية وأماكن المجتمعات الغير العربية."[1]

ولكن رغم ذلك فقد امتلكت التحفة بناءًا سرديا خصبا، قادر على احتواء العديد من السياقات الزمانية والمكانية على اعتبار" أن رحلة الغرناطي حوت بعض البنى الصغرى ذات المبنى الحكائي المتكامل، ومنها قصة مسجد عثمان* التي تمتد من الصفحة 143 إلى الصفحة 147*."[2]

ولابد من الإشارة بإيجاز" إلى خصائص السرد وما جاء في تحفته من الناحية الفنية(...) لأنه خلق فنون سردية جديدة، اشتملت على الكثير من الأساطير التي كان لها حضورا بارزا في بناء سردي يشدّ أطراف القص مع بعضه."[3] ومن كل هذا يبدوا" أن رحلة الغرناطي تميزت بأدبياتها عن باقي الرحالات، وسرد الكثير من العجائب والغرائب والاستعانة بالخيال الواسع لكاتبها، وهذا الخيال يظهر جليا عند عرضه بطريقة مشوقة كما

[1] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. مرجع سابق. ص 27.

*: في النسخة التي بين أيدينا، اسمه عفان.

*: في النسخة التي بين أيدينا، تمتد القصة من الصفحة 159 إلى الصفحة 162.

[2] – المرجع نفسه.ص 27.

[3] – خلف محمود حسين. بنية السرد في أدب الرّحلات الأندلسية. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب.لأبي حامد الغرناطي. دراسة تحليلية. مجلة الدراسات التاريخية والحضارية. مج9. العدد31. 2017م. ص428.

جاء في ثنايا الرحلة، وذكر العجائب والغرائب الذي أجاد سردها الغرناطي في سياق حديثه."[1]

إذن أول ما يتجه إليه البحث هو تحليل البناء السردي، فهو المقوم الأساسي في بناء هذا الجنس الذي يستدعي عدّة مكونات متداخلة ومتباينة، كالمكون الخاص بالشخصية والمكون الزمني والمكون المكاني.

وبما أن الرحلة يطغى عليها طابع التعجيب احتجنا إلى منهج للقراءة العجائبية التي تشكل عالما خاصا له قوانينه وإجراءاته، وذلك بالبحث على العلامات الخصوصية للعجائبي، ويتم ذلك عبر الوصف وذكر التفاصيل المتعلقة بالتصوير الخارجي، وكذلك البحث في خصوصيات شخصياتهم وبنية الزمن والمكان فيه، على أننا ننوه إلى أن هذه القراءة ليست بمفصولة عن القراءة السردية للرحلة بل هي جزء منها.

وحتى تكون الدراسة شاملة استشعرنا وجوب الإشارة إلى عنوان الرحلة بشيء من التفصيل، باعتباره البوابة الأولى التي ننفذ منها إلى عالم الرحلة.

العنونة في الرحلة:

إن العنوان هو المحور الأساسي لأي عمل أدبي، فهو مفتاح للدخول إلى مناطق النص العميقة، فكل ما في النص مستند عليه، فهو جزء مهم لا يفهم النص بدونه، فهو قد يفسر ما فيه ويلخص مضمونه، ويعطينا فكرة عامة لما سنلقاه فنتهيأ له، وهذا ما لاحظناه في رحلة الغرناطي التي عنونها بـ" تحفة الألباب ونخبة الأعجاب " وهو عنوان مناسب لمحتوى الرحلة، بل يشكل افتتاحية جيدة لموضوعه، وكأن الغرناطي في اختياره لهذا العنوان يهيئ المتلقي لعالم ملؤه المتعة المتشكلة من العجيب والغريب، والذي يصدقه متن الرحلة فلا

[1] – خلف محمود حسين. بنية السرد في أدب الرّحلات الأندلسية. مرجع سابق. ص425.

نكاد نجد فصلا من فصولها لا تطالعنا فيه عجيبة من العجائب، كما يوحي بروح المغامرة والاستكشاف التي إمتلكها الرحّالة.

وعند التأمل في العنوان نجد أنه" قائم على نظام سجعي يتكون من مركب اسمي (تحفة الألباب) + حرف عطف + مركب اسمي (نخبة الإعجاب)، وبالعودة إلى القاموس نجد:

تحفة: جاء في لسان العرب، التُّحفة: الطرفة من الفاكهة وغيرها من الرياحين، أتحفت الرجل تحفةً، وهو يَتَوَحْفُ، التُحْفَةُ ما أتحف به الرجل من البرّ واللّطف.

الألباب: العقول، لب الرجل ما جُعِلَ في قلب الرجل من عقل.

نخبة: نَخَبَ، انتخب الشيء اختاره، والنخبة ما اختاره منه، ونخبة القوم ونخبتهم أخيارهم.

الأعجاب: عجب: العُجْبُ والعَجَبُ إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده، وجمع العَجِبِ أعجاب."[1] ومنه فالعنوان له أهمية خاصة مقارنة مع العناصر الأخرى، ومن خلال بنيته المعجمية والتركيبية يمكن أن يحدد نوع النص وموضوعه وشكله.

[1] – ينظر: أميد جيهان بخت ليلي. آليات التوثيق في رحلات أبي حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. نصف سنوية دولية محكمة. السنة10. العدد30. 2020م. ص59.

1_الرحلة الغرناطية سرديا:

بما أن الرحلة تعد شكلا نثريا، فهي لاشك خطاب سردي مستقل بذاته، ومميز بسماته، رغم كونها نصا مفتوحا يستوعب العديد من الأنواع السردية، لذلك على الرحالة أن يتوسل طريقا يجيد سيرها، حتى يوصل لنا المعلومات ويصور المشاهد وينقل الأخبار ويروي الأحداث بطريقة حيوية تضفي روحا على الرحلة فنتمثلها أمامنا، ونستشعرها بحواسنا ونشاركه كل خطوة خطاها، وهذا ما نجده في التحفة، فقد أجاد الغرناطي سرد رحلته وتحكم فيها بطريقة أثرت على المتلقي وأثارت مخيلته، فالرحلة بما تحويه من أحداث ومشاهد سيبقى سردها متداولا في أماكن وأزمنة مختلفة، ولذلك لابد لنا أن نخضع بعض النماذج القصصية من رحلة الغرناطي، حتى نرى مدى تمكن الغرناطي من تقنيات السرد، على مستوى الزمن والمكان والشخصيات.

ومن هذه النماذج اخترنا قصتين استشعرنا فيهما أنهما ذات بناء سردي مكتمل نوعا ما، وطبقنا عليهما آليات التحليل السردي، وهما قصة مسجد عفان، وقصة قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

_ تحليل قصة مسجد عفان:

. الزمن:

على حد تعريف غاستون باشلار:" إن الزمان حي والحياة زمانية."[1] أي أن الحياة مليئة بالأزمنة ما دام الإنسان موجودا فيها، والأزمنة تتغير وليست ثابتة، فهي متغيرة بتغير سلوكيات وتوجهات الناس، فالزمن" مفصل أساسي من مفاصل الكائن الإنساني، يدخل ويتدخل في مراحل حياته كلها، بدا من ميلاده حتى موته، فالزمن يكون ثنائية الموت والحياة

[1] – غاستون باشلار. جدلية الزمن. تر: خليل احمد خليل. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط3. 1992م. ص15.

بالنسبة للوجود الإنساني."[1]

وحتى نكون واضحين نستعرض أهم محطات القصة، حيث نجد أحداث القصة تتمثل فيما عاشه عفان قبل وفاته.

ـ تبدأ القصة عندما يشتري عفان غلاما زنجيا، ومن بين الأعمال التي كلفه بها هو أن يعينه على سجر التنور فيقوم الغلام بحرق ثياب سيده، ولكن عفان تكون ردة فعله عجيبة فعوض أن يغضب ويعاقبه، بل على العكس يعامله بحلم ورفق ولا يكتفي بذلك فقط بل يعتقه ويشهد على عتقه، وهذا ما جعله يكبر في عيون الناس جراء ذلك الفعل النبيل.

ـ مغادرة عفان إلى بلاد الهند لممارسة التجارة بطلب من أحد التجار.

ـ وصول عفان إلى عدن، ثم ركوبه في السفينة التي ألقتهم إلى بلاد الزنج بعد عاصفة شديدة، ليفاجئ أن ملك تلك البلاد هو ذلك الغلام الزنجي الذي أعتقه، فينكفئ ذلك الملك على أقدام عفان يقبلها، ويحسن إليه بأن يبعث معه سفينة محملة بالأموال مالا نهاية له وبالعبيد وبالبضائع.

ـ مساعدته العظيمة لإمام بلدته الذي وقع في ورطة، بعد أن استخدم مالاً كان عنده وديعة في تزويج بناته، وبعد مدة جاء صاحب المال يطالب بماله، فلم يجد ذلك الإمام إلا الهروب من المنطقة خشية الفضيحة، ولكن عفان يكون له رأي أخر، فيتنكر ويساعد الإمام من حيث لا يدري، وعندما ينفرج عن الإمام همه يحاول إعادة المال فيأبى عفان ويهبه له، فيصير ذلك الإمام ببركة عفان من الأغنياء.

وأمر عفان مشهور بمصر وفي جميع بلاد المغرب لإحسانه وكرمه، وهذا ما جعل الناس يبنون على قبره مسجدا يتبركون به ويزورونه.

[1] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار– الدقل– المرفأ البعيد). منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة. دمشق. ط1. 2011م. ص226/225.

نجد أن الغرناطي بدأ بسرد أحداث الماضي وكأنها وقعت في الحاضر، كحيلة سردية لإيهام القارئ بواقعية القصة وصحتها، إذن بنية الزمن في قصة عفان تنطلق من الحاضر إلى الماضي.

. الترتيب الزمني في القصة:

يهتم السارد في قصه على عنصرين أساسين لعرض أحداثها وهما: الاستباق والاسترجاع، وذلك لإضفاء التشويق والحيوية عليها.

.الاسترجاع: وهو أن" يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها."[1] ومن أنواعه:

.الاسترجاع الداخلي: وهو أن السارد" يعود إلى ماض لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص."[2] ونجد ذلك في قوله:" كان عارف رحمه الله، لا يرد سائلا، وعمل من الدور والخانات والدكاكين والحمامات كثيرا، وأوقف الكل على الفقراء المسلمين، وهذه داره جعل فيها هذا المسجد."[3] هنا يذكر الغرناطي بالأفعال التي قام بها عفان قبل وفاته.

ونجده في مقطع آخر" وكنت أقف عند قبره، وارى كثرة من يدعوا له بالرحمة كل ساعة، حتى الصبيان الصغار أبناء السنتين وخمس سنين، فكنت أتعجب مما سهل الله له من الخير حيا وميتا."[4]

.الاستباق: ويكون" عندما يعلن السرد مسبقا عما سيأتي لاحقا قبل حدوثه."([1]) أي سرد حدث قبل وقوعه، ونجد ذلك في قول الإمام:" أما أنا فاني غدا في السحر، اخرج إلى

---

[1] – سيزا قاسم. بناء الرواية. "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ". دار التنوير للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط1. 1985م. ص54.

[2] – المرجع نفسه. ص54.

[3] – التحفة. ص160.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

البادية بحيث لا يسمع لي خبر، فان صاحب المال قد جاء وأنا استحي من الفضيحة."[2] فهنا استبق القول قبل حصول الحدث، فالإمام استبق خبر هروبه من الفضيحة والعار قبل حدوثها وقبل شروعه في فعل المغادرة، فالاستباق هنا يستشرف الزمن، ويتطلع لما هو آتٍ لذا فقد يتحقق هذا الأمر أو لا يتحقق.

وقبل ذلك نجده في قول زوجة الإمام:" أن هذا المال وديعة عندك، تشتري به عقودا وحليا لبناتك وتجهزهن به ويدخلن عند اكفائهن وتستريح من همهن، فإذا حصلن عند الأزواج، وجاء صاحب المال جمعنا ذلك الحلي والجوهر وجعلناه ذهبا، وبقيت بناتك عند أزواجهن."[3] هنا أسبقت الزوجة زواج البنات قبل حصول الحدث(الزواج).

.**التلخيص:** يعني التلخيص" سرد أحداث ووقائع جرت في مدة طويلة(سنوات أو اشهر) في جملة واحدة أو كلمات قليلة، انه حكي موجز وسريع وعابر للأحداث دون التعرض لتفاصيلها، يقوم بوظيفة تلخيصها."[4] ونجد ذلك في القصة" فلما كان بعد ثلاث سنين جاء صاحب المال، فدخل على الإمام في الجامع ويلم عليه ورحب به، وقال له: وديعتك غدا تأخذها."[5] هنا يكمن التلخيص في عبارة (بعد ثلاث سنين)، فالراوي لخص ما حدث في فترة زمنية ببضع كلمات، ولم يتطرق لتفاصيل ما حدث في تلك السنين.

.**الوقفة:** هي تقنية من تقنيات تعطيل السرد إلى جانب المشهد، وقد عرفها حميد الحمداني يقوله:" توقفات معينة يحدثها الراوي بسبب لجوئه إلى الوصف، فالوصف يقتضي

[1] – بوعزة محمد. تحليل النص السردي. تقنيات ومفاهيم. الدار العربية للعلوم. منشورات الاختلاف. ط1. 210م. ص89.

[2] – التحفة. ص161.

[3] – المصدر نفسه. ص161.

[4] – بوعزة محمد. تحليل النص السردي. مرجع سابق. ص93.

[5] – التحفة. ص161.

عادة انقطاع السيرورة الزمنية ويعطل حركتها"[1] فهي تقنية مهمة في إدارة الأحداث وترابطها. وقد عرفت قصة عفان توظيفا لهذا العنصر، وهو يتمثل في قول الغرناطي:" وفي وسط مصر مسجد فيه قبر لرجل يقال له عفان، وهو بين طريقين في ركن، وله شبابيك من حديد، كل من مرّ به من الناس، يقول: رحمك الله يا عفان."[2] فنجد هذه الوقفة على لسان السارد يصف فيها مكان المسجد الموجود فيه قبر عفان.

.**المشهد:** هو المقطع الحواري بين شخصيات القصة" الذي يأتي في كثير من الروايات في تضامين السرد، والمشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث الاستغراق."[3] ويرى "تودوروف" أن المشهد" هو حالة التوافق بين الزمنين، ولا يمكن لهذه الحالة أن تتحقق إلا عبر الأسلوب المباشر."[4] ومن المشاهد التي نجدها في القصة:" فقال الملك للترجمان: قل له: ألست عثمان*الخياط بمصر الذي اشتريت غلاما زنجيا، واحرق ثيابك وأعتقته وزودته ولم تضربه ولم تؤذه، وقد أساء إليك؟ فقال عفان: نعم أيها الملك، فقال الملك: أنا عبدك الذي أعتقتني، وأعطاني الله هذه النعمة ببركة إحسانك إلي وجميع هذه المملكة لك، فاجلس عندي وأنا ملك هؤلاء وأنت ملك علي."[5] ليجيبه عفان بعد أن حمد الله، فقال:" أيها الملك أنت لي كالولد، وبلادكم لا تصلح

---

[1] – حميد الحميداني. بنية النص السردي. من منظور النقد الأدبي. المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ط1. 1991م. ص76.

[2] – التحفة. ص160.

[3] – حميد الحميداني. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي. مرجع سابق. ص78.

[4] – تزيفيتان تودوروف. الشعرية. تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة. دار توبقال للنشر.الدار البيضاء. المغرب. ط2. 1990م. ص49.

*: هكذا وردت في النسخة التي بين أيدينا، والاسم الصحيح هو عفان، وهذا إما أن يكون خطأ مطبعي أو انه اسم أو لقب أخر يعرف به الرجل.

[5] – التحفة. ص159.

لي لكثرة الحر وعدم الجنس."[1] فالمشهد هنا هو تبادل الحوار بين الشخصيات المتمثلة في الملك وعفان.

ونجد مشهدا آخر في القصة:" فقال له ذلك التاجر: يا سيدي، جئت إليك في حاجة لك فيها ثواب ولي فيها معونة، ولا تردني، فقال: افعل إن شاء الله، فقال: إني أريد الذهاب إلى الحج، فاني أخاف عليه إن كان معي."[2] فالحوار هنا بين التاجر المغربي وإمام مسجد عمرو بن العاص من اجل أن يترك عنده وديعة، وأيضا يوجد مشهد في قول زوجة الإمام له:" إن هذا المال عندك وديعة تشتري به عقودا...الخ"[3] ومشهد أخر حينما جاء صاحب المال ودخل على الإمام في الجامع، فقال الإمام:" وديعتك غدا تأخذها، فقال: متى شئت."[4]

وفي مشهد أخر بين الإمام وعفان:" فسأله عفان: من هو وما حاله؟ فقال له الإمام: ومن أنت؟ فقال عفان: رجل غريب(...) قال له: أنا إمام جامع عمرو بن العاص، وقد أصابتني مصيبة(...) وقال: قد عزمت أن افر من هذه البلدة ولا اعو داليها خوفا من العار فقال عفان: أو يسهل الله تعالى لي ولك خير من هذه(...) وقال للإمام: خذ هذا قرضا من عندي تؤديه إلى صاحب المال إلى أن تبيع أنت حلي بناتك بحيث لا يشعر احد."[5] هذا الحوار الذي دار بينهما كشف لنا كيف استطاع عفان أن يساعد الإمام دون أن يحرجه.

كما نجد في نهاية القصة مشهدا حينما يعيد الإمام المال لصاحبه، لكن التاجر يفاجئ بأنها ليست نفس وديعته رغم أن قيمة المال نفسها، فيقول التاجر عندها:" أيها الإمام

---

[1] – التحفة. ص160.

[2] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[3] – المصدر نفسه. ص161.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[5] – المصدر نفسه. ص 162/161.

هذا ليس عين وديعتي، وإن كان الوزن والعدد واحدا، ولكنني لا آخذه حتى تخبرني بما غيرت مالي، وماذا ألجأك إلى هذا؟! (...) فقال المودع: أما الوديعة فحق الله تعالى، كنت اطلب له مستحقا، وقد وجدتك فالمال حقك، ولا شكر إلا الله تعالى."[1] وهنا يتنازل صاحب المال ويجعله هبة للإمام، ويفعل كذلك عفان فيتنازل عن المال له في مشهد ختامي للقصة" فقال له عفان: الحمد لله الذي أراح سرك ووسع عليك، إن هذا المال لم أخرجه إليك ليرجع إلي، وإنما أخرجه هبة لأجل الله تعالى."[2] ونلاحظ هنا أن المشهد قد احتل مساحة كبيرة في القصة، فقد وظفها الغرناطي في شكل حوارات بين شخصيات القصة، فقد كان له دور في إتاحة الفرصة للشخصيات أن تظهر، وإعطائها المجال لتفصح عن نفسها.

[1] – التحفة. ص162.

[2] – المصدر نفسه. ص نفسها.

. المكان:

يعد المكان من أهم المظاهر الجمالية في الرواية أو القصة، إذ إنه الحيز الذي تقع فيه الأحداث" ويمثل المكان مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لإحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين."[1] وقد تنوعت الأماكن في قصة عفان وتراوحت بين الأماكن المفتوحة والمغلقة، ليتسع بذلك مجال القصة ويكبر حيز أحداثها وتتعدّد شخصياتها.

.**الأماكن المغلقة:** تتميز هذه الأماكن بالمحدودية, فالمكان" المغلق هو مكان العيش والسكن الذي يأوي الإنسان، ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن، سواء بإرادته أم بإرادة الآخرين."[2] ونجد ذلك في:

.**القبر:** يمكننا وصفه بأنه المكان الذي لابد لكل إنسان أن يقيم فيه سواءً شاء أم أبى، فهو يمثل حلقة الوصل بين الدنيا والآخرة وبوابة عالم البرزخ، ونجده في هذه القصة ممثلا في قبر عفان" وفي وسط مصر،مسجد فيه قبر لرجل يقال له عفان."[3] هنا تحديد لمكان القبر.

وذكر أيضا في موضع آخر، في قول الغرناطي" كان يصلي في قبره كل ليلة، وجمع أمواله الآن وقف على قبره، في كل يوم اثنين وخميس وجمعة يحضرون الوكلاء ومعهم الثياب (...) وكل من عبر عليه يقول: رحمك الله يا عفان، كل يوم وكل ليلة ألاف من النساء والرجال والصبان."[4] وهنا نلاحظ أن هذا القبر قد تحول إلى مزار يأتي إليه الناس من كل حدب وصوب يزورونه ويتبركون به، وينالون الصدقات والأعطيات.

---

[1] – بوعزة محمد. تحليل النص السردي. مرجع سابق. ص99.

[2] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار- دقل - المرفأ الأخير). مرجع سابق. ص44.

[3] – التحفة. ص159.

[4] – المصدر نفسه. ص160.

ويحضر هذا المكان أيضا في قوله:" وكنت أقف عند قبره وارى كثرة من يدعوا له بالرحمة كل ساعة، حتى الصبيان أبناء سنتين وخمس سنين، فكنت أتعجب مما سهل الله له من الخير حيا وميتا."[1] ونستشعر من خلال كلام الغرناطي مدى الأثر الذي تركه هذا الرجل في الناس حتى أحيوا ذكره ولم ينسوا الترحم عليه كل ساعة، وهذا لاشك أفضل جزاء في الدنيا لأعماله النبيلة.

.**المسجد:** هو مكان العبادة والتقرب إلى الله عزّوجل بالدعاء والصلاة والذكر، وقد ورد ذكره في هذه القصة في عدّة مواضع وفي كل موضع له دلالة معينة، فنجده في قول الغرناطي:" وفي وسط مصر مسجد فيه قبر لرجل يقال له عفان."[2] هنا نجد المسجد بني على قبر، كتكريم للميت وكصدقة جارية له، حتى يبقى ذكراه محفوظا، وهذا الفعل أمر معروف وشائع عند الشعوب القديمة وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، في قصة أهل الكهف

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ الكهف: ٢١

وفي موضع آخر، يظهر المسجد كمزار تتوزع فيه الصدقات على الفقراء والمساكين ويظهر ذلك في قوله أيضا:" يحضرون الوكلاء ومعهم الثياب للرجال والصبيان والبنات والدراهم ويدخلون المسجد ويأتون الفقراء من خارج الشبابيك الحديدية التي جعلت في حيطان المسجد، فيقسمون على الفقراء أموالا كثيرة."[3]

ونجده في موضع آخر يظهر كملجئ للمهمومين تقضى فيه الحاجات" خرج الفقيه وأراد الذهاب على وجهه هاربا(...) ورأى مسجد عفان مفتوحا فدخل في المسجد(...) ثم قام

[1] – التحفة. ص160.

[2] – المصدر نفسه. ص159.

[3] – المصدر نفسه. ص160.

فخرج وأغلق باب المسجد من الخارج حتى لا يخرج الإمام، ودخل داره وأخرج على رؤوس العبيد أكياسا فيها من الذهب، وقال للإمام خذ هذا قرضا من عندي."[1]

وعليه فإن المسجد ظهر في القصة بدلالات مختلفة، مع انه مكان واحد، فهو المكان الذي جعل عفان فيه قبره، والمكان الذي يزورونه الناس ويتبركون به ويأخذون الصدقات والمكان الذي التجئ إليه الإمام لتفريج همه وحل مشكلته.

البيت: هو مكان يقيم فيه الإنسان، وفيه يؤسس حياته ويستقر بحيث يكون له سكنا وطمأنينة، فالبيت" هو المكان الاختياري الذي يحمل صفة الألفة وانبعاث الدفء العاطفي ويسعى لإبراز الحماية والطمأنينة في فضائه."[2] ويظهر في هذه القصة، في قول السارد: "فرأى عفان ما صنع العبد، فرزقه الله صبرا وحلما، فأحرج العبد وزوده وأعتقه وأشهد على عتقه، ورجع إلى البيت."[3] ونلاحظ هنا أن البيت هو المكان الذي لجأ إليه عفان للشعور بالراحة والطمأنينة بعد إساءة الغلام له.

ونجد حضور البيت في موضع آخر، حيث يخبرنا الغرناطي أن" هذه داره قد جعل فيها هذا المسجد وحفر فيه قبره، وكان يصلي في قبره كل ليلة."[4] وهو هنا المكان الذي اتخذه عفان مسجدا وقبرا.

ويبرز البيت كملجئ يفر إليه الإنسان هربا من الواقع الصعب، وكمكان يشكوا فيه همومه، فحتما سيجد فيه من يشاركه همه ويخفف عليه، وهذا ما حدث مع الإمام، حيث "رجع الإمام إلى داره مهموما، وقال: ما أنا فاني غدا في السحر اخرج من مصر(...) وأنا

[1] – التحفة. ص162/161.

[2] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار– دقل– المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص47.

[3] – التحفة. ص159.

[4] – المصدر نفسه. ص 160.

استحي من الفضيحة."[1] وفي المقابل نجد البيت أيضا المكان الأول الذي يذهب إليه الإنسان عند فرحه، ليتشارك مع أهل بيته الفرحة والسعادة، وبدون ذلك ستبقى فرحته ناقصة وها ما حدث بالفعل مع الإمام بعد أن حلت مشكلته" ففرح الإمام ورجع إلى داره والمال يحمل بين يديه، وهو يحمد الله تعالى ويدعوا لعفان(...) ففرح الرجل وأهل بيته، وحمدوا الله تعالى."[2] فالبيت هنا مصدر للراحة والطمأنينة، والتشارك في السراء والضراء، ووحدة المصير.

ومما سبق فإن الأماكن المغلقة تنوعت وظائفها وأحداثها ودلالتها، وكان لكل منها قيمة تجسدها وفكرة توضحها، فنجد فكرة الموت وجزاء العمل الصالح يتمثل ذلك في القبر والعبادة اللجوء إلى الله نجدها في المسجد، ونجد الراحة والسكن والاستقرار في البيت.

.**الأماكن المفتوحة:** المكان المغلق عكس المكان المفتوح، فإذا كان الأول يتصف بالمحدودية ، فالثاني يتصف بالاتساع.

ومن الاماكن المفتوحة في قصة عفان نجد:

.**البحر:**" هو فضاء جغرافي مفتوح متميز، وهو يعدّ المكان الأرحب للمبدعين وملهمهم الأكبر، فالبحر كعالم فسيح وفضاء مكاني متميز، يتمظهر بطرائق شتى في العمل السردي."[3] وللبحر علاقة مع الإنسان تارة تكون حميمية وتارة تكون عدوانية.

والبحر:" بالإضافة إلى كونه مساحة للتنقل والإبحار والتواصل مع الشعوب والجغرافيات، يعد مصدرا أساسيا للرزق وبأساليب توحي كما لو أن هناك تواطؤ بين البحر ومخلوقاته، لعرض الرزق على بني البشر."[4] وهذا ما نجده في قصة عفّان" وخرج عفّان

---

[1] – التحفة. ص161.

[2] – المصدر نفسه. ص162.

[3] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحّار– دقل– المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص119.

[4] – بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة الغرناطي. مرجع سابق. ص111.

ومعه أموال كثيرة لذلك الرجل، ووصل إلى عدن وأقام فيها ما شاء الله تعالى ثم ركب في البحر وذهب إلى بلاد الهند، وباع ماله الذي كان معه وربح ثم انصرف."[1]هنا نجد أن عفّان قد استفاد من رحلته في البحر، وربح في تجارته، ولذلك يمكننا القول أن تجربته في هذه المرة كانت حميمية. ولكن كما هو معروف فان للبحر مزاجا متقلبا، وقد تكون تجربة ركوبه عدائية تثير الشعور الدائم بالخوف والرهبة، فتتحول الرحلة على متنه إلى تجربة مصيرية مميتة وهذا ما حدث مع عفّان في الرحلة الثانية حيث عصفت بهم الريح إلى بلاد الزنج" فعصفت الريح عليهم فألقت السفينة إلى بلاد الزنج، فخاف التجار على أنفسهم واضطروا إلى الدخول خوفا من الغرق."[2]

أما في تجربته الأخيرة معه، فقد عاد البحر ليري وجهه الجميل الهادئ مرة أخرى، ويكون وسيلة خير بالنسبة لعفان" فأمر الملك له بسفينة، وحمل معه من الأموال ما لا نهاية له ووهب الجميع له، وبعث معه من عبيده من يوصله إلى بلاده."[3] فالبحر هنا كان مساحة للتنقل ووسيلة للتواصل بين الشعوب، فقد اكتشف عفان بلاد جديدة وشعبا مختلفا بل ومن عجيب الصدف أن يلتقي بغلامه الذي صار ملكا لتلك البلاد، فيحسن إليه ويبالغ في الإحسان.

.**السفينة:**" تعدّ السفينة مكانا مغلقا من الداخل، ويعد سطحها مكانا مفتوحا على مكان مفتوح هو البحر." فالسفينة هي مكان يستعمله الناس لنقل السلع والتجارة أو للسفر والترويح عن النفس، ونجدها في قصة عفان وسيلة للسفر من اجل التجارة" ونزل السفينة فعصفت بهم الريح عليهم، فألقت السفينة إلى بلاد الزنج."[4]

---

[1] – التحفة. ص159.

[2] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[3] – المصدر نفسه. ص160.

[4] – المصدر نفسه. ص159.

وفي موضع آخر نجد السفينة عبارة جائزة لعفان من ملك الزنوج، محملة بالذهب والعبيد" فأمر له بسفينة ، وحمل معه من الأموال مالا نهاية له...الخ."[1]

[1] – التحفة. ص 160.

.الشخصيات:

الشخصية هي" كل مشارك في أحداث الحكاية، سلبا أو إيجابا، فهي عنصر مصنوع مخترع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها، ويصور أفعالها وينقل أفكارها وأقوالها."[1] وقد تراوحت الشخصيات في قصة عفان، فنجد:

ـ شخصيات مرجعية:" هي الشخصيات التي تحيل على دلالات وادوار وأفكار محددة سلفا في الثقافة والمجتمع، بحيث يكون إدراك القارئ لمضامينها ودلالتها الرمزية مرتبط بدرجة استيعابه لهذه الثقافة."[2] وقد كان لهذه الشخصيات حضورا في قصة عفان نذكر منها:

.عفّان: هو شخصية مرجعية اجتماعية، حيث كان رجلا خياطا بمصر، اشتهر بحسن أخلاقه الحميدة وكان محبا للناس يحترمه الكبير والصغير وحتى بعد وفاته ظلّت سيرته العطرة، يذكره بها الناس ويترحمون عليه، ومن أخلاقه الحميدة اتصافه بالحلم مع من أساء إليه، ونجد ذلك في القصة عندما يعفو عن غلامه الزنجي بعد حرقه لثيابه" فلما كان يوما أمره عفّان أن يسجّر التنور ليخبز فيه، فسجّر التنور وشهقت النار في التنور ففرح الأسود و طرب لشهيق النار، ومضى إلى ثياب عفّان التي كان يتجمل بها، فالقاها في التنور وعمامته وكل ما كان له، فرأى عثمان ما صنع العبد، فرزقه الله صبرا وحلما فاخرج العبد وزوّده واعتقه واشهد على عتقه."[3] وهنا تدل شخصية عفّان على الإحسان والصبر والحلم.

---

[1] – زيتوني لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية. دار النهار للنشر. مكتبة بيروت. لبنان. ط1. 2002م. ص114/113.

[2] – بوعزة محمد. تحليل النص السردي. مرجع سابق.ص63/62.

[3] – التحفة. ص159.

ونجد في موضع آخر" فقال عفّان: أو يسهل الله لي ولك خير من هذه، ثم قام فخرج وأغلق باب المسجد من الخارج حتى لا يخرج الإمام، ودخل داره واخرج على رؤوس العبيد أكياسا فيها من الذهب مثلما كان عند الإمام وديعة، وقال لي الإمام خذ هذا قرضا من عندي، تؤديه إلى صاحب المال إلى أن تبيع أنت حلي بناتك بحيث لا يشعر احد، ففرح الإمام ورجع إلى داره والمال يحمل بين يديه، وهو يحمد الله تعالى ويدعوا لعفّان"[1] هنا نجد شخصية عفّان المحبة للخير ومساعدة المحتاج وقضاء حاجاته، فقد فرج عن الإمام كربته بإعطائه المال ليسدد دينه، كما أن شخصية عفّان هي الشخصية الرئيسية التي انبنت عليها الأحداث.

.**الملك:** هو شخصية سيادية حاكمة، لكنه جاء من خلفية اجتماعية متواضعة، فقد كان فيما مضى عبدا اشتراه عفّان واعتقه، فلم ينسى ذلك الغلام صنيع سيده فلما أصبح ملكا كافأه على فعله النبيل" فقال الملك: أنا عبدك الذي أعتقتني، وأعطاني هذه النعمة ببركة إحسانك إلي وجميع هذه المملكة لك، فاجلس عندي وأنا ملك هؤلاء وآنت ملك عليّ."[2] تظهر هنا شخصية الملك شخصية وفية ذات طابع خيّر وذلك من خلال حرصه على الرد الجميل لعفّان الذي كان سيده فيما مضى.

.**التاجر المغربي:** هو شخصية اجتماعية له مكانة مرموقة بحكم ثراءه، كما انه رجل صالح أراد الحج ومجاورة بيت الله، ولم يجد أفضل من الإمام أمانة ليستودعه ماله ، ونجد ذلك في قوله:" إني أريد الذهاب إلى الحج ومجاورة بيت الله تعالى، وعندي شيء من المال أودعه عندك حتى ارجع من الحج، فاني أخاف عليه إن كان معي."[3] فهنا تظهر حسن نية التاجر وثقته الكاملة بالإمام باعتباره رجل دين يستحيل أن يخون الأمانة.

---

[1] – التحفة. ص161/162.

[2] – المصدر نفسه. ص160.

[3] – المصدر نفسه. ص160.

وفي موضع آخر نجد له تصرفا نبيلا يصدر عن شخصية محبة للخير، وذلك عندما علم بما حدث مع الإمام، فتنازل له عن المال وأهداه له، ويظهر ذلك في قوله:" أيها الشيخ: أما الوديعة فحق الله تعالى، كنت اطلب له مستحقا فقد وجدتك، فالمال حقك ولا شكر إلا لله تعالى."[1] وهنا يظهر كرم التاجر وحسن خلقه في التعامل مع الإمام.

.**الإمام:** شخصية دينية، وهو إمام جامع عمر بن العاص، دفعته الضرورة لإنفاق المال الذي استأمنه عليه التاجر في تزويج بناته، وعندما عاد صاحب المال وطالبه بماله أحرج ووقع في ورطة لم يجد لها حلا، فهو لا يملك المال ويخشى الفضيحة، فلم يجد سوى الهروب إلى البادية، ويظهر ذلك في قوله:" أنا إمام جامع عمرو بن العاص، وقد أصابتني مصيبة(...) وقال: قد عزمت أن افر من هذه البلدة ولا أعود إليها خوفا من العار."[2] وهنا تظهر شخصية الإمام على أنها شخصية مهملة، مستهترة بأمانات الناس.

_ **شخصيات ثانوية:**" تنهض الشخصيات الثانوية بادوار محدودة، إذا ما قورنت بأدوار الشخصيات الرئيسة، قد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر في المشهد بين حين وآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معين له، وغالبا ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي، وهي بصفة عامة اقل تعقيدا وعمقا من الشخصيات الرئيسية."[3] ومن هذه الشخصيات نذكر منها:

الغلام: شخصية ثانوية، متمثلة في فتى زنجي كان عبدا لعفّان، قام بحرق ثياب سيده لقلة عقله" ...فطرب لشهيق النار ومضى إلى ثياب عفّان التي كان يتجمل بها، وألقاها في

[1] – التحفة. ص162.

[2] – المصدر نفسه. ص161.

[3] – بوعزة محمد. تحليل النص السردي. مرجع سابق. ص57.

التنور وعمامته وكل ما كان له."[1] وهنا تظهر شخصية الغلام على أنها شخصية ساذجة عفوية.

زوجة الإمام: شخصية ثانوية، وهي زوجة إمام جامع عمرو بن العاص وهي التي أقنعت زوجها بأخذ مال الوديعة من اجل تجهيز بناته"...إن هذا المال وديعة عندك، تشتري به عقودا وحليا لبناتك، ونجهزهن به ويدخلن عند اكفائهن وتستريح من همهن، فإذا حصلن عند الأزواج وجاء صاحب المال، جمعنا ذلك الحلي والجوهر وجعلناه ذهبا وبقيت بناتك عند أزواجهن."[2] وهنا تظهر شخصية الزوجة على أنها شخصية أنانية غير مقدرة لعواقب الأمور.

ومما سبق نجد أن السارد حاول من خلال هذه الشخصيات التعبير عن الواقع الاجتماعي المعيش، وتمثيل المواقف المتناقضة، فهناك من يقدم على فعل الخير بطبعه وهناك من يخطئ دون قصد، وهناك من يقصد الضرر، والناس في ذلك مذاهب شتى.

[1] – التحفة. ص159.

[2] – المصدر نفسه. ص161.

. الأحداث:

يعد الحدث الموضوع الذي تدور حوله القصة، فهو من العناصر الأساسية إذ يعتمد في تنمية الواقف وتحريك الشخصيات" حيث أن الشخصية هي صانع رئيسي للحدث، وهذه الشخصية من خلال تأثرها بالمواقف، اجتماعية كانت أم سياسية أو اقتصادية، تنطلق لتصنع الحدث الذي يولد مجموعة مواقف جديدة."[1] ويبلغ الحدث ذروته بالحبكة فهي "حركة حيوية تحول مجموعة من الأحداث المتفرقة إلى حكاية واحدة متكاملة ضمن إطار حدث رئيسي."[2]

ونلاحظ في قصة عفان أن الأحداث تخضع لتسلسل منطقي، ويمكن تقسيم القصة إلى جزأين، ففي الجزء الأول نجد الحدث الرئيسي فيه هو قيام الغلام الزنجي بحرق ثياب عفان، وهو يمثل حبكة هذا الجزء، بالإضافة إلى كونه الحدث الذي انبتت عليه القصة بأكملها، كما يشكل اللحظة السردية التي تنطلق منها باقي الأحداث، والتي تتمثل في:

ـ ذهاب عفان إلى الهند من اجل التجارة. " ثم ركب في البحر، وذهب إلى بلاد الهند."[3]

ـ وصول عفان إلى بلاد الزنج بعد أن عصفت بهم الريح." فعصفت الريح عليهم فألقت السفينة إلى بلاد الزنج."[4]

ـ وهنا نجد منعرجا مهما في الأحداث، ويتمثل ذلك في تعرف ملك تلك البلاد على عفان بل ويقوم إليه ويقبل يديه ورجليه" فلما رآه الملك قام إليه وقبل يديه ورجليه، ووقف بين يديه."[5]

---

[1] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة. مرجع سابق. ص208.

[2] – زيتوني لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية. ص71.

[3] – التحفة. ص159.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[5] – المصدر نفسه. ص نفسها.

ـ يُفاجئ عفان حينما يكتشف أن ذلك الملك هو الغلام نفسه الذي أعتقه، ويظهر هذا في قول الملك:" أنا عبدك الذي أعتقتني، وأعطاني الله هذه النعمة ببركة إحسانك إلي، وجميع هذه المملكة لك."[1]

ـ مكافأة الملك لعفان، بأن أعطاه أموال كثيرة، وعبيد وحمل كل ذلك على سفينة خاصة به جزاءا على صنيعه فيما مضى، وقيام عفان بتحويل تلك الأموال إلى دور ودكاكين، وجعلها وقفا للفقراء والمساكين." فأمر له بسفينة وحمل معه من الأموال ما لا نهاية له، ووهب الجميع له(...) وكان عفان رحمه الله لا يرد سائلا، وعمل من الدور والحانات والدكاكين والحمامات كثيرا، وأوقف الكل على الفقراء المسلمين."[2]

ـ تحويل عفان بيته إلى مسجد وحفرا بداخله قبرا، يصلي فيه كل ليلة إلى أن مات ودفن فيه " وهذه داره جعل فيها هذا المسجد، وحفر فيها قبره وكان يصلي في قبره كل ليلة"[3] وهذا الحدث هو الذي أعطى للقصة عنوانها، وبه ورد ذكرها في رحلة الغرناطي في باب عجائب القبور، فقد صار ذلك المكان مزارا يقصده الناس، وتوزع فيه الصدقات والأعطيات.

وفي جزء القصة الثاني، يكون الحدث الرئيسي حينما يطلب التاجر المغربي من الإمام أن يترك ماله عنده وديعة، حتى يعود من الحج" إني أريد الذهاب إلى الحج ومجاورة بيت الله تعالى، وعندي شيء من المال أودعه عندك حتى ارجع من الحج."[4]

ـ تجهيز الإمام بناته بمال الوديعة" واخرج مع كل واحدة جملة من الحلي والجواهر."[5]

ـ عودة صاخب المال بعد ثلاث سنوات، وتفكير الإمام بالهروب خوفا من العار والفضيحة

---

[1] – التحفة. ص161.

[2] – المصدر نفسه. ص160.

[3] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[5] – المصدر نفسه. ص161.

" فلما كان بالليل، خرج الفقيه وأراد الذهاب على وجهه هاربا."[1]

ـ مساعدة عفان للإمام، وإقراضه المال من اجل إعادته للتاجر صاحب الوديعة" خذ هذا قرضا من عندي، تؤديه إلى صاحب المال."[2]

ـ تنازل التاجر عن المال وتقديمه هبة إلى الإمام بعد سماع قصته" .. فالمال حقك، ولا شكر إلا لله تعالى."[3]

ـ تنازل عفان أيضا عن المال للإمام، بعد أن اخبره بما جرى له مع التاجر" هذا المال لم أخرجه إليك ليرجع إلي، وإنما أخرجه هبة لكل اجل الله تعالى."[4]

وتنتهي القصة بأن صار ذلك الإمام من الأغنياء ببركة إحسان عفان له، ومن خلال عرضنا لأحداث القصة، نجدها تشتمل على:

مقدمة: وهي عرض بسيط قبل بداية الأحداث، تتمثل في وصف الغرناطي لمكان تواجد المسجد الذي فيه قبر عفان "وفي وسط مصر مسجد فيه قبر رجل يقال له عفان، وهو بين طريقين في ركن وله شبابيك من حديد."[5]

العقدة: هي الجدث الرئيسي في القصة، وتتمثل في قصة عفان في الحدث الأول وهو إحراق الغلام الزنجي ثياب سيده. والحدث الثاني هو إنفاق الإمام أموال التاجر في تجهيز بناته، وعجزه عن ردها لصاحبها، إذن لحظة التأزم هي حرق الثياب من قبل الغلام وإنفاق أموال الوديعة من طرف الإمام.

---

[1] – التحفة. ص161.

[2] – المصدر نفسه. ص162.

[3] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[5] – المصدر نفسه. ص159.

الحل: ويقصد به لحظة الانفراج، وخاتمة القصة التي غالبا ما تكون سعيدة، وفي قصة عفان نجد حلين:

الأول: عندما أعتق عفان الغلام ولم يؤذه، وصار فيما بعد ملكا لبلاد الزنج، ورد له جميله في أول لقاء.

وتمثل الثاني: في أن أصبح الإمام من الأغنياء، بعد أن تنازل كل من التاجر وعفان عن المال، وتقديمه هدية للإمام.

ومما سبق نجد أن الغرناطي اعتمد في قص أحداث القصة، على الطريقة التقليدية "وهي أقدم طريقة، وتمتاز بإتباعها التطور السببي المنطقي حيث يتدرج القاص بحدثه من المقدمة إلى العقدة، فالخاتمة."[1] وهذا ما نجده في قصة عفان فقد احتوت على مقدمة وعقدة وأخيرا الحل، كما نجده اعتمد كذلك على السرد المنطقي المباشر للأحداث" والتي يقدم فيها الكاتب الأحداث في صيغة ضمير الغائب، وتتيح هذه الطريقة الحرية للكاتب، لكي يحلل شخصياته وأفعالها تحليلا دقيقا وعميقا، ثم إنها لا توهم القارئ بأن أحداثها عبارة عن تجارب ذاتية وحياتية، وإنما هي من صميم الإنشاء الفني."[2] وهذا ما فعله الغرناطي فقد أشار لعفان بالضمير الغائب، وذلك واضح في القصة.

وفي الأخير نستنتج أن الأحداث في قصة عفان متسلسلة ومترابطة يكمل بعضها بعض، لتشكل وحدة سردية متكاملة.

[1] – شريبط احمد شريبط. تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة 1945–1985. من منشورات اتحاد الكتاب العرب. دط. 1998م. ص22.

[2] – المرجع نفسه. ص24.

ـ تحليل قصة قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

. الزمن:

إن الزمن هو" محور الكون والحياة، ومحور حياتنا الداخلية، ومحرك مشاعرنا وتقلباتنا الجسدية والنفسية، وهو حبل يتجاذب به الحزن والفرح القلب البشري، فالحزن يبطئ الزمن والفرح يسرعه."[1]

في هذه القصة نجد السارد يروي لنا زمن القصة في الماضي لأحداث وقعت في الزمن الحاضر، فالقصة كلّها تدور حول قبر علي رضي الله عنه، الذي ظهر بعد خمسمائة عام، في ناحية بلخ، وهذا أمر عجيب فالمتعارف عليه عند جميع الناس حتى وان أُختلف في مكان دفنه، أن قبره موجود في البلاد العربية في العراق بالخصوص.

وحتى نستطيع تجلى الصورة الكاملة للقصة لابد أن نستعرض أهم محطاتها:

ـ إن نقطة الصفر في هذه القصة، تبدأ برؤية جماعة من الصالحين في قرية الخير ناحية بلخ للنبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وهو يدلهم على موضع قبر ابن عمه علي بن أبي طاب رضي الله عنه في هذه القرية، وتكرر الأمر مع أربعمائة شخص وتواترت الرؤية.

ـ ذهاب جماعة من هؤلاء الصالحين إلى قماج صاحب بلخ في زمان سنجر* وإخباره بأمر المنام الذي تكرر مع أربعمائة شخص، ما جعل الأمير يستدعي العلماء والفقهاء.

ـ تكذيب أحد الفقهاء لهذا الخبر، وانه يستحيل أن يكون قبر علي رضي الله عنه في هذه القرية.

---

[1] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار– الدقل– المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص227.

*: هو السلطان سنجر آخر ملوك الأسرة السلجوقية (557–511هـ) كان ابو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان على خراسان وغزنة وما وراء النهر، وخطب له بالعراقين وأذربيجان وأران وأرمينية والشام والموصل وديار بكر، وتلقب بالسلطان الأعظم معز الدولة، كان من أعظم ملوك المسلمين همة وأكثرهم عطاء وأوسعهم ثراء. ينظر: تحفة الألباب. ص163.

ـ رؤية الفقيه لمنام مرعب تحول إلى حقيقة، حيث رأى نفسه يُضرب من قبل جماعة من العلويين حتى أشرف على الهلاك، لولا أن أشار أليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتوقف، وعندما استيقظ الفقيه وجد كل جسمه ووجهه اسودا من شدة الضرب، الأمر الذي جعله يذهب صارخا مستغيثا لقصر الأمير، ويعود عن تكذيبه ويستغفر الله.

ـ خروج الأمير بجميع عساكره إلى الموضع الذي دلّت عليه الرؤية، واكتشافهم قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ذلك المكان بالفعل.

نلاحظ أن أحداث القصة تخضع للزمن الماضي انطلاقا من زمن الحاضر.

. الترتيب الزمني للقصة:

نجد أن القصة اشتملت في عرض أحداثها على استباق واسترجاع.

. **الاستباق:**" يدّل الاستباق على كل مقطع حكائي يروي أحداثا سابقة عن أوانها، أو يمكن توقع حدوثها."[1] ويظهر هذا في قول السارد:"...وظهوره بعد الثلاثين وخمسمائة في ناحية بلخ."[2] فقد استبق هنا السارد إخبارنا عن ظهور القبر قبل وقوع حدث الظهور.

وفي موضع آخر، نجد أن رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وإخباره بمكان القبر" ابن عمي علي بن أبي طالب في هذا الموضع"[3] وهنا نجد استباق قول موضع القبر قبل حصول الحدث وهو اكتشافه بالفعل.

[1] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار– الدقل– المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص245.

[2] – التحفة. ص163.

[3] – المصدر نفسه. ص164.

. **الاسترجاع:** ومن أنواعه:

. **الاسترجاع الخارجي:** ويأخذ تسميات عدة منها: الاستذكار،التذكر،اللّاحقة، ونجده يظهر في قصة قبر علي، عندما أعاد السارد ذكر اللبنة الحمراء التي وجدها الأمير وجماعة العلماء والفقهاء، تحت خد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو في قبره لم يتغير منه شيء" وتلك اللبنة في كيس من ديباج معلقة في محراب المشهد*."[1] هنا يستذكر السارد أمر اللّبنة بعد أن مضى حدث وجودها في المحراب.

وفي موضع أخر يستذكر الجماعة التي رأت المنام" وأولئك الذين رأوا المنام بعد في الحياة"[2] والسارد هنا يعيد ذكرهم بعد أن انتهت القصة، للدلالة على طول عمر أصحاب الرؤية.

ومما سبق نجد أن القصة احتوت على الزمن الطبيعي الموضوعي، الذي" يتسم بحركته المتقدمة إلى الأمام باتجاه الآتي، ولا يعود إلى الوراء أبدا وبالتالي فهو زمن لا يمكن تحديده عن طريق الخبرة ويحدد بواسطة التركيب الموضوعي للعلاقة الزمنية في الطبيعة وهو كذلك زمننا العام والشائع الذي نستعين به بواسطة الساعات والتقاويم."[3] ومن أمثلة ذلك قول السارد:" فلما كان نصف الليل خرج ذلك الفقيه من داره ومعه أولاده وأصحابه وهو يصيح، إلى أن جاء إلى دار الأمير قماج."[4] فنجد الزمن الطبيعي هنا عبر عنه بـ (نصف الليل) أي خروج الأمير كان في نصف الليل.

---

*: المشهد: الضَّريح. ينظر القاموس الالكتروني. معجم المعاني . عربي- عربي. نقلا عن معجم الوسيط. https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/

[1] – التحفة. ص165.

[2] – المصدر نفسه. ص165.

[3] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية التاجر- الدقل- المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص228/227.

[4] – التحفة. ص 164.

. **المشهد:** يعدّ المشهد كما قلنا سابقا أنه من تقنيات تعطيل السرد التي لا تخلوا من الزمن الروائي" حيث أن الحوار الخارجي بين الشخصيات، أو الحوار الداخلي بين الشخصية، يجعل الأحداث تتوالى بكل تفاصيلها وجزئياتها."[1] فتقنية المشهد هي عملية حوارية، يجسدها المؤلف في الرواية من اجل ارتباط زمني القصة والخطاب.

ويظهر هذا في القصة في قول الفقيه:" أيها الأمير، هذا محال ورسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يقول المحال، علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتل بالكوفة، واختلف الناس في قبره، فمنهم من قال دفن في جامع الكوفة تحت المنارة، ومنهم من قال دفن في كوخ زاده، ومنهم من قال دفن بالغري، وعليه بني المشهد، فكيف يجيء إلى بلخ، مسيرة ألف فرسخ، وأكثر هذا محال."[2] ففي هذا المشهد يدور الحوار بين الفقيه والأمير حول تفسير رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وإشارته لموضع القبر.

وفي موضع آخر نجد أيضا مشهدا بين الفقيه والأمير، والمتمثل في دخول الفقيه على الأمير في داره وهو يصيح ويستغيث في نصف الليل" فقال له الأمير: ما أصابك؟ فقال: أيها الأمير، انظر إلى وجهي وحسدي، فنظروا إليه بالشمع فإذا بوجهه قد إسود وجميع جسده من كثرة ما ضرب ولطم ولكم، فجعل يبكي، فقال له الأمير قماج: أيها الشيخ الإمام من فعل بك هذا، قال: كنت نائما في بيتي، فجاء إلي جماعة من العلويين لهم ضفائر وشعور، وعليهم ثياب بيض، شباب وكهول وشيوخ وصبيان، وقالوا: أنت الذي تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول أمير المؤمنين ليس ها هنا!؟ فأخذوني وسحبوني وهم يسبونني، حتى أوقفوني على قبر مفتوح، فرأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب جالسا في القبر أبيض الرأس واللّحية، وقالوا: أليس هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ ثم جعلوا يضربونني بأرجلهم وأيديهم حتى أيقنت بالموت، فقلت: يا أمير المؤمنين ارحمني، فأشار

[1] – عبيدي مهدي. المرجع السابق. ص250.

[2] – التحفة. ص164.

إليهم علي عليه السلام بيده، فتركوني، فاستيقظت وجميع أعضائي كأنها مكسرة، وأنا استغفر الله وأتوب إليه مما قلته."[1] وهنا نجد الحوار تراوح بين الأمير والفقيه والعلويين، وقد جاء في شكل نص نثري، دلّ على العقاب الذي ناله الإمام الفقيه جراء تكذيبه المنام.

الوقفة: ويمكن القول أنها تتمثل في الوصف، حيث" أن وصف الشوارع والبيوت والأزقة وبيوت المدينة، ووصف حالة الناس، وان انتقال المقاهي الشعبية وتواجد الملاهي إلى جانبها، كله يعطي دالاً على تبدل الزمن وتغيره."[2] وقد عرفت قصة قبر علي توظيفا لهذا النوع من الوصف، ونجد ذلك في صف الفقيه لما حدث معه في المنام:" أيها الأمير انظر إلى وجهي وجسدي(...) فإذا بوجهه قد اسود وجميع جسده."[3]

و نجده أيضا في موضع آخر، حينما قال الفقيه:" كنت نائما في بيتي، فجاء إلي جماعة من العلويين لهم ضفائر وشعور وعليهم ثياب بيض، شباب وكهول وشيوخ وصبيان."[4] وقد جاءت هذه الوقفة، حتى يستطيع الفقيه وصف جماعة العلويين الذين قاموا بضربه في المنام، والغرض منها اعتبار الفقيه وتصديقه المنام.

وفي مثال آخر، نجده يصف هيئة علي بن أبي طالب وهو ميت في قبره" أوقفوني على قبر مفتوح، فرأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جالسا في القبر ابيض الرأس واللّحية."[5]

وفي موضع آخر نجد وصفا للقبر بعد أن فتحه الأمير ومعه العلماء والفقهاء" فوجدوا القبر عليه لوحان من رخام، وأمير المؤمنين في داخله، لم يذهب منه شيء البتة وكفنه

---

[1] – التحفة. ص164.

[2] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار– الدقل– المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص249.

[3] – التحفة. ص164.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[5] – المصدر نفسه. ص نفسها.

صحيح، فرآه الأمير وجميع العلماء، ووجدوا تحت خده لَبِنَة حمراء فيها مكتوب بالإصبع، هذا محب النبي علي كرم الله وجهه."[1]

ومما سبق نجد أن زمن القصة سار وفق خط مستقيم كرونولوجي تتخلله بعض الاستباقات والاسترجاعات على قلتها وذلك لقصر حجم القصة.

. المكان:

يعد المكان وحدة أساسية من وحدات العمل الأدبي والفني إلى جانب الشخصية والزمن، وذلك بكونه" المكان الطبيعي، المكان الحقيقي في الواقع الخارجي المحسوس، وهذا المكان لا علاقة له بالمكان الروائي، لأنه الموضع الحقيقي الثابت الجامد."[2] ويمكن تمييز نوعين من الأمكنة:

.أمكنة مغلقة: وهي" الأمكنة التي حددت مساحتها ومكوناتها، كغرف البيوت والقصور، فهي المأوى الاختياري"[3] وغير الاختياري كالمستشفى والسجن..الخ، ومن بين الأماكن التي ورد ذكرها في هذه القصة نجد:

القبر: وهو مكان شديد الانغلاق وضيق المساحة، يؤول إليه الإنسان بعد موته ويتمثل في هذه القصة في قبر علي بن أبي طالب" فوجدوا القبر عليه لوحان من الرخام وأمير المؤمنين في داخله، لم يذهب منه شيء البتة، وكفنه صحيح"[4] فالقبر هنا هو الموضع الذي ظهر فيه نعش علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد خمسمائة عام.

---

[1] – التحفة. ص165.

[2] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية البحار– الدقل– المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص27.

[3] – المرجع نفسه. ص43.

[4] – التحفة. ص165.

وفي موضع أخر نجد إشارة إلى القبر مرة أخرى، وذلك عندما يخبرنا الغرناطي بأن "الناس يزورونه من جميع بلاد خراسان وبلخ وسمرقند."[1] فالقبر هنا تحول إلى مزار يأتي إليه الناس من مختلف المدن.

البيت: يعدّ البيت مملكة الإنسان الخاصة التي يمارس فيها سلطته الكاملة يأمر وينهى ويقرر دون أن يتدخل أخر فالبيت" كفضاء للسكن، يجسد قيم الألفة بامتياز، ولأن البيت مأوى الإنسان، فإنه يمثل وجوده الحميم، ويحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية"[2] ونجده في هذه القصة ممثلا في بيت الفقيه، وذلك حينما يقول: " كنت نائما في بيتي، فجاء إلي جماعة من العلويين(...) فأخذوني وسحبوني وهم يسبونني(...) ثم جعلوا يضربونني بأرجلهم وأيديهم حتى أيقنت بالموت."[3] البيت هنا تحول من مكان للألفة وصار مكانا للعقاب والتأديب، ففيه تعرض الفقيه للضرب والسب من طرف العلويين، بسبب تكذيبه للمنام.

ومما سبق نجد أن الأمكنة المغلقة تمثلت في هذه القصة في القبر كمكان للدفن والزيارة، وفي البيت كمكان للعقاب والضرب.

.أمكنة مفتوحة:" إن الحديث عن الأمكنة هو الحديث عن أماكن ذات مساحات هائلة توحي بالمجهول، كالبحر والنهر، أو هو الحديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالحي، حيث توحي بالألفة والمحبة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات صغيرة كالسفينة والباخرة كمكان صغير يتموج فوق أمواج البحر."[4]

---

[1] – التحفة. ص 165.

[2] – بوعزة محمد. تحليل النص السردي. مرجع سابق. ص106.

[3] – التحفة. ص 164.

[4] – عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية البحار– الدقل– المرفأ البعيد). مرجع سابق. ص95.

فالأماكن المفتوحة إذن تتميز بالاتساع سواء كانت المساحات صغيرة أم متوسطة أم كبيرة، ونجدها في هذه القصة تتمثل في:

القرية: قد ورد ذكرها في القصة كمكان يسكنه مجموعة من الصالحين، وهو ما يوحي به قول الغرناطي:" رأى جماعة من أهلها الصالحين النبي صلى الله عليه وسلم في النوم."[1] مما يدل على أنها قرية صالحة لصلاح أهلها.

كما ورد ذكرها كمكان أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم، كموضع يتواجد فيه قبر ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ونجد هذا في تكملة المنام"... وهو يقول لهم: ابن عمي علي بن أبي طالب في هذا الموضع، ويشير لهم إلى موضع قريب من القرية."[2]

ونجدها في موضع أخر ذكرت كمكان اكتشف فيه قبر علي بالفعل"...خرج بجميع عسكره إلى تلك القرية، وحفروا في الموضع الذي أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدوا القبر عليه لوحان من الرخام، وأمير المؤمنين في داخله(...) فرآه الأمير وجميع العلماء."[3] إذن القرية تعددت دلالاتها بين مكان يقيم فيه أناس صالحون، وبين مكان اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم وأشار إليه في المنام، وبين مكان يوجد فيه قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما إنها تمثل المكان المفتوح الوحيد في القصة.

[1] – التحفة. ص 163.

[2] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[3] – المصدر نفسه. ص 165.

. الشخصيات:

تتمثل شخصيات القصة في مجموعة الأفراد الخيالية أو الواقعية التي تدور حولها أحداث القصة، وفي هذه القصة يمكننا تصنيف شخصياتها إلى:

. **شخصيات مرجعية:** وهي" التي تربط القصة بمرجعها الثقافي والتاريخي، وأهم نماذج الشخصيات المرجعية، الشخصيات التاريخية(صلاح الدين الأيوبي...)، الشخصيات الأسطورية(السندباد، سيزيف...) الشخصيات الاجتماعية(كالعامل، التاجر، البخيل...) كل ما يجمع بين هذه الأنماط على اختلاف مرجعياتها، هو أنها تحيل على دلالات محددة سلفا في ثقافة المجتمع."[1] وتمثلها في القصة شخصية:

علي بن أبي طالب رضي الله عنه: وهو شخصية مرجعية ذات أبعاد دينية، وهو "علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ـ ويقال له شيبة ـ بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر(...) فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم."[2] وقد ذكره السارد في قوله:" رأى جماعة من الصالحين، النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، وهو يقول لهم، ابن عمي علي بن أبي طالب في هذا الموضع."[3] وهنا نجد أن شخصية علي هي الشخصية الرئيسية التي انبنت عليها كل أحداث القصة، وبها اكتسبت عنوانها.

وفي موضع أخر ورد ذكره عندما وجدوا القبر" عليه لوحان من رخام، وأمير المؤمنين في داخله لم يذهب منه شيء البتة، وكفنه صحيح(...) ووجدوا تحت خده لبنة حمراء فيها

---

[1] – بوعزة محمد. تحليل النص السردي. مرجع سابق. ص63.

[2] – الصلابي علي محمد. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. شخصيته وعصره. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. ط1. 2005م. ص21.

[3] – التحفة. ص163.

مكتوب بالإصبع، هذا محب النبي علي كرم الله وجهه."[1] وهذا الوصف لقبر علي وهيئته يدّل على فضل علي رضي الله عنه وعلى رفعة مكانته فهو ابن عم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، ومن العشرة المبشرين بالجنة، وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها سيدة نساء الجنة، ووالد سبطا رسول الله سيدا شباب الجنة، وأحد الخلفاء الراشدين، فأي مكانة هذه التي منحها الله له! ومن يبلغها؟!

الفقيه: هو شخصية مرجعية أيضا ذات أبعاد دينية، وتتمثل في شخصية الإمام الفقيه الذي كذب خبر المنام" فقال فقيه منهم: هذا محال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول محال."[2] وهنا تظهر هذه الشخصية عقلانية عنيدة لا تقتنع بسهوله إلا بأدلة ملموسة وهذا واضح في قوله:" علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتل بالكوفة، واختلف الناس في قبره(...) فكيف يجيء إلى بلخ مسيرة ألف فرسخ أو أكثر هذا محال."[3]

ونجد ذكره في موضع أخر" فلما كان الليل خرج ذلك الفقيه من داره ومعه أولاده وأصحابه، وهو يصيح، إلى أن جاء إلى دار الأمير قماج، وهو يصيح ويستغيث"[4] وهنا تظهر شخصيته شخصية خاضعة مستسلمة، وذلك بعد رؤيته للمنام وتحول لونه وجهه وجسده إلى اللون الأسود من شدة الضرب، وهذا ما جعله يتراجع عن رأيه الأول، ويقتنع بصحة الخبر بل يؤكده، وهذا واضح في قوله:" وأنا استغفر الله وأتوب إليه مما قلته."[5] ونلاحظ انه لم يقتنع إلا بعد أن رأى البرهان ودفع ثمن تكذيبه.

---

[1] – التحفة. ص165.

[2] – المصدر نفسه. ص164.

[3] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[5] – المصدر نفسه. ص نفسها.

الأمير قماج: هو شخصية مرجعية ذات أبعاد اجتماعية تتمتع بالسلطة والحكم وبيده اتخاذ القرار ويظهر ذلك في القصة، أولا عندما يأتيه جماعة من أهل القرية الذين رأوا المنام فيأمر بجمع العلماء والفقهاء والأئمة"... فذهبوا إلى قماج صاحب بلخ في زمان سنجر وحدثوه بما رأوا وما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم، فجمع العلماء وعرض عليهم ما قالوا وما شهدوا به."[1] وثانيا عندما يأتيه الفقيه في نصف الليل صارخا مستغيثا" فلما رأى الأمير ذلك، خرج بجميع عسكره إلى تلك القرية وحفروا في الموضع الذي أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم."[2] ويظهر لنا أن شخصية الأمير شخصية متأنية حكيمة، فهو لا يقضي حتى يستشير، وهذه صفات لابد منها للإمارة، حتى يضمن العدل وإلا جار وظلم.

.شخصيات خيالية (تخيلية):" وهي شخصيات تذكر في متن الحكاية ولكنها اكتسبت طابع الخيال، الذي وفر لها متعة استقبالية، لأن نفس الإنسان تميل إلى ما هو مغيب عنها ومستور، ولاسيما إذا كان الإنسان في مراحل نضجه المبكرة أو طفولته كعوالم السحر والجن..."[3] ونجدها في القصة تتمثل في شخصية:

العلويون: حيث نجد شخصية العلويين لا توجد على ارض الواقع، فهي شخصية تخييلية، ونجد ذكرها على لسان الفقيه:" كنت ناما في بيتي، فجاء إلي جماعة من العلويين لهم ضفائر وشعور، وعليهم ثياب بيض، شباب كهول وشيوخ وصبيان، وقالوا: أنت الذي كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول إن أمير المؤمنين ليس هاهنا؟ فأخذوني وسحبوني، وهم يسبونني، حتى أوقفوني على قبر مفتوح فرأيت أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب جالسا في القبر أبيض الرأس واللحية، وقالوا: أليس هذا أمير المؤمنين، علي بن أبي

[1] – التحفة. ص163.

[2] – المصدر نفسه. ص165.

[3] – ستار ناهضة. بنية السرد في القصص الصوفي. المكونات والوظائف والتقنيات. اتحاد كتاب العرب. دمشق. 2003م. ص187.

طالب؟ ثم جعلوا يضربونني بأرجلهم وأيديهم حتى أيقنت بالموت."[1] وهنا يصف السارد شكل العلويين، بأن لهم ضفائر وشعور وعليهم ثياب بيض وهم يضربونه، حيث تدل هذه الشخصية على الهيبة والقوة والشدة، وهي شخصيات خيالية (تخيلية) ليست من الواقع، بل فيها بعض الصفات المأخوذة من الواقع، وهي من خيال الغرناطي.

.الأحداث:

الحدث هو الفعل الذي تقوم به الشخصية، كما انه يعبر عن صفات الشخصية وسماتها" فهو أهم عنصر في القصة القصيرة، ففيه تنموا المواقف وتتحرك الشخصيات، وهو الموضوع الذي تدور القصة حوله، بحيث يعتني الحدث بتصوير الشخصية في أثناء عملها ولا تتحقق وحدته إلا إذا أوفى بيان كيفية وقوعه في المكان والزمان والسبب الذي قام من أجله."[2]

ونجد الحدث الرئيسي في القصة يتمثل في رؤية جماعة من أهل القرية للنبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يدلهم على قبر علي بن أبي طالب" رأى جماعة من أهلها الصالحين النبي صلى الله عليه وسلم، ويشير لهم إلى موضع قريب من القرية، وتواترت هذه الرؤيا عندهم."[3] هنا الحدث كله يدور حول قبر علي، ثم تأتي الأحداث الثانوية متتالية:

ـ ذهاب أهل القرية إلى الأمير وإخباره بأمر الرؤية" فذهبوا إلى قماج صاحب بلخ (...) وحدثوه بما رأوا وما سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم."[4]

ـ تكذيب الفقيه لهذا المنام وعدم تصديقه لوجود القبر في هذه القرية" أيها الأمير هذا محال ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول محال."[1]

---

[1] – التحفة. ص164.

[2] – شريبط احمد شريبط. تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة. مرجع سابق. ص21.

[3] – التحفة. ص163.

[4] – المصدر نفسه. ص نفسها.

ـ رؤية الفقيه لمنام مرعب تمثل في حضور جماعة من العلويين لبيته وضربه ضربا شديدا" كنت نائما في بيتي فجاء إلى جماعة من العلويين(...) ثم جعلوا يضربونني بأرجلهم وأيديهم حتى أيقنت بالموت."[2]

ـ خروج الفقيه من داره في نصف الليل مع أولاده وأصحابه، صارخا مستغيثا وذهابه إلى دار الأمير ليشكوا له حاله" أيها الأمير انظر إلى وجهي وجسدي، فنظروا إليه بالشمع، فإذا بوجهه قد اسود، وكذلك جميع جسده من كثرة ما ضرب ولطم ولكم، وجعل يبكي."[3]

ـ خروج الأمير مع عسكره إلى تلك القرية وحفرهم في الموضع الذي دّل عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، وإيجادهم قبر علي رضي الله عنه بالفعل" فوجدوا القبر عليه لوحان من رخام وأمير المؤمنين في داخله، لم يذهب منه شيء البتة وكفنه صحيح، فرآه الأمير وجميع العلماء، ووجدوا تحت خده لبنة حمراء فيها مكتوب بالإصبع، هذا محب النبي علي كرم الله وجهه."[4] ومن خلال عرض أحداث القصة نجدها اشتملت على:

مقدمة: التي تستهل بها الحكاية قبل عرض الأحداث وتتمثل في" حكاية عجيبة في أمر أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه وهي من أعجب الحكايات في قصة قبره عليه السلام، وظهوره بعد الثلاثين وخمسمائة في ناحية بلخ في قرية كبيرة يقال لها الخير."[5]

العقدة: هي المشكل الرئيسي في القصة والحدث المهم فيها، وتمثل اللحظة التي تتعقد فيها الأمور، ونجدها في القصة تتمثل في اختلاف العلماء والفقهاء في موضع القبر

[1] – التحفة.. ص164.

[2] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[3] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[4] – المصدر نفسه. ص165.

[5] – المصدر نفسه. ص163/162.

وفي تصديق المنام الذي رآه جماعة من أهل القرية، لتبلغ الحبكة ذروتها عندما يرى الفقيه في المنام انه تعرض إلى الضرب من طرف العلويين، ليفاجئ عندما يستيقظ ويجد كل جسمه ووجه قد صار أسودا من شدة الضرب ويشعر كأن عظامه قد كسرت، وكأن المنام كان حقيقة" فإذا بوجهه قد اسود، وكذلك جميع جسده من كثرة ما ضرب ولطم ولكم."[1]

الحل: وهو خاتمة الحكاية حيث تنفرج الأحداث ونجدها في القصة تمثل في إيجاد قبر علي رضي الله عنه في ذلك الموضع الذي أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام وعليه بنوا مشهدا عظيما يزوره الناس من كل مكان" فبني عليه مشهد عظيم، أحسن وأبهى من مشهد الغري(...) والناس يزورونه من جميع بلاد خراسان وبلخ وسمرقند."[2] وفي النهاية يختم الغرناطي قصته بقوله:" من عجائب الأمور أن يظهر قبر أمير المؤمنين، ولا يعرف به إلا بعد الخمسمائة."[3] ليضفي على القصة نوعا من العجائبية الممتعة.

ومما سبق نجد أن القصة أحداثها متسلسلة مترابطة سارت وفق البناء الفني المعهود حيث نجد فيها مقدمة استهلالية لموضوع القصة وعقدة تأزمت فيها الأحداث وضاقت وأخيرا الحل الذي انفرج فيه المشكل الرئيسي وكان خاتمة للقصة.

[1] – التحفة. ص164.

[2] – المصدر نفسه. ص165.

[3] – المصدر نفسه. ص نفسها.

2_ الرحلة الغرناطية عجائبيا:

تعدّ تحفة الغرناطي من المؤلفات التي تزخر بالعجائبي في مختلف تنوعاته، إذ حرص المؤلف الرحالة على ملء رحلته بغريب الموجودات كلها، فيدون العجيب والفاتن ويوسع دائرة الخيال ومجاله، ويخترق الواقع.

ولجوء الرحّالة إلى العجائبي في بناء رحلته، جاء بناءًا لما يقتضيه العصر، فقد كان إضافة العجيب إلى النص الرحلي ظاهرة عامة، قد تعارف عليها الرحّالة العرب في القرون الماضية، والمتصفح لرحلته يجد نفسه تتجاذبه الغرائب والعجائب من كل جهة، وهذا ما يجعله مترددا في التصديق أو التكذيب، فالنص يتوسل طريقه للعجائبي، ويظهر ذلك في إستراتيجية الكتابة، إذ إن الرحّالة يعلم أن لابد له من توظيف التعجيب حتى تنال تجربته القبول والإعجاب، وحتى لا يخذل توقعات المتلقي، هكذا تحفل الكتابة بالحديث عن الغرائب والعجائب في قالب رحلة.

وقد تنوعت عناصر العجائبي في الرحلة بتنوع المشاهدات والقصص، وفي مايلي عرض لأبرز العناصر العجائبية:

. الوصف العجائبي:

إن الوصف" على حد تعريف جيرار جنيت: (كل حكي يتضمن سواء بطريقة متداخلة أو بنسب شديدة التغيير، أصناف من التشخيص لأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سرداً، هذا من جهة، ويتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو أشخاص وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفاً) فنستشف من مقولة جنيت انه حصص الأحداث للسرد

أما الوصف جعله يختص بالأشخاص والأشياء، فالوصف هو عبارة عن مستوى من مستويات التعبير."[1]

ويعد الوصف أحد العناصر الرئيسية التي يستند عليها أدب الرحلة، بجانب السرد والحوار، ويتميز الرحّالة بالدقة في الوصف والأسلوب الأدبي الرفيع، كما امتازت أوصافهم بالطابع العجائبي، نظرا إلى أن" الوصف يعتبر من أهم المكونات السردية، التي تبين ملامح مكونات الرواية، من شخصيات ومكان وزمان، إذ يأخذ على عاتقه رسم الأبعاد الثلاثية هذه العناصر وتجسيدها أمام أنظار القراء."[2] حيث نجد الرحّالة ينتقل بين المألوف وغير المألوف، وهذا الوصف المدعوم بالخيال يؤثر في المتلقي، ويصيبه بالتردد والحيرة، فالوصف إذن يحتل المكانة الرئيسية في الرحلة، كما يحتل نفس المكانة في الخطاب العجائبي، إذ يشتغل على خصوصيات عجيبة تتعلق بالكائنات والمخلوقات والأشياء والأمكنة...الخ.

فالوصف في الخطاب العجائبي له دور في" إيصال الحدث فوق الطبيعي وتجسيده على مستويات معينة في تناوب السرد الذي يكمل الوصف ويعضده(...) ويمتلك أدواته الخاصة التي تعمل على تنظيم الحكي، بقصد معرفة خاصية تجعل المتلقي يطرح مجموعة من التساؤلات المنهجية، فيما يتعلق بوضعية السارد الواصف ومواقعه ثم الشيء الموصوف أو يعزي إلى الهوية الفانتاستيكية للوصف."[3]

ومنه فالوصف يجعل" الرحلة في بعض جوانبها، تجميع للغرائب وعجائب الآخر إنسانا وعمرانا وتاريخا، لاعتبارات تختمر في ذات الرحّالة، فيلتقطها أو ينسجها فهي شيء

[1] – منصور نعيمة. جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة. دراسة تحليلية تطبيقية. مرجع سابق. ص85.

[2] – عبد الرحيم الكردي. الراوي والنص القصصي. دار النشر للجامعات. القاهرة. دط. 1996م. ص95.

[3] – حليفي شعيب. شعرية الرواية الفانتاستيكية. منشورات الاختلاف. دار الأمان. الرباط. المغرب. ط1. 2009م. ص168.

غير مألوف يوضع تلقائيا المقابلة مع غير المألوف* والرحلة في إطارها العام هي الخروج من دائرة ما هو مألوف إلى انفتاح على اللامألوف."[1]

وفي هذه الرحلة يجنح الغرناطي إلى استغلال الوصف العجائبي من أجل استقطاب مخيلة المتلقي وإثارته وتشويقه ونجد ذلك:

.في وصف الشعوب:

حملت نظرة الغرناطي في وصفه للشعوب المختلفة بالبعد العقائدي، وذلك عبر تحكم النسق الديني بصفة عامة والإسلامي بصفة خاصة، فنجده ينتقص من الآخر إذا غاب الدين، كما تتحقق درجة التفوق كلما كانت الأمة مسلمة، ويتجلى هذا عندما يصف بعض شعوب السودان، فيقول:" أهل غانة أحسن السودان سيرة وأجملهم صورا، سبط الشعور، فيهم عقول وفهم، ويحجون إلى مكة، أما قناوة وقوقو وملي وتكرور وغرامس، فقوم لهم بأس وليس بأرضهم بركة، ولا خير في أرضهم، ولا دين لهم ولا عقل، وأشرهم قوقو، قصار الأعناق فطس الأنوف، حمر العيون، كأن شعورهم حب الفلفل ورائحتهم كريهة."[2] ونلاحظ هنا أن للجانب الديني حظا كبيرا في تقديم صورة الآخر.

كما يذكر أن في السودان" امة لا رؤوس لهم ذكرهم الشعبي في كتاب "سيرة الملوك" (...) وأولئك الأمة اللذين لا رؤوس لهم، أعينهم في مناكبهم، وأفواههم في صدورهم، وهم أمم كثيرة، وهم كالبهائم يتناسلون، ولا مضرة على أحد منهم، ولا عقول لهم، والله أعلم."[3] هنا تجاوز للواقع، يستحيل أن يتقبله العقل، وهذا ما جعل الغرناطي يذكر مصدر الخبر حيث اقتبسه من كتاب أخر، في محاولة لاستمالة القارئ إلى التصديق.

---

* : أظن أن هنا يوجد خطأ مطبعي، فالأصح حسب سياق الحديث هو (يوضع تلقائيا المقابلة مع المألوف.)

[1] – حليفي شعيب. الرحلة في الأدب العربي. مرجع سابق. ص430.

[2] – التحفة. ص39.

[3] – المصدر نفسه. ص45/44.

ثم نجده ينتقل فيصف أمة من العرب الذين أثاروا دهشته، فيقول:" وعند صنعاء اليمن أمة من العرب قد مُسخوا، كل إنسان منهم نصف إنسان، له نصف رأس ونصف بدن ويد واحدة، ورجل واحدة يقال لهم وبار، وهم من ولد إرم بن سام أخر عاد وثمود، وليس لهم عقول، يعيشون في الآجام في بلاد الشجر، ويتكلمون العربية ويتسمون بأسماء العرب ويقولون الأشعار."[1] يوجد في هذا الوصف نوع من التناقض، حيث يذكر الغرناطي بأنهم لا عقل لهم، لكنهم يتكلمون العربية بل ويتسمون بأسماء العرب، ولا يكتفون بذلك بل يقولون الأشعار، وهذه الأفعال منهم تأكيد على وجود العقل لديهم، وهذا ما يجعل التعجيب هنا اختراق للمنطق.

وفي موضع آخر يصف امة غريبة، في بلاد المغرب" وذُكر أن في فيافي بلاد المغرب أمة من ولد أدم كلهم نساء، ولا يكون بينهم ذكر، ولا يعيش في أرضهم، وان أولئك النساء يدخلن في ماء عندهن، فيحملن من ذلك الماء وتلد كل امرأة بنتا، ولا تلد ذكرًا البتة ."[2] وهذا لاشك من أعجب الأمور، التي تجعلنا نشعر بالحيرة وتثير في أنفسنا الدهشة، كما أن الغرناطي لا يقول بمشاهدة هذه الأمة بعينه، وإنما نقلها عن طريق السماع، وهذا ما تدل عليه كلمة (ذُكِرَ) وهذا لينفي عن نفسه شبهات الكذب.

.في وصف الحيوانات والأشياء والعلاجات:

من عجائب الحيوانات، في تحفة الغرناطي نجده يذكر عجيبة طائر الرخّ* والرجوع إلى الشباب بعد المشيب، فيقول:" ويكون في جزائر بحر الصين طائر يعرف بالرخّ، ويكون

---

[1] – التحفة. ص45.

[2] –المصدر نفسه. ص 44.

*: ذكر ابن سعيد الرخ في كتاب الجغرافيا وصفا يدعوا إلى الاستغراب، ولكنه قدم له بكلمة زعموا وهو يجعل مدغشقر موطنه/ مما جاء في وصفه: انه يغطي بظله سرية ويخطف بمخالبه فراخ الفيلة ويزقها فراخ، ويصنعون من قصبته قناطر على مياههم يجوزون عليها ، ووصفه في ألف ليلة وليلة يوحي بأنه اقرب إلى الطيور الخرافية منه إلى الحيوانات الحقيقة. ينظر: تحفة الألباب. ص131.

جناحه الواحد عشرة آلاف باع، ذكر ذلك الجاحظ في كتاب الحيوان، وكان قد وصل إلى المغرب رجل من التجار، ممن سافر إلى الصين في البحر...وكان عنده أصل ريشة من جناح الرخّ (...) وكان يحدث بالعجائب، فذكر انه سافر في بحر الصين وألقتهم الريح على جزيرة عظيمة، فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب، فرأوا قبة عظيمة، أعلى من مائة ذراع لها لمعان وبريق، فتعجبوا منها، فلما دنوا منها إذا هي بيضة الرخّ، فجعلوا يضربونها بالفؤوس والخشب والحجارة، حتى انشقت عن فرخ الرخّ، كأنه جبل فتعلقوا بريش جناحه، فجروه فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة عند غلماني، خرج أصلها من لحم جناحه ولم يكمل بعد خلقه، قال: فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه ورحلوا، وكان بعضهم طبخ في الجزيرة قدراً وحركوها ببعض عيدان الحطب الذي طبخوه به، وكان فيهم مشايخ فلما أصبحوا رأوا المشايخ وقد اسودت لحاهم، ولم يشيبوا بعد ذلك من أكل ذلك الطعام."[1] هنا نجد الغرناطي يصف طائر الرخّ وصفا دقيقا، بل ويضفي عليه الأبعاد والقياسات وكأنه يراه رأي العين، وهذا ما يعطي لصورته في أذهاننا بعدا واقعياً تجعلنا نصدق وجوده فعلا.

وفي موضع أخر يتعجب من حمير الوحش، فيقول:" وفي بلاد الزنج حُمُر كل حمار كأنه ثوب عتابي، مخطط أبيض واسود بخطوط مستوية أحسن سوادا وأحسن بياضا من الأبرسيم في العتابي البغدادي أو الخراساني."[2]

ويذكر أيضا أن" في نيل مصر طير ابيض الرأس، اسود الشعر يقال له عقاب الماء كأنه النسر كبره، يطير على النيل ثم يزج نفسه في الماء فيخرج وفي مخالبه سمكة كبيرة يقولون أنها من أطيب السمك الذي في النيل، فيصعد بها في الهواء، فيجتمع إليه الطير تأكل سمكته التي في مخالبه، فيصيح ذلك العقاب، " الله! الله! " بكلام مليح يفهمه الناس من

[1] – التحفة. ص131/132.

[2] – المصدر نفسه. ص133.

بُعدْ، وهو نوع كثير على نيل مصر."[1] وهو هنا يتعجب من هذه الحيوانات ذات الأوصاف العادية بالنسبة لنا، ولكنها تخالف المألوف لديه، فهو لم يراها من قبل في بلاده.

ويذكر من الأشياء العجيبة التي لفتت انتباهه، قرن الكركدن الذي إذا شُقّ تخرج منه صور عجيبة " وقرن الكركدن إذا شق طولا تخرج فيه أنواع من الصور، كالطاووس والغزال وأنواع الطير والشجر، وصور بني آدم وغير ذلك من النقوش، يتخذون منه صفائح على سروج الملوك وفي مناطقهم*، وأيضا هذا من أعجب العجائب."[2]

وفي موطن آخر يتثبت الغرناطي، ويستفسر من احد المشايخ عن سر اشتعال النار الغريبة في إحدى الجزر، فيقول:" وأخبرني الشيخ الإمام الزاهد أبو القاسم بن الحاكم الصقلي، حين سألته عن تلك النار، قال: إن تلك النار تضيء على عشرة فراسخ، لا يحتاج أحد معه في تلك المواضع إلى ضوء ولا سراج في طريق ولا في قرية، لكثرة ذلك الضوء ويخرج من تلك النار جمر كبار كأعدال القطن، ينقطع فيقع بعضها في البر، فيصير حجرا ابيض خفيفا يطفوا على الماء لخفته، والذي يقع في البحر يصير حجرا اسود مثقبا يحك به الأرجل في الحمام، يطفوا على الماء أيضا."[3] وهنا الغرناطي يستفسر من غيره لإضفاء المصداقية على القصة.

ويورد قصة عجيبة لحجر اسود له خصائص غريبة، فيقول:" ولقد رأيت في أردبيل* حجر في الميدان اسود، له طنين كالفولاذ وله محك كمحك القلعي الرصاص، وهو على صورة كلية البقر، فيه كثير من مائتي مَنّ، وخاصيته إذا عدم المطر جعلوه على عجلة

---

[1] – التحفة. ص134.

* : أي وسطهم. ويقصد بذلك منطقة الحزام التي يشد به الثوب.

[2] – المصدر نفسه. ص133.

[3] – المصدر نفسه. ص127.

*: تقع في أقصى بلاد أذربيجان شرقا على مسيرة 40كم من بحر الخزر ومن الحدود الروسية. ينظر: تحفة الألباب. ص108.

وأدخلوه مدينة أربيل، فينزل المطر ويدوم، حتى يخرج ذلك الحجر إلى الميدان، فإذا خرج سكن المطر وهو من عجائب الدنيا والله اعلم."[1] وهذه من العجائب التي عاينها بنفسه وذلك واضح في قوله (رأيت في أربيل) هنا يحاول الغرناطي أن يفرض على المتلقي ضرورة تصديق القصة، باعتباره هو مصدر الخبر.

ويذكر أن في جزيرة سرنديب* يتخذون دهنا عجيبا" وكنت سمعت أن عند تلك الجزيرة (سرنديب) دهن إذا دهن به الإنسان لا يعمل الحديد فيه شيئا...يؤخذ الشيرج فيغلى حتى يذهب نصفه، ويجعل هذا الحجر في الدهن، ومن دهن بذلك الدهن لم يؤثر الحديد فيه شيئا حتى يغسل جسده، ومن شرب من ذلك الدهن عشرة دراهم، ولا يأكل لبنا ولا ما يُتخذ من الّلبن، لم يضره الحديد البتة."[2]

ومما سبق نخلص إلى أن الغرناطي امتلك حسا وصفيا دقيقا وعاليا في وصفه للأشياء والحيوانات سواء بالمشاهدة أو السماع، فهو بمثابة الوثائقي التسجيلي، فقد استطاع الرحالة بهذا الوصف أن ينشط مخيلة القارئ و يستحضر صورة الحيوانات والأشياء كما يراها و يتخيلها هو.

.في وصف عجائب الجان:

من الصور العجيبة التي وردت في تحفة الغرناطي ذكره للجان، حيث كان للّجن وما يرتبط بهم من عجائب حضور واضح في رحلته، ومن ذلك حديثه عن بناء الجن الإسكندرية لسليمان عليه السلام، وغيرها من المدن والقصور، فنجده يروي قصة خلق الجن

---

[1] – التحفة. ص109.

* : سريلانكا حاليا. جزيرة تقع في مقابل شواطئ ولاية نامبل نادو الهندية يفصلها عنها المحيط الهندي، وفي سريلانكا نسبة مهمة من العرب ومن المغاربة المستوطنين، وقد ظل العرب يسيطرون على التجارة في الجزيرة وضواحيها حتى انتزعها منهم البرتغاليون سنة 1505م. ينظر: تحفة الألباب. ص46.

[2] – المصدر نفسه. ص120.

فيقول:" لما أراد الله أن يخلق الجان بقدر، خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانًا(...) ثم خلق للجن زوجته وسماها جنية، فغشاها زوجها الجان فحملت ما شاء الله، فلما أثقلت وضعت إحدى وثلاثين بيضة، فانفلقت بيضة واحدة، فخرج منها حيوان على خلاف الجن في الخلق والشكل، فقالت لها الجنية من أنت، قالت قطربة أم القطارب، فقالت الجنية: يا قطربة لماذا خلقت؟ قالت قطربة: خلقت لأحضن هذا البيض، وأفرقه في مضانّه، قالت الجنية: فدونك، فجلست القطربة على ذلك البيض شهرا واحدا، ففقست منه بيضة واحدة، فخرج منها ستون ألف إبليس وستون ألف إبليسه، ذكورا وإناثا، والله أعلم، وفقست بيضة أخرى، فخرج منها ستون ألفا من السعالي وستون ألفا من إناثهم، وفقست بيضة أخرى فخرج منها ستون ألفا من الغيلان، ومثلهم من إناثهم... قال: فقسمت قطربة كل جنس من هؤلاء الجن حيث أراد الله من القفار والجبال والرمال والغياض والبحار والجزائر والظلمات، والهواء ومواضع الدماء ومواضع القبور، وقالت لهم: أكثروا وأعمروا..."[1]

هنا نجد أن الأسلوب الحواري بين الجنية وقطربة، قد بلغ بالقصة إلى أقصى حدود التعجيب كما نلاحظ من خلال هذا الوصف أن الحكاية تضفي الجان بعدا حيوانيا في تكاثرهم، كما أن الغرناطي يستشهد من القرآن، فيقول:

(كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحجر: ٢٧

وقال عزوجل في موضع اخر: ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الرحمن: ١٥)

وهو هنا يوظف الآيات ويستعملها كحجة أمام القارئ، فلا يدع له مجالا في التشكيك بصحتها، فقد ذكرها الله في كتابه العظيم.

[1] – التحفة. ص47/49.

كما أورد في موضع آخر قصة البحيرة والجنّ المسجونين فيها"...فلما وصلوا إلى ذلك الشجر، رأوا عنده بحيرة كبيرة كثيرة الطين، والأمواج فيها تلتطم، طيبة الماء حولها شجر كثير، والطير حولها كثير(...) فأعجب بها الأمير موسى(...) وأمر الغواصين فغاصوا في البحيرة، فاخرجوا جباباً من النحاس عليها أغطية من الرصاص مختومة، قال: ففتح منها جبا، فخرج منه فارس من نار على فرس من نار، وفي يده رمح من النار، فطار في الهواء، وهو ينادي: يا نبي الله، لا أعود. وفتح جبا آخر فخرج منه فارس آخر كالدخان في يده رمح كالدخان، وهو يقول: يا نبي الله، لا أعود. وفتح جبا آخر فخرج منه فارس كالصقر، على فرس كالصقر، وفي يده رمح كالصقر، فطار في الهواء، وهو ينادي: يا نبي الله، لا أعود (...) ثم أذن المؤذنون لصلاة الظهر، فلما ارتفعت الأصوات بالآذان، خرج من وسط البحيرة شخص كالآدمي، هائل المنظر وجعل ينظر إلى الناس يمينا وشمالا، فصاح به الناس من كل جانب: من أنت يا هذا القائم على الماء؟ فقال: أنا من الجن الذين سجنهم سليمان في هذه البحيرة، وإنما خرجت لما سمعت أصواتكم، لأني ظننت انه صاحب الكلام، قالوا له: من صاحب الكلام؟ قال: رجل يمر بهذه البحيرة في كل سنة يوما، فيقف فيذكر الله، ويسبح ويقدس ويكبر ويستغفر، ويدعوا لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، ثم ينصرف، وأساله عن اسمه أو من هو، فلا يكلمني، قيل له: أتظنه الخضر؟ قال: لا أدري، قيل له: كم سجن سليمان من الجن في هذه البحيرة؟، قال: ومن يقدر أن يحصي عددهم! ثم غاب عنا."[1] وهنا نجد أن وقوف أبي حامد الغرناطي وتطرقه لمسألة الجن والطابع العجائبي الذي يلفه، من الأدلة على انه اعتمد الجانب الديني والموروث الشعبي في تغذية نصوصه العجائبية، ويتجلى ذلك بإضافة عناصر غيبية (فوق طبيعية) داخل متن الرحلة كالجن .

[1] – التحفة. 65/63.

. في وصف عجائب القبور والموتى:

من المشاهد العجيبة زيارة القبور التبرك بها، وقد أورد الغرناطي العديد من المشاهد والصور التي تصف الموتى وقبورهم، في مشهد مهيب يعكس رؤية الأمم السابقة لفكرة الموت، وتعكس الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والدينية، ومن الأوصاف العجيبة أورد الغرناطي ذكر قبر أهل الرقيم، أو أصحاب الكهف، والذي يزعم انه موجود في غار قرب غرناطة في منطقة تسمى "لوشة" فيقول:" وبالقرب من المدينة بثلاثة فراسخ مدينة صغيرة يقال لها لوشة، إلى جانبها جبل في حضيضه مثل الغار، كهف الشمس تزاور عن بابه ذات اليمين وإذا غربت تقرضه ذات الشمال، وفي داخله فتية، عددهم سبعة موتى، لم يسقط من أعضائهم ولا من شعورهم شيء، والناس يغطونهم بأنواع الثياب ويزورونهم من جميع البلاد، وعلى الكهف مسجد، ولهم هيبة عظيمة، وعلى الكهف نور عظيم كثير، والدعاء عندهم مستجاب."[1] ويورد الغرناطي هذه القصة على أنها كرامة من الله والعجيب

والدعاء عندهم مستجاب."[2] ويورد الغرناطي هذه القصة على إنها كرامة من الله والعجيب أنها تظهر لجميع العباد.

أما في ظهور الهوان على القبور في حق الظالمين يورد قصة رجل من الأمراء كان ظالما"...فقد رأيت في بلدي غرناطة، قبر رجل من الأمراء، كان أميرا ظالما غاشما قاتلا، ظلما وعدوانا، كان اسمه قداح وانه لما مات بني على قبره قبة عظيمة وعمل على قبره ألواح من الرخام الأبيض كالعاج حسنا، فتقطع ذلك الرخام واسودت القبة من الدخان الذي كان يخرج من قبّره حتى صار كالأتون، ولم يدفن احد بقربه ميتا، وكنت اذهب مع الناس إلى

[1] – التحفة. ص143/144.

[2] – المصدر نفسه. ص نفسها.

قبره للاعتبار ونأخذ من سواد دخان قبره كما يؤخذ من الأتون الأسود، وهذا عذاب ظاهر، وأمثاله في الدنيا كثير."[1]

كما ذكر الأحقاف، فقال:" وقد ذكر الثّعبي في كتاب (سيرة الملوك) أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان يوما جالسا بظاهر الكوفة، إذ أقبل أعرابي من اليمن فسلم عليه وهنأه بالخلافة(...) فقال له علي: أتعرف الأحقاف؟ فقال: لعلك تريد حفيرة هود النبي عليه السلام(...) فقال: دخلتها يا أمير المؤمنين في حال شبابي أنا وصاحب لي، فنزلنا مائة درجة محفورة في الجبل حتى أفضينا إلى أَزَج* عظيم فيه سرير من الرخام عليه رجل كقطعة الجبل، وجسده على هيئة الأحياء، لم يتغير جميل الوجه مع عظم جسده، وعليه ثياب يمانية، وعند رأسه لوح رخام مكتوب فيه شعر.

هذا النبي المهتدي الهـــادي إلى الجبارة الغـاوين من عـــــاد

أن يعبدوا الله لا يبغونه بدلا ويرفضوا كل ذي ضد وأنـــــداد

فخالفـــوه وردّوا قوله سفهـا وخـــوفوه بإرهـــاب وإبعـــــاد

فأرسل الله ريحا في عجاجتها لها صريـــر بإبراق وإرعـــــاد

فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم قد يذنب العبد والمولى بالمرصاد"[2]

ومن عجائب القبور يذكر حفير شداد، حيث يقول:" ...إن في جبل حضرموت، حفائر قبور الملوك المتقدمين من العاديين، وغيرهم من الجبابرة، وان الله سبحانه وتعالى قد خصّ ولد عاد بعظم الأجساد، وشدّة البأس وكثرة القوة وسعة الملك، فوجدت حفيرة شداد في الجبل،

---

[1] – التحفة. ص144.

* : الأَزَجُ: بناء مستطيل مقوس السقف، والجمع: آزُجٌ وآزاج. ينظر، القاموس الالكتروني المعاني. عربي– عربي. نقلا عن معجم الوسيط. مرجع سابق.

[2] – التحفة. ص147.

يُنزل إليها في أدراج محفورة، علو كل درجة عشرة أذرع، وهي أدراج كثيرة، فوصلوا إلى أزج تحت الأرض عظيم فيه سرير من رخام، منقوش بالذهب وعليه شداد بن عاد، كأنه قطعة من جبل، مطليا بالمر والصبر والمغرة، لم يسقط من جسده شيء، وعند راسه لوح مكتوب فيه شعر."[1]

ويجد الغرناطي في بلغار أثارا من نسل الاشداد، وقبورهم وأجسامهم الطويلة، يذكر ذلك:" وقد رأيت قبورهم في باشغرد، سن أحدهم طولها أربعة أشبار وعرض السن شبران(...) وفي بيت احد أصحابي في باشغرد، عظم عضد أحدهم طوله ثمانية أذرع، وعرض أضلاعهم كل ضلع ثلاثة أشبار كاللّوح الرخام، واخرج لي نصف رصغ يد احدهم قد تآكل بعضه بالأرض، والذي إلى الرسغ صحيح، فكنت لا أقدر أن ارفعه بيد واحدة حتى أرفعه بيدي جميعا، وفي بلغاريا أيضا من عظامهم مثل هذا."[2]

ويذكر أيضا أن في طرق قونية يوجد" غار تحت الأرض يسكنه جماعة، وفيه بيت كبير فيه رجال موتى، بعضهم قيام وبعضهم ركوع، وبعضهم سجود، فلا يدرى من أية امة هم، وعليهم ثياب لا تبلى، والنصارى والمسلمون يتبركون بهم."[3]

كما أورد في موضع آخر قصة قبر دانيال الذي وجده الصحابي موسى الأشعري رضي الله عنه، عندما فتح مدينة خراسان" فوجد فيه صندوقا من رخام فيه رجل ميت صحيح

[1] – التحفة. ص147.

[2] – المصدر نفسه. ص152.

[3] – المصدر نفسه. ص154.

الجسد، فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب يخبره بذلك، فسأل عمر بن الخطاب كعب الأحبار*، فقال: ذلك يا أمير المؤمنين دانيال النبي عليه السلام."[1]

ومن العجائب كذلك، يورد الغرناطي قصة قبر الرجل الصالح، وتراب قبره العجيب حيث يقول:" وفي المغرب الأعلى، قريبا من القيروان، قبر رجل صالح يقال له محمد المعلم وكان من الزهاد، مستجاب الدعوة، وكل من مرّ على قبره يأخذ من ترابه شيئا، فإذا ركبوا على البحر وهاج البحر وعصفت الرياح، وكثر الموج، اخرجوا من تراب قبره شيئا وألقوه في البحر، ودعوا الله تعالى، سكن البحر وزالت الرياح، وسهل عليهم السفر، وهذا معلوم في ارض المغرب."[2]

كما يذكر أن في مصر مسجد فيه قبر لرجل يقال له عفّان ويصفه انه:" بين طريقين في ركن وله شبابيك من حديد، كل من مرّ به من الناس، يقول رحمك الله يا عفان(...) وفي كل يوم اثنين وخميس وجمعة، يحضرون الوكلاء ومعهم الثياب للرجال والصبيان والبنات، والدراهم ويدخلون المسجد، ويأتون الفقراء من خارج الشبابيك الحديدية التي جعلت في حيطان المسجد، فيقسمون على الفقراء أموالا كثيرة وكل من عبر عليه يقول: رحمك الله يا عفان."[3]

ويختم حديثه عن القبور وكتابه بقصة عجيبة لقبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يورد قصة مدفنه في بلخ ، وهو يصفه بأسلوب دقيق ويؤدي دور الناقد مسجلا صورة فوتوغرافية للمشهد المعني، حيث يقول:" ونختم هذا الكتاب بحكاية عجيبة في أمر

*: هو كعب بن مانع بن ذي هجن الحميري أبو إسحاق، تابعي كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، اعتنق الإسلام في عهد أبي بكر الصديق. سار إلى المدينة في عهد عمر بن الخطاب، وقد اخذ عنه عدد غفير من الصحابة وتعلم هو الكتاب والسنة، وتسربت عن طريقه العديد من الروايات الإسرائيلية. ينظر: تحفة الألباب. ص55.

[1] – التحفة. ص155.

[2] – المصدر نفسه. ص158.

[3] – المصدر نفسه. ص160/159.

أمير المؤمنين كرم الله وجهه، وهي من أعجب الحكايات في قصة قبره عليه السلام*وظهوره بعد الثلاثين وخمسمائة في ناحية بلخ*، في قرية كبيرة يقال لها الخير(...) فوجدوا القبر عليه لوحان من رخام، وأمير المؤمنين في داخله، لم يذهب منه شيء البتة، وكفنه صحيح، فرآه الأمير وجميع العلماء، ووجدوا تحت خده لبنة حمراء فيها مكتوب بالإصبع، هذا محب النبي علي كرم الله وجهه، فبني عليه مشهد عظيم، أحسن وأبهى من مشهد الغرى، وتلك اللّبنة في كيس من ديباج معلقة في محراب المشهد، (...) والناس يزورونه من جميع بلاد خراسان وبلخ وسمرقند، ومن عجائب الأمور أن يظهر قبر أمير المؤمنين في ناحية بلخ، ولا يعرف به إلا بعد الخمسمائة."[1]

ومما سبق نلاحظ أن القبور و المزارات الدينية الإسلامية، شكلت جزءا من منظومة الغرناطي العجائبية، ذات الطابع الديني.

* : هذه العبارة يستخدمها الشيعة عند ذكر الصحابي علي رضي الله عنه .واستعمالها من قبل الغرناطي لا ندري هل كان أمرا عفويا نظرا لشيوع العبارة في ذلك العصر، أم انه ينتمي لهذا المذهب حقا.

*: تقع على الشاطئ الجنوبي لنهر جيجون على رافده دهّاس، كانت بلخ قاعدة ولاية خراسان قبل أن تصبح مركز الإشعاع الديني والثقافي لمملكة طخارستان، وقد فتحها الأحنف بن قيس في سنة 31هـ، لكن مسلم بن قتيبة هو الذي وطد الحكم الإسلامي فيها سنة 90هـ، وبلخ الحالية عبارة عن قرية ليس لها أهمية تذكر، ينظر كتاب تحفة الألباب ص163.

[1] – التحفة. ص165/162.

. عجائبية الشخصيات:

تختلف الشخصيات العجائبية عن غيرها من الشخصيات العادية، حيث نجد لها سمات وصفات خاصة بها تجعلها غريبة ومدهشة" فالشخصية في المحكي العجائبي، هي القطب الذي منه ينطلق الحدث فوق الطبيعي وعليه يقع، أي أنها إحدى المكونات الأساسية في تحديد "الفانتاستيك" من خلال المميزات الخلاقية، والمتجلية في الأوصاف والسلوك النسبي والمادي، والأفعال المتجسدة، انطلاقا من الحركات والأقوال...فالشخصية العجائبية التي نقصدها هي تلك الشخصية الناشئة من الواقع المعبرة على مستوياته المختلفة، وفجأة يطغى عليها طابع التعجيب والتغريب."[1]

وكتب الرحلة تزخر بكثير من الشخصيات العجيبة والغريبة، كما أنها تتنوع" فنجد السحرة والمشعوذين وكرامات الأولياء الخارقة، وكذلك الشخصيات المقدسة لدى الشعوب."[2]

وبالطبع فقد تضمنت رحلة الغرناطي العديد من الشخصيات العجائبية، والتي ظهرت في أشكال مختلفة ومتنوعة، تجلت في عدة أنماط، كالغيبي والخارق والمسخ والتحول والمقدس.

وقد ذكرنا بعض النماذج على سبيل المثال لا على سبيل الحصر، منها:

" الغيبي ويتمثل في النص العجائبي داخل متون الرحلة، بحضور فوق الطبيعي كالهاتف والجن عبر الحوار والمكاشفة."[3]

[1] – فاطمة الزهراء عطية. العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن رشد الأندلسي. مرجع سابق. ص45.

[2] – أشواق فهد الخطيب. تجليات العجائبي في أدب الرحلات. مرجع سابق. ص115.

[3] – بلال سالم الهروط. صورة الأخر في أدب الرحلات الأندلسية. رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربي وآدابها. جامعة مؤتة. الأردن. 2008م. ص126.

ونجد هذا الحضور في شخصية الجان التي كان حضورها في الرحلة بارزا، وتمثلت في شخصية قطربة، حاضنة بيض الجن" ...فانفلقت بيضة واحدة، فخرج منها حيوان على خلاف الجن في الخلق والشكل، فقالت لها الجنية: من أنت؟ فقالت: أنا قطربة أم القطارب، فقالت لها الجنية: يا قطربة، لماذا خلقت؟ قالت قطربة: خلقت لأحضن هذا البيض وأفرقه في مضانّه."[1]

وكذلك في حديث البحيرة نجد فرسان الجن، الذين سجنهم سليمان عليه السلام في جبب من نحاس، عليها أغطية مختومة من الرصاص" فخرج منه فارس من نار على فرس من نار، في يده رمح من نار، فطار في الهواء وهو ينادي: يا نبي الله، لا أعود(...) فخرج منه فارس آخر كالدخان في يده رمح كالدخان، وهو يقول يا نبي الله، لا أعود(...) فخرج منه فارس كالصقر على فرس كالصقر، وفي يده رمح كالصقر، فطار في الهواء وهو ينادي: يا نبي الله، لا أعود."[2]

وكذلك نجد شخصية الجن الذي خرج من البحيرة، والذي تجسد في شكل آدمي عظيم الخلقة" خرج من وسط البحيرة شخص كالآدمي هائل المنظر(...) فقال: أنا من الجن الذي سجنهم سليمان في هذه البحيرة."[3]

أما" الخارق وهو إحدى الدعامات التي يلجأ إليها الرحّالة، ويهدف فيها إلى إضفاء السمات الخارقة على مروياته."[4]

ومن ذلك ما يرويه أبو حامد الغرناطي عن الرجل الذي ينسب لقوم عاد، والذي يدعى (دنقى)" رجلا طويلا كان طوله أكثر من سبعة اذرع، كان يأخذ الفرس تحت إبطه،

---

[1] – التحفة. ص47.

[2] – المصدر نفسه. ص 64.

[3] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[4] – بلال سالم الهروط. صورة الأخر في أدب الرحلات الأندلسية. مرجع سابق. ص127.

كما يأخذ الإنسان الحمل الصغير، وكان من قوته يكسر ساق الفرس بيده ويقطع جسده وأعصابه، كما يقطع باقة البقل."[1]

أما" المسخ والتحول: وهو التحول والتبدل الجوهري، الذي يطال الإنسان أو الطبيعة، ويغيره من حالة إلى أخرى عقابا، بتحويل بعض الصفات الآدمية إلى جماد أو وان يظهر الإنسان منقوص الأجزاء، وغالبا ما ترد تلك المسوخ دون تفسير أو سبب."[2]

وهذا ما نجده في الرحلة في صورة مسوخ صنعاء" كل إنسان منهم، نصف إنسان له نصف رأس ونصف بدن ويد واحدة ورجل واحدة، ويقال لهم وبار."[3]

وكذلك نجد" في السودان أمة لا رؤوس لهم (...) وأولئك الأمة اللّذين لا رؤوس لهم أعينهم في مناكبهم، وأفواههم في صدورهم، وهم أمم كثيرة، وهم كالبهائم يتناسلون، ولا مضرة على احد منهم، ولا عقول لهم."[4]

ومن أجمل الشخصيات العجيبة، نجد شخصية عروس البحر" جارية حسناء جميلة بيضاء، سوداء الشعر، حمراء الخدين عجزاء، من أحسن ما يكون النساء، ومن سرتها إلى نصف ساقها جلد ابيض كالثوب خلقة، ويتصل بجسدها يستر حيها وجسدها، كالإزار دائر عليها."[5]

ومما سبق، نجد أن تنوع الشخصيات العجيبة، واختلاف أنماطها، دليل على كثافة التخييل الذي يستمد وجوده من حكايات وأخبار وسير، يزخر بها التراث العربي الإسلامي،

---

[1] – التحفة. ص152.

[2] – بلا سالم الهروط. صورة الأخر في أدب الرحلات الأندلسية. ص128.

[3] – التحفة. ص 45.

[4] – المصدر نفسه. ص 45/44.

[5] – المصدر نفسه. ص139.

وتوظيف الغرناطي لهذه الشخصيات دليل على ثقافته الواسعة التي مكنته من الاختيار الجيد مع ما يتناسب وأسلوبه العجائبي.

. عجائبية الأحداث:

نشرت الكثير من الدراسات التي أنجزت بشأن المدهش والغريب في الرحلة العربية، واتفق اغلبها أن الرحّالة عمدوا إلى نقل الأخبار الغريبة والأسطورية، وجعلوا ذلك أسلوبا لخلق عالم خارق، حيث نجد" كتب الرحالة تحتوي على كثير من الوقائع والأحداث، التي تسمح بتوسيع دائرة الحلم وتخطي العقل إلى ما وراءه، وبذلك تصبح الرحلة نتيجة ما تحتوي عليه من إغراب وتعجيب، بمثابة سفر باتجاه الأقاصي والنهايات."[1] وهذا ما يصيب المتلقي بالتردد والدهشة، وتجعله في حضرة المهيب والخارق، لأن" معظم تلك الأخبار غير قابلة للتصديق، إلاّ أن الرحّالة قد يذكرها في رحلته من قبيل التنويع والتجديد في نمط الرحلة بين الواقع والخيال، وكذلك لشدّ انتباه القارئ."[2]

ومن الأحداث العجيبة التي وردت في تحفة الغرناطي، ذكره لمسوخ اليمن الذين يقفزون على رجل واحدة، حيث يروي:" أن تاجرا سافر في بلادهم فرآهم يثبون على رجل واحدة، ويصعدون الشجر ويفرون خوفا من الكلاب أن تأخذهم."[3]

كما يورد من عجيب الأخبار قصة تلك الحية التي تحيط بالعرش، حيث يقول" خلق الله عزوجل حية عظيمة، وقد احاطت بالعرش والتقى رأسها وذنبها، ولها من الأجنحة عدد لا يعلمه إلا الله عزوجل، على كل جناح من أجنحتها من الملائكة المقربين، مالا يعلم

[1] – من مقدمة خامسة علاوي. العجائبية في أدب الرحلات. مرجع سابق.

[2] – أشواق فهد الرقيب. تجليات العجائبي في أدب الرحلات. مرجع سابق. ص115.

[3] – التحفة. ص42.

عددهم إلا الله، في يد كل ملك حربة من نور، لا يعلم عظمها إلا الله، لو كشف الحجاب عن نور حربته ملك منهم، لأحرق نورها من دونهم."[1]

وفي موضع آخر من الرحلة يذكر قصة عجيبة لمدينة اِرم ذات العماد، التي أخفاها الله عن أعين الناس، حيث يرون في اللّيل في موضع المدينة أضواء تلمع كالمصابيح، فإذا وصلوا إليها لم يجدوا شيئا، وقد أورد الغرناطي على لسان كعب الأحبار أنه" قد دخلها رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يقال له عبد الله بن قلابة الأنصاري، خرج يطلب إبل له ضلّت، فما زال يتقصى آثارها حتى وصل إلى جبل عدن، فظهر له سور ذات العماد فلما نظر إلى سورها يلمع ذهبا أحمر مرصعا بأنواع اليواقيت، ورأى تلك المنائر حولها معمولة بالذهب مزينة بالجواهر، فعظمت في المدينة في عينيه، فلم ير أولا ولا آخرا دهش وبهت وكلما قرب منها زاد تعجبه، فقال في نفسه: هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة، فقصد بابا من أبوابها، فلما وصل إليه أناخ ناقته ودخل الباب، فرأى تلك القصور والأنهار والأشجار، ولم ير في المدينة احد تعجب! وقال: أرجع إلى معاوية وأعلمه بهذه المدينة ليأتي إليها ويسكنها، وأخذ معه من حصباء المدينة جواهر ويواقيت وزبرجدا وجعله في وعاء كان معه على راحلته."[2]

ومن عجيب الأخبار حديثه عن منسك بن النفرة من ولد يافث بن نوح وقومه فيقول: "...حتى وصلوا بعد أيام إلى مدينة عظيمة، وإذا بقوم كان* كلامهم كلام الطير لا يفهم، فلما رأونا أحاطوا بنا، وعليهم أنواع السلاح، وهم كالتراب كثرة، فأيقنا بالهلكة، حتى خرج ملكهم وعليه لباس الملوك وحوله الحشم، فلما رآنا أقبل إلينا وحده، وسلم علينا بلسان عربي قال: ففرحنا واستبشرنا، وذهب ما كنا فيه من الخوف(...) فقال الأمير موسى بن نصير:

---

[1] – التحفة. ص50.

[2] – المصدر نفسه. ص58.

* : لم يتبين معنا في النسخة هل يقصد التحقيق (كان كلامهم كلام طير) آو يقصد التشبيه (كأن كلامهم كلام طير).

أيها الملك من أنت؟ ومن قومك؟ ومن أي الأمم أنتم؟ فقال الملك: أما نحن فأمة من ولد منسك بن النفرة من ولد يافث بن نوح عليه السلام، وأنا ملكهم أرث المُلك فيهم من آبائي وقومي لا عدد لهم ولا حصر في بلاد كثيرة ورساتيق* وقلاع وحصون لا عدد لهم."[1]

ويخبرنا الغرناطي أن" في الصين مناديل الغمر، التي إذا اتسخت أُلقيت في النار فتتنقى ولا تحترق."[2]

وفي موضع آخر يذكر لنا قصة رجل يدعى عمرو بن أبي عامر* وسيل العرم وتقسيمه العجيب للقبائل العربية، حيث يقول:" إن أصحاب التاريخ حكوا في كتبهم أن عمروا ابن عامر قال لقومه لما تحققوا كون سيل العرم: من كان ذا شاه وبعير وجمل شديد، فليلحق بالشِّعب من كوفان، فلحقت به همدان، ومن كان ذا سياسة وصبر على أزمات الدّهر فليلحق ببطن مر، فلحقت به خزاعة، ومن كان يريد الراسخات في الرحل، المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخيل، فلحقت به الأوس والخزرج، ومن كان يريد الخمر والخمير، والأمر والتأمير، فليلحق بالشام، فلحقت به غسان، ومن كان يريد الثياب الرقاق والخيول العتاق، والذهب والأوراق، فليلحق بالعراق، فلحقت به لخم."[3]

وتابع الغرناطي إبهارنا بالأحداث العجيبة والأخبار الغريبة، فنجده يقول:" في أرضنا عجب لم يشاهد مثله، عندنا قلعة تسمى أورشان، فيها جبل يقال له(كوه رستم) فيه غار يسمى (غار رستم)، وفي أعلى الغار ثقب كفم كوز، إذا دخل الإنسان إلى الغار يجد في ذلك الثقب حزمة من قضبان، عددها خمسة عشر قضبانا، لا يدرى من أي خشب هي

* : رُستاق: قرى. مقاطعة. جمع : رساتيق و رستاقات. القاموس الالكتروني. المعاني. عربي عربي. نقلا عن معجم الرائد.

[1] – التحفة. ص67/66.

[2] – المصدر نفسه. ص73.

*: عمروا بن أبي عامر بن محمد بن عبد الله المعافري القحطاني الملقب بعسكلاجة. وال من المقدمين في دولة هشام المؤيد بالأندلس. ينظر: تحفة الألباب. ص77.

[3] – المصدر نفسه. ص نفسها.

مشدودة بخيط لا يدرى من أي شيء هو، وإذا حلت تلك العقدة لا يقدر أحد أن يعقد مثلها وإذا أخذ الإنسان تلك الحزمة وخرج بها من الغار سقطت حزمة أخرى، وإن أخذها ألف مرة وأخرجها من الغار سقطت غيرها."[1]

ويحكي في خبر آخر أنه" جاء رجل من رستاق خوارزم، فدخل سوق الجوهر فأخرج قطعة زمرد فائق، ما رؤى أحد مثلها، فأخذه الجوهريون وحملوه إلى خوارزم شاه، وقالوا: يا مولانا هذا الرستاقي جاءنا بهذه القطعة التي ما حسبنا أن في الدنيا مثلها، فسأله خوارزم شاه، بعدما آنسه وأمنه وأحسن إليه وخلع عليه وطيب قلبه، فقال له: أين وجدت هذه القطعة؟! فقال: ذهبت لأنظر مكان الذهب، فرأيت بالقرب منه قبة خضراء، مبنية بالحجارة مثل هذه القطعة، عالية كبيرة فدخلت فيها، فرأيت قبرا عظيما عليه ضريح مبني بحجارة وألواح مثل هذه القطعة، وعلى الضريح قصاع كبار وآواني عظام من جنس هذه القطعة، لم أقدر أن أحمل منها واحدة لثقلها، ولم أجد أخف من هذه فأخذتها، وجئت بها ولا أدري ما هي، وقد علّمت على أبواب القبة بعلامات، وجمعت عند كل باب تلا من الحجارة، فقام خوارزم شاه وركب في خواصه وأصحابه، وحملوا الرستاقي معهم، فوصلوا إلى الموضع فرأوا العلامات، ثم قال: لم يرو القبة، فقال خوارزم شاه: هذه من أعمال الجن، يحفظ الله بهم هذه الأموال، حتى يأتي من قّدرها الله عزوجل له، وهذه أيضا من عجائب الدنيا."[2]

وفي موضع آخر يروى لنا الغرناطي حادثة عجيبة جرت للصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أثناء سفره في الصحراء، فيقول" وقد روي في الخبر أن عبد الله بن عمر أراد السفر فخرج وحده على ناقته، في زمان النبي صلى الله عليه وسلم فعبر على بدر في الموضع الذي قتل فيه كفار مكة، قال عبد الله بن عمر: فانشقت الأرض وخرج منها آدمي أسود، يشتعل نارا من قرنه إلى قدمه، وفي عنقه سلسلة يجرها خلفه، وهو يصيح: يا عبد

[1] – التحفة. ص106.

[2] – المصدر نفسه. ص114/113.

الله، اسقني، اسقني، فلا ادري هل عرفني أم كان ينادي على غير معرفة، فنفرت ناقتي منه وخرج في إثره رجل في يده طرف السلسلة، وجعل يجره إليه، ويقول: يا عبد الله، لا تسقه هذا عدو الله أبو جهل، فجعل يضربه بسوطه حتى أدخله القبر، وانطبقت الأرض عليه."[1]

ويضيف قصة عجيبة لشاب ترك بلده وأتى إلى سخسين أين يقيم الغرناطي، وقد سأله الغرناطي عن سبب تركه لبلاده، فأجابه بقوله:" يا سيدي، حديث عجيب، كان لي ابن عم شاب، وكان يخدم أمير ولايتنا، فمات ابن عمي، فدفناه وحزنت عليه، وأصبحنا يوم ثاني دفنه لزيارة قبره، أنا وإخوته وأقاربه إذ سمعنا في قبره صوتا، وكأن صندوقه يضرب بالخشب ففرحنا وقلنا كأن قد أخذته ريح السكتة فدفناه حيا، فاجتهدنا حتى أخرجنا صندوقه ففتحناه وإذا بالشاب ملقى على ظهره، وكفنه عند سرته، قد اسود حتى صار كالليل البهيم، وقد خرجت عيناه على خديه، وعلى صدره حية سوداء، مقدار ذراعين في غلظ الساق، وفمها في فمه، وهي تحرك رأسها في فمه، كأنها تلقي في فمه شيئا، وتضرب بذنبها الصندوق يمينا وشمالا، وكان ذلك الصوت صوت ذنبها، فضربها أخو الميت بحربة فولاذ كانت بيده، فزلّت عن الحية ولم تؤثر فيها شيئا، ودخلت الحية في صدر ذلك الشاب الميت، وجميع بني عمه كل من كان في يده حربة، طعن تلك الحية، فلم تؤثر فيها شيئا، فقال رجل من أهل العلم كان معنا: ويحكم! هذه ملك الزبانية قد وكّل بهذا الميت، فردوا عليه التراب ففزعت وهربت من بلدي، ودخلت سفينة ووصلت إلى هذه البلدة."[2]

إن عجائبية الأحداث التي يستحيل أن يتقبلها العقل، جعلت الغرناطي يلجئ إلى حيلة السرد المنطقي، حتى يؤكد كلامه وينال ثقة المتلقي، فلا يجد القدرة في تكذيب هذه المرويات.

[1] – التحفة. ص145.

[2] – المصدر نفسه. ص146.

.عجائبية الأمكنة:

يعد المكان من العناصر الأساسية في المحكيات عموما" وباعتبار المكان هو المادة الأساسية والمحورية، والنواة التي بنا عليها الرحالة (السارد) عمله السردي، فنجده دائما يعمد إلى تقديم إشارات جغرافية، تعمل على تنشيط وتوسيع خيال القارئ، والتي تكون الفضاء الجغرافي الذي يتجسد من خلاله حيز الرحلة."[1] فعجائبية المكان تتمثل في تجاوز المعنى المادي له، إلى معنى له ارتباط بخيال الإنسان، حيث يصبح له أبعاد جديدة من اللاواقع واللامعتاد.

وفي التحفة نجد الغرناطي يطارد كل إشاعة أسطورية، تتعلق ببقعة جغرافية ويوردها في كتابه، كما عمد إلى وصف الأمكنة وصفا دقيقا، استطاع من خلاله أن يجعل القارئ ينتقل معه من مكان إلى مكان، ويتمثل صورتها كأنها أمامه، ومن أمثلة دلك حديثه عن مدينة حمص، إذ يقول:" في مدينة حمص في بلاد كرمان، لا يمطر المطر فيها أبدا، إلا خارج البلدة، حتى إن الرجل يخرج يده من سورها إلى خارجها، فتبتل يده ولا يبتل ساعده وبقرية من قرى كرمان، حصن عادي ليس فيه فأر، فإذا دخل إليه فأر مات، ولا يوجد بمدينة حمص أيضا عقرب، ويقال إن الطلسم في قلعتها، ويقال إن حمص لا يدخل في مدينتها حية، وانه متى ذرّ عليها من ترابها شيء ماتت لوقتها، وكذلك ليس بها بعوض ولا بق، وان الرجل متى اخرج يده من السور وقع عليه البعوض، فإذا ادخل يده طار عنه."[2]

[1] – منصور نعيمة. جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة. مرجع سابق. ص87.

[2] – التحفة. ص73.

ويضيف" أن من أقام ببلاد التبت، اعتراه سرور لا يدري ما سببه، ولا يزال مبتسما ضاحكا حتى يخرج منها، وان الميت إذا مات فيها، لا يدخل على أهله كرب ولا حزن، كما يلحق غيرهم عند موت محبوب أو فوت مطلوب."[1]

ويذكر أن في طرس*" ألان الله الحجارة كما ألان لداود عليه السلام الحديد، حتى إنهم يتخذون منها ما يتخذ الناس من الزجاج، كالأقداح والكيزان، وغيرها من الأواني."[2]

ويورد في موضع آخر أن في" أصبهان* حجرها الكحل، وذبابها النحل، وحشيشها الزعفران، وفي فارس إن لشيراز*نعمة طيبة ليس فيما عداها من كور الفرس، وفي الأهواز*قصبتها مخصوصة بالحمّى، ولا يكاد يوجد بها وجنة حمراء لصبي أو لصبية وربما لمست القابلة المولود فتجده محموما، ومن عجيب خصائصها أن جميع أصناف الطيب تستحيل رائحتها فيها الاستحالة الشديدة، حتى لا يوجد لها رائحة، وهذا من كثرة الرطوبة وغلظ الهواء والبخارات الفاسدة."[3]

وهاهو في موضع آخر يصف بعض البلدان والمدن وصفا عجيبا، فيقول:" الهند بحرها دّر، وجبلها ياقوت، وشجرها عطر، وكرمان* ماءها وشل، وثمرها دقل* وعودها

---

[1] – التحفة. ص77.

*: كذا في جميع النسخ. ولكنه يبدوا أن الكلمة محرف عن طوس. كما وردت في نهاية الإرب (364/1). ينظر تحفة الألباب. ص74.

[2] – المصدر نفسه. ص 74.

*: اصبهان أو اصفهان: مدينة في إيران بين شيراز وطهران. ذكر ابن حوقل أنها تقع في نهاية الجبال وأنها عبارة عن مدينتين. وينتمي إليها العديد من العلماء والأدباء وكانت مشهورة بتجارة الحرير.

*: شيراز: مدينة في جنوب غربي إيران. قاعدة إقليم فارس. فتحها أبو موسى الأشعري وعثمان ابن العاص في أواخر عهد عثمان رضي الله عنهم. ذكرها ابن حوقل وقال: إنها مدينة محدثة بناها محمد ابن القاسم ابن أبي عقيل وهو ابن عم الحجاج ابن يوسف. والمدينة ذات مياه وبساتين. ينظر: تحفة الألباب. ص75.

*: الأهواز: مدينة في غرب إيران على الخليج. غنية بالنفط. ينظر: تحفة الألباب. ص 75.

[3] – المصر نفسه. ص75.

*: كرمان: إقليم قديم في إيران يقع جنوب غربي صحراء لوط بن مكران وفارس. ينظر: تحفة الألباب. ص 78.

بهل، وخراسان* ماؤها جامد، وعودها جاهد، وعمان حرّها شديد وصيدها عتيد، والبحرين كناسة بين المصريين، والبصرة ماؤها ملح، وحربها صلح، مأوى كل تاجر وطريق كل عابر والكوفة ارتفعت عن حرّ البحرين، وسلمت عن بلاد الشام، وواسط بين جنة وحماة، والشام عروس بين نساء جلوس، ومصر هواؤها راكد، وحرّها متزايد، تطول الأعمار فيها وتسود الأبشار."[1]

كما ينقل عن المسعودي حديثه عن منارة الإسكندرية، إذ يقول:" وحكي عن المسعودي أن هذه المنارة، كانت في وسط الإسكندرية، وأنها تعدّ من بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالمة من ملوك اليونان بعد الإسكندر، لما كان بينهم وبين الروم من الحروب في البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا، وجعلوا في أعلاها مرآة من الأحجار المشفة ليشاهد مراكب البحر إذا أقبلت من رومية."[2]

ومن عجائب الأمكنة يذكر مدينة بلغار، فيقول:"سمعت ببلغار وهي مدينة في آخر بلاد الإسلام في الشمال، هي فوق سخسين بأربعين يوما، يكون النهار في الصيف عشرين ساعة، واللّيل أربع ساعات، ويكون اللّيل في الشتاء عشرين ساعة، والنهار أربع ساعات ويشتد البرد فيها، حتى إذا مات لأحد ميت لا يقدر أن يدفنه ستة شهور لأن الأرض تصير كالحديد، ولا يمكن أن يحفر فيها قبر."[3]

*: الدقل: الصغير الضعيف. أثمر النخل الدقل: أردأ التمر. ينظر: تحفة الألباب. ص 78.

* :خراسان: بلاد قديمة في آسيا. يحدها نهر امودار با شمالا وشرقا. وجبال هند وكوش جنوبا ومناطق فارس غربا. وخراسان اليوم تتقاسمه اليوم إيران الشمالية والشرقية (نيسابور) وأفغانستان الشمالية (هراة ، وبلخ) ومقاطعة تركمستان السوفيتية (سابقا) (مرو). ينسب إلى خراسان العديد من الأعلام أشهرهم القائد العباسي أبو المسلم الخراساني .ينظر: تحفة الألباب. ص 78.

[1] – التحفة. ص78.

[2] – المصدر نفسه. ص97.

[3] – المصدر نفسه. ص138.

ويحدثنا عن بحر الخزر وما فيه من جزائر كثيرة ومخيفة:" فيه جزيرة تعمرها الجن يسمع الناس أصواتهم، ولا يسكنها شيء من الحيوان، وجزيرة أيضا يسكنها الجان مملوءة من أنواع الحيّات، والطير يفرّخ بين الحيّات ولا تضر فراخ الطير."[1]

ويذكر جزيرة أخرى، فيقول:" وهناك جزيرة سوداء كالقير، يخرج منها ماء مرّ مالح منتن، ويخرج مع ذلك الماء حجارة مربعة كأنها الصفر الأصفر الجيد يأخذها الناس مثاقيل للموازين، وفي مقابلة هذه الجزيرة على جانب البحر، ارض سوداء كالقير* ينبت فيها الحشيش، وفيها أنواع من الوحوش، ويخرج من تلك الأرض السوداء القير و النفط الأسود والأبيض، وهي قريبة من باكو* من عمل شروان، ويظهر في اللّيل في تلك الأرض والجزيرة نار مثل نار الكبريت زرقاء تشتعل ولا تحرق الحشيش، ولا حرارة لها، وإذا نزل عليها المطر زادت واشتعلت وعلت، يراها الناس من بعيد، وليس لها في النهار اثر."[2]

و الحديث عن عجيب الأمكنة يقتضي الحديث عن عجيب العادات والتقاليد، وبما أن الغرناطي يعدّ" واحدا من الرحّالة الذين زاروا بيئات مكانية متباينة، تنوعت فيه صورة البشر، وتعددت دياناتهم واتجاهاتهم الفكرية."[3] نجده نقل في رحلته الكثير من عادات وتقاليد الشعوب التي نزل في بلادها، وأجاد وصفها بحكم خبرته الطويلة وعمق تجربته، حيث عاش الأوضاع البشرية في تلك المناطق المختلفة.

تناول الغرناطي كثيرا من أحوال أهل رومية في رحلته، ووصف جوانبهم الحياتية وأنهم أصحاب تجارة مزدهرة، حيث وصف أسواقهم العظيمة:" وفيها من الأسواق أمر عظيم،

---

[1] – التحفة. ص134.

* : القير: النفط .

*: باكو: أهم الثغور على شاطئ بحر قزوين. وهي ألان عاصمة جمهورية أذربيجان. ينظر: تحفة الألباب. ص68.

[2] – المصدر نفسه. ص135.

[3] – بلال سالم الهروط. صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية. مرجع سابق. ص68.

كل سوق بطول المدينة، وبعضها بعرض المدينة، كل سوق عشرة فراسخ يباع في كل سوق أنواع الأمتعة ، والمأكولات من الفواكه والأخبار والطبايخ، وأنواع الحلاوات والأنقال، ومن آخر يوم السبت إلى صبيحة يوم الاثنين، يدخلون الكنائس ويشتغلون بالصّلاة والقربان (...) وإذا أراد الملك أن يخرج إلى خارج المدينة، يخرج الخدم بين يديه على أيديهم أطباق الذهب، فيها الدنانير ينشرونها عن يمين الملك ويساره، فيميل الناس إلى اخذ الذهب، ويتركون للملك الطريق حتى يذهب فيه."[1]

وفي موضع آخر نجد الغرناطي قد أحسن وصف أهل الأندلس، إذ قال:" وأهلها عرب في الأنساب، والمعزة والنفة وفصاحة اللّسان، وطيب النفوس، وإباء الضيم وقلة احتمال الذّل، والنزاهة عن الخضوع، هنديون في فرط عنايتهم بالعلوم، وحبهم لها، بغداديون في طرافتهم ونظافتهم، ورقة أخلاقهم ونباهتهم ولطافة أذهانهم ودرّة أفكارهم، نبطيون في استنباطهم المياه، ومعاناتهم للغراسة وتركيب الشجر، صينيون في إتقان الصنائع العملية، وإحكام المهن الصورية، تركيون في معاناة الحروب، ومعالجة آلامها، والنظر في مهمتها."[2]

ويورد الغرناطي على لسان احد الأعراب، سأله الحجّاج عن طبائع أهل البلاد وأخلاقهم، فقال:" أهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة، وأعجزهم عنها، رجالها حفاة ونساؤها كساة عراة، وأهل اليمن أهل سمع وطاعة ولزوم الجماعة، وأهل عمان عرب استنبطوا، وأهل البحرين نبط* استعربوا، وأهل اليمامة أهل جزاء واختلاف في الرأي، وأهل فارس* أهل باس

---

[1] – التحفة. ص67.

[2] – المصدر نفسه. ص72.

* : النبط: قبائل بدوية كانت لا تزال تعيش حياة الرحّل، حتى القرن الرابع قبل الميلاد.ثم استوطنوا جنوب الأردن واتخذوا مدينة البتراء عاصمة لهم وتحصنوا بها. تدل الآثار الباقية من البتراء أن النبط كانت لهم حضارة مزدهرة. ينظر: تحفة الألباب. ص84.

* : فارس: إيران حاليا.

شديد وعار عتيد، وأهل العراق ابحث الناس عن صغيرة واسبقهم للكبيرة، وأهل الجزيرة أشجع الفرسان، واقتل للأقران، وأهل الشام أطوعهم للمخلوق وأعصاهم للخالق، وأهل مصر عبيد لمن غلب، أكيس الناس صغارا، واجهلهم كبارا."[1]

وفي موضع آخر يذكر امة يقال لها "زرية كازان" وتعني صناع الدروع، لهم عادة غريبة في التعامل مع موتاهم، حيث يقول:"...وإذا مات لهم ميت، إن كان رجلا سلموه لرجال في بيوت تحت الأرض، يقطعون أعضاء الميت، وينقون عظامهم من اللّحم والمخ ويجمعون لحمه فيطعمونه للغربان السود، ويقفون بالقسي يمنعون غيرهم من الطيران، يأكلون من لحمه شيئا، وان كانت امرأة سلموها إلى رجال آخرين، يخرجون عظامها ويطعمون للحدأة، ويقفون بالنشاب يمنعون غيرها أن يدنو من لحمها."[2]

إن هذا الوصف العجائبي للأمكنة والناس في رحلة الغرناطي، جعل مادتها في وصف الشعوب وذكر عاداتهم وتقاليدهم مادة دسمة للباحثين والدارسين، تتجاوز الواقع إلى الأسطورة وتتراوح بين الحقيقة والخيال.

.في وصف عجيب البنيان:

من خلال تصفحنا لنص الرحلة، وجدنا أن للغرناطي اهتماما بعجيب الأبنية والعمران، حيث يصف المساجد والكنائس والقصور والأبراج، وجعلها في باب أطلق عليه عنوان "عجائب البلدان وغرائب" وقد بدا بوصف مدينة ارم ذات العماد التي ذكرت في القرآن الكريم، والمنسوب بناؤها إلى شداد بن عاد، فيروي الغرناطي كيف بناها وما انفق في سبيل ذلك، وان شداد بعد أن سمع عن جنة الله" أمر ألف أمير من جبابرة قوم عاد، أن يخرجوا ويطلبوا أرضا واسعة كثيرة المياه، طيبة الهواء بعيدة من الجبال، ليبني فيها مدينة من

[1] – التحفة. ص84.

[2] – المصدر نفسه. ص 111/110.

ذهب."[1] ثم يستمر في وصف بنيان المدينة" ثم بنا داخل المدينة ثلاثمائة ألف قصر، على كل قصر آلف عمود من أنواع الزبرجد والياقوت ومعقودة بالذهب، طول كل عمود مائة ذراع، ومدّ على الأعمدة ألواح ذهب، وبني على الألواح قصور الذهب ، من فوقها غرف من ذهب، ومن فوق الغرف غرف أيضا مزين بأنواع اليواقيت والجواهر، وجعل على شطوط تلك الأنهار أنواع النخيل والأشجار، جذوعها من الذهب، وأوراقها وثمارها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلئ، وجعل للمدينة أربعة أبواب، كل باب علوّه مائة ذراع في عرض عشرين ذراعا، كل ذلك بالذهب مزينا بأنواع الجواهر، وجعل حصباء المدينة من أنواع الجواهر، ثم بنا حول المدينة مائة ألف منارة، كل منارة طولها خمسمائة ذراع من ذهب مزينة بأنواع اليواقيت والجواهر، في كل وجه من وجوه المدينة خمسة وعشرون ألف منارة من ذهب برسم الحراس الذين يحرسون المدينة، فتم بنيانها في خمسمائة عام."[2]

وفي موضع آخر يصف مدينة النحاس، التي تخطف كل من حاول النظر إلى داخلها، وتجره إلى الداخل فلا يعود أبدا، والتي بنتها الجن لسليمان عليه السلام، والتي تزعم الحكايات أن موسى بن نصير، قد سار للأندلس للتعرف عليها، حيث يقول : " في فيافي الأندلس بالمغرب الأقصى قريبا من بحر الظلمات، حدّث الهقل بن زيّاد* أن عبد الملك بن مروان بلغه خبر مدينة النحاس* أنها بالأندلس، فكتب إلى عامله بالمغرب انه قد بلغني خبر مدينة النحاس(...) فاذهب إليها واكتب إلي بما تعانيه من العجائب(...) فسافر على غير

---

[1] – التحفة. ص55.

[2] – المصدر نفسه. ص57/56.

*: هقل بن زياد السكسكي بالولاء. أبو عبد الله كاتب الإمام الأوزعي. من حفاظ الحديث ولد في دمشق وأقام في بيروت توفي في سنة 179هـ. اسمه الحقيقي محمد وقيل عبد الله. وهقل لقب تغلّب عليه. انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي (طبعة حيدر اباد262/1). ينظر: تحفة الألباب. ص59.

*: ويقال لها أيضا مدينة الصقر. ذكرها ابن الفقيه وخصص لها القزويني أكثر من ثلاث صفحات في آثار العباد. والهمذاني يسميها مدينة البهت. وهي مدينة مشهورة الذكر. قد سوّدت كثيرا من الورق ونالت اهتمام علماء لم يكن من المتصور أن يغيب عن أذهانهم الطابع الخرافي الذي يسودهم. ينظر: تحفة الألباب. ص60/59.

طريق مسلوك مدة أربعين يوم، حتى اشرف على ارض واسعة كثيرة المياه والعيون والأشجار والوحوش والطيور والحشائش والأزهار، وبدا لهم سور مدينة النحاس، كأن أيدي المخلوقين لم تصنعه، فهالهم منظرها."[1] ومن غرائب هذه المدينة انه لا يوجد لها باب" فأرسل قائدا من قواده في ألف فارس وأمره أن يدور حول المدينة و ينظر هل يدري لها بابا، أو يشاهد حولها أحدا من الناس، فسار ذلك القائد وغاب عن الأمير ستة أيام، فلما كان في اليوم السابع، جاء ذلك القائد مع أصحابه، وذكر انه سار حول المدينة ستة أيام ولم يشاهد حولها من الآدميين أحدا، ولم يجد للمدينة بابا."[2]

وفي موضع آخر يصف مدينة رومية العظمى*، ويجعل لها خارطة جغرافية أسطورية، فيقول:" وهي مدينة عجيبة عظيمة، دورها عشرون فرسخا وعليها ثمانية أسوار من الصخر عالية في الهواء، لها باب واحد لان جوانبها الثلاثة يحيط بها البحر الأسود، والجانب الواحد إلى البر، وهي في جبل داخل البحر، وقد بنتها الجن لسليمان عليه السلام حفروا ذلك الجبل حتى بنو المدينة في الجبل، والبحر يعلوا على المدينة، وحول المدينة نهر من النحاس عمقه أربعون ذراعا، وعرضه أربعون ذراعا، وعليه ألواح من النحاس طول كل لوح خمسون ذراعا في عرض عشرين ذراعا في غلظ ذراعين، فيما يقال والله اعلم، وجعلوا من أول المدينة إلى آخرها أعمدة من النحاس صفين وعلى الأعمدة نهر من النحاس يدخل ماء البحر، وتدخل السفن فيه بأثقالها وهذا من عجائب الدنيا، وفيها فيما يقال كنيسة من ذهب عظيمة، طولها ألف ذراع في عرض خمسمائة، ويقال إن في الكنيسة من الصفر

[1] – التحفة. ص60/59.

[2] – المصدر نفسه. ص61/60.

*: عالج الجغرافيون العرب مدينة رومية بالوصف. يسميها الإدريسي روما والجدير بالذكر أن دورن كان قد تعرف في مبدآ الأمر على رومية في بيزنطة ثم بعد أن استرشد بمعجم البلدان للإدريسي، استقر رأيه على أن رومية الكتاب العرب هي روما، لكن كراتشكوفسكي يصر على القول بان المقصود برومية عند الجغرافيين العرب هي القسطنطينية. ينظر: تحفة الألباب. ص68.

الأصفر الذي يشبه الذهب، وفيها من الكنائس العظام والبناء العجيب الذي لم يشاهد الناس مثله قط."[1] ونلاحظ أن هذا الوصف يوحي بأن مخيلة الغرناطي السردية، تمتلك قدرة فائقة على نسج الفضاءات ومنحها شرعية الحياة الجغرافية الوهمية.

وهاهو في هذا الموضع يصف صنم قادس الذي بناه ذو القرنين، فيقول" وفي مجمع البحرين* جزيرة بني فيها منارة من الصخر الأسود الذي لا يعمل الحديد فيه شيئا البتة، طولها مقدار مائة ذراع أو أكثر، مربعة الأسفل مدورة الأعلى مصمتة ليس لها باب ، وعل رأسها صورة آدمي اسود كأنه زنجي قد التحف بثوب عجيب، لا يقدر احد أن يلتحف مثله وقد اضطبع بالثوب واخرج منكبه الأيمن، وذراعه ويده ممدودة يشير بإصبعه المسبحة إلى ناحية المغرب واليسرى في البحر الأسود، وكأنه قابض على المفتاح، وذلك البحر أبدا فيه أمواج كالجبال، لا تقدر سفينة أن تدخل فيه."[2]

ويستمر الغرناطي في وصفه لعجائب البنيان، مما يودع في النفس نوازع المتابعة والاهتمام، فنجده يذكر سدّ يأجوج ومأجوج ويصفه، فيقول" ومن المباني العظيمة سدّ ذي القرنين الذي بناه على يأجوج ومأجوج، وصفته ما ذكره ابن خرداذية، أن مكانه جبل أملس مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا، وفي جانب الوادي عضادتان مبنيتان عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا، وكل ذلك مبني بلبن من حديد معيب في نحاس في سمك خمسين ذراعا، وعلى العضادتين درواند حديد طرفاه في العضادتين، طوله مائة وعشرون ذراعا، وفوق الدروند بناء بتلك اللبن من الحديد المغيبة في النحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مد البصر، وفوق ذلك شرفات من حديد، في طول كل شرفة قرنان، ينثني كل واحد منهما إلى صاحبه، وبين العضّادتين باب من حديد بمصرعين كل مصرع خمسون ذراعا في

---

[1] –التحفة. ص68.

*: مضيق جبل طارق الذي يتراوح عرضه بين 12و20كم. ينظر: تحفة الألباب. ص118.

[2] – المصدر نفسه. ص72/71.

خمسة اذرع، وعلى الباب قفل طوله سبعة اذرع في غلظ باع في الاستدارة، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعا، وعتبة الباب عشرة اذرع بسط مائة ذراع سوى تحت العضادتين، يقال إن آلات البناء التي بني بها هذا السدّ، وهي مغاريف وبقية لبن كل ذلك من حديد، وان كل لبنة ذراع ونصف في مثل ذلك، في سمك شبر قد الصق الصدا بعضها ببعض، وبنى قناطر سدّ البر من ارض شروان إلى بلاد اللآن* وبينهما مائة فرسخ وصل فيه بين شعاب جبل القبق* وهو جبل عظيم، قد اشتمل على اثنين وسبعين امة، لكل امة لسان وملك، لا يعرف بعضهم بعضا لكثرة أشجاره، وعظم صخره وأحجاره، وتسلسل مياهه وأنهاره، يكون مسافته طولا وعرضا نحو الشهرين، ومبدأ السور من جوف الخزر على مسافة ميل مارا إلى البر، ثم يمر كما قلنا إلى ان يصل بقلعة طبرستان، بناه بالصخر والحديد والرصاص على ازقاق* البقر المنفوخة، فلما ارتفع البناء نزلت تلك الازقاق إلى أن استقرت في قعر البحر، فغاصت الرجال إليها فشقتها وتمكن البناء على الأرض، وجعل بين كل ثلاثة أميال أو اقل أو أكثر، باب من حديد على حساب الطريق الذي جعل من اجله الباب، وبني عليه حصنا وأسكن فيه من يحفظ ذلك الباب ويحرسه."[1]

*: اللآن: اسم قبيلة إيرانية، وبعض الكتاب العرب يرسمون هذا الاسم: العلان، وابن سعيد ينسب إليهم قلعة العلان التي هي إحدى قلاع العالم، يقول عنها ياقوت بأنها بلاد واسعة وأمة كثيرة وفيهم مسلمون والغالب عليهم النصرانية، يذكر الإدريسي مدينة باسم اللآنية ويقول إنها تبعد عن مدينة استبرية بأربعة وعشرين ميلا، ومدينة أشكالة التي تبعد عن البحر بستة أميال. ينظر: تحفة الألباب. ص88.

*: القبق: ترد برسوم مختلفة عند الجغرافيين العرب: الفتق- القبق- القبج- القبخ- والقبق أصحها، وهي سلسلة الجبال الروسية التي تمتد في مساحة 1200 كلم، بين البحر الأسود وبحر قزوين (جبال القوقاز) وهذا الاسم قد يعمم ليشمل سلسلة الجبال التي تمتد في جنوب تبليس و التي لا تزال تسمى القوقاز الصغير. ينظر: تحفة الألباب . ص88.

*: الزق: وعاء من جلد يملأ بالماء أو اللّبن أو الخمر ونحوها. جمع: أزقاق، زقاق. ينظر: القاموس الالكتروني. المعاني. عربي _ عربي. نقلا عن معجم الغني. مرجع سابق.

[1] – التحفة. ص88/89.

ومن المباني العجيبة كنيسة القليس* التي كانت باليمن، يقول في وصفها:" وهي كنيسة بناها أبرهة* بصنعاء، وأراد أن يصرف إليها حج العرب، ونقل إليها الرخام المجزّع، والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس* وكان منها على فرسخ، وكان أراد أن يرفع من بنائها حتى يشرف منها على عدن."[1]

ويذكر أن للفرس مباني عجيبة منها:" قصر بهرام جور، قرب همدان، وهو مبني بالحجارة المهندسة لا تتبين فصولها، حتى يتوهم من رآه انه حجر واحد، على كل ركن منه صورة جارية قد برزت من نفس الحجارة."[2]

كما يذكر الأهرامات فيقول:" ومن بناء مصر أيضا الأهرام التي بأعمال مصر، وهي أهرام كثيرة، وأعظمهما اللّذان بجهة مصر بقرب النيل(...) وراء هذه الأهرام بعض العقلاء فقال:كل بناء يخاف عليه من الدهر إلا هذا، فإني أخاف على الدهر منه." [3]

ويضيف وصفا لضياء الدين بن الأثير*:" ولقد شاهدت منها بلدا يشهد لفضلها على البلاد، ووجدته وهو المصر وما عاداه وهو السواد(...) وبها من عجائب الدنيا والآثار ما لا

*: في اغلب الروايات أن القليس كنيسة، ولكنها في رواية ياقوت مدينة بناها أبرهة بصنعاء لم يرى الناس أحسن منها. ينظر: تحفة الألباب. ص91.

*: أبرهة بن الصباح الحميري، لم يعرف تاريخ ميلاده أو وفاته، وهو غير أبرهة صاحب الفيل، تقول الرواية انه ولّي ملك اليمن بعد حسان بن عمرو، وان حكمه قد استمر 73 سنة. ينظر: تحفة الألباب. ص91.

*: بلقيس: ملكة سبأ القديمة (انظر سورة النمل. الآيات20-45) وهي بنت الهدهاد بن شرحبيل ولّيت الملك بعد أبيها واتخذت سبأ عاصمة لها، وظهر سليمان بن داوود النبي في الجزيرة التي كان سكانها يعبدون الشمس، وتزوجها بعد ان أسلمت وأقامت معه سبع سنين إلا أشهرا فماتت ودفنها بتدّمر. ينظر: تحفة الألباب. ص92.

[1] – التحفة. ص92/91.

[2] – المصدر نفسه. ص93.

[3] – المصدر نفسه. ص95/94.

*: يجب أن نتذكر أن ضياء الدين بن الأثير ولد في 558هـ أي أن سنه لم تكن تتجاوز 6او7 سنوات عند وفاة أبي حامد سنة565هـ وبالتالي فان الإحالة إلى رسالته في تحفة الألباب أمر لا يمكن تفسيره إلا على اعتباره من حشو النساخ المتأخرين. ينظر: تحفة الألباب. ص96.

تصفه العين، فضلا عن الأخبار، من ذلك الهرمين الذي هرم الدهر وهما لا يهرمان، فقد اختص كل منهما بعظم البناء وسعة الفناء، وبلغا من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير على ظهر سرطان من نحاس، وفيها ثلاث مائة بيت تصعد الدابة لحملها في سائر البيوت من داخلها، وللبيوت طاقات يبصر منها إلى البحر، وبين أهل التاريخ خلاف في من بناها، فزعم قوم أنها من بناء الإسكندر بن فليبس المقدوني، وزعم آخرون أنها من بناء دلوكا ملكة مصر."[1] ولا تنقضي عجائب مصر، فيعرج بنا إلى منارة الإسكندرية، ويقول في وصفها:" وكان علوها أكثر من ثلاثمائة ذراع، مبنية بالصخر المنحوت مربعة الأسفل، وفوق المنارة الربعة، منارة مثمنة مبنية بالآجر، وفوق المنارة المثمنة منارة مدورة، وكانت كلها مبنية بالصخر المنحوت، كل صخرة أكثر من مائتي من، وكان عليها مرآة من الحديد الصيني، عرضها سبعة اذرع، كانوا يرون فيها جميع من يخرج في البحر من جميع بلاد الروم، فإن كانوا أعداء تركوهم حتى يقربوا من الإسكندرية، فإذا مالت الشمس للغروب أداروا المرآة في مقابلة الشمس، واستقبلوا بها السفن حتى يقع شعاع المرآة بضوء الشمس على السفن فتحرق وهي في البحر، ويهلك كل من فيها، وكانوا يؤدون الخراج ليأمنوا بذلك من إحراق تلك المرآة لسفنهم."[2]

ونقل أبو حامد أن في مصر منارة أخرى غير هذه المنارة" منارة مربعة، علّوها مقدار مائة ذراع من الرخام المجزّع الصافي، قطعة واحدة محددة الرأس على هذه الصورة على قاعدة من الرخام كالبيت، وعلى رأسه غشاء من صفر كالذهب حسنا، فيه صورة إنسان على كرسي مستقبل مشرق الشمس، ويخرج من تحت ذلك الغشاء الصفر ماء يجري على ذلك الحجر إلى أن ينتهي مقدار عشرة أذرع في رؤية العين، وقد نبت من ذلك الماء على ذلك

[1] – التحفة. ص96/97.

[2] – المصدر نفسه. ص98.

الحجر شيء اخضر كالطحلب، يراه الناس ولا يبرح لمعان الماء على تلك الخضرة أبدا، ينقطع أبدا، ولا يصل منه شيء إلى الأرض، وهي من العجائب."[1]

إن هذه الأبنية التي تزخر بها مصر، تحمل العديد من الخصائص الحضارية التي تحكي قصة عظيمة من الفن والإبداع، التي كان يتميز بها الأقوام السابقة، وهذا ليس خاصا بمصر فحسب، فهاهو الغرناطي في موضع آخر يصف حصن بلعبك ومدينة تدّمر ومدينة اللّجاة، فيقول:" وفي الشام حصن بعلبك على أعمدة من الصخر، كل عمود كقطعة جبل، وعليها قلعة مبنية بحجارة مربعة، الحجر مائة ذراع وأكثر واقل، قد رفعت في الهواء مما صنعه الجن لسليمان.

وفي مدينة تدمر*من عجائب البنيان أمر عجيب كثير، وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا، فيها من عجائب البنيان والبيوت والغرف والمخازن والماء الجاري في كل طريق من طرقها، حدثني بذلك جماعة من أهلها ممن دخلوها وشاهدوها.

وعند حوران*مدينة عظيمة يقال لها اللّجاة فيها من البنيان ما تعجز عن صفته السن العقلاء،كل دار مبنية من الصخر المنحوت، وليس في الدار خشبة واحدة، أبوابها وسقوفها وغرفها وبيوتها ن الصخر المنحوت الذي لا يستطاع أن يعمل من الخشب على إحكامها، في كل دار بئر منفردة ورحى، وكل دار منفردة لا تلاصقها دار أخرى، كل دار كالقلعة الحصينة، إذا خاف آهل تلك الرساتيق من الإفرنج دخلوا فيها، كل إنسان بدار بجميع عماله

[1] – التحفة. ص 102/101.

*: تدمر أو عروس الصحراء، مدينة في قلب الصحراء السورية، كانت تقع على طريق القوافل بين آسيا وموانئ البحر الأبيض المتوسط، استوطنتها قبائل عربية أنشأت دولة بلغت أوج عظمتها في أوائل التاريخ الميلادي، وعرفت ازدهارا خاصا في عهد الملكة زنوبيا، فتحها خالد بن الوليد في سنة 12هـ ، كانت حضارتها مزيجا من عناصر يونانية ورومانية وشرقية، ينظر: تحفة الألباب. ص106.

*: هضبة ترتفع جنوبي دمشق تربتها بركانية خصبة اشتهرت بزراعة القمح في العصور القديمة، دخلت في جند دمشق بعد الفتح الإسلامي سنة 13هـ وحوران الآن محافظة في سورية. ينظر: تحفة الألباب. ص106.

وخبله وغنمه وبقره ويغلق بابه، ويجعل خلف باب الدار حجارة لا يقدر احد أن يفتح ذلك الباب لإحكامه، وهو من الصخر أقوى من الرخام، فيها أكثر من مائتي ألف دار فيما يقال، وقد سمعت ذلك من جماعة من أهل حوران لا يدرى من بناها، وتسميها العرب اللّجاة لأنهم يلتجئون إليها عند الخوف."[1]

كما يذكر في صفة إيوان كسرى، فيقول:" ومن عجائب البنيان إيوان كسرى*مبني بالآجر والجبص عرضه ستة وثلاثون خطوة، وطوله أربع وستون خطوة، وعلو أزجه سبعون ذراعا، والى أعلى الشرفات مائة وخمسون ذراعا، وقد انشق أعلاه عرضا وسقطت منه أربع عشرة شرافة يوم ولد النبي صلى الله عليه وسلم."[2]

ومما سبق نلاحظ أن الغرناطي قد أورد في رحلته، بعض الأماكن ذات الطابع التاريخي، كمدينة اِرم ذات العماد والأهرامات ومنارة الإسكندرية، في إشارة إلى الشواهد المادية للحضارات السابقة كالمدن والقصور، وما بقي منها من آثار عمرانية.

.في وصف عجائب البحار ومخلوقاته:

لقد جعل الغرناطي البحر من اكبر محاور كتابه باعتباره من الفضاءات العجائبية البحرية، كما لم يغفل عن ذكر حيوانات وأشياء يجد فيها غرابة،وذلك لعدم رؤية لها في بلده أو في بلد أخر، فيطلق العنان لحاسته الوصفية. والعجيب هو قدرة الغرناطي على تحويل ما هو عجيب إلى حقيقة قابلة للتصديق من خلاله وصفه، بطريقة سردية تحملك على التصديق بما يجري رغم ابتعاده عن الواقع ، واقترابه من الأسطوري والخيالي.

---

[1] – التحفة. ص107/106.

*: إيوان : جمع إيوانات وأواوين، كلمة معربة عن الفارسية ومعناها عند الفرس: قاعة الاستقبال في عهد الملوك الساسانيين، وهذه القاعة عبارة عن بهو كبير مربع تحيط به الجدران من ثلاث جهات فقط، وأما الجهة الرابعة فكانت مفتوحة لا جدار لها، وبقايا إيوان كسرى(قصر طيفسون) باقية في بقعة مقفرة جنوبي بغداد، ينظر: تحفة الألباب. ص107.

[2] – التحفة. ص107.

هاهو يتحدث عن مشاهداته فيما لقيه من صفة البحار وعجائب مخلوقاته فيقول:" قد سئل عليه السلام عن المد والجزر، فقال: ملك على قاموس البحر إذا وضع رجله فيه فاض، وإذا رفعه غاض، ويخرج من البحر الأسود، وإنما يعرف بالأسود لان ماءه في رؤية العين، كالحبر الأسود، فإذا اخذ الإنسان منه في يده فهو ابيض صاف، إلا انه أمرّ من الصبر، مالح شديد الملوحة، فإذا صار ذلك الماء في بحر الروم، تراه اخضر كالزنجبار، والله اعلم لأي شي في ذلك."[1] ثم يضيف" وكذلك يوجد أيضا في بحر الهند خليج احمر كالدم، وبحر اصفر كالذهب، وخليج ابيض كاللّبن، وخليج ازرق كالنيل، والله اعلم من أي شيء تتغير هذه الألوان في هذه المواضع، والماء نفسه ابيض صاف كسائر المياه."[2]

ثم ينتقل إلى وصف مخلوقاته العجيبة، ويذكر قصة سمكة البغل التي حجمها مثل الجبل العظيم، فيقول:" ..ولقد كنت في مجمع البحرين في سفينة، فخرجت سمكة كالبحر، مثل الجبل العظيم، فصاحت صيحة لم اسمع قط أوحش منها، ولا أهول ولا أقوى منها فكاد أن ينخلع قلبي، وسقطت على وجهي أنا وغيري، وألقت نفسها في البحر، واضرب البحر علينا وعظمت أمواجه وخفنا الغرق حتى نجّانا الله عزّوجل، وسمعت الملاحين يقولون: هذه السمكة تعرف بالبغل."[3]

ويذكر سمكة أخرى" ورأيت في البحر أيضا سمكة كالجبل يبدوا رأسها وظهرها وذنبها، ومن رأسها إلى ذنبها عظام سود كأسنان المنشار، كل عظم في رؤية العين أكثر من ذراعين، وكان بيننا وبينها في البحر أكثر من فرسخ، فسمعت الملاحين يقولون: هذه السمكة تعرف بالمنشار وإذا صادفت أسفل السفينة قسمتها نصفين."[4]

---

[1] – التحفة. ص119.

[2] – المصدر نفسه. ص نفسها.

[3] – المصدر نفسه. 120/119.

[4] – المصدر نفسه. ص120.

وكي لا يتسلل الملل إلى القارئ، نجد الغرناطي ينتقل من حكاية لأخرى في لمح البصر، مختزلا كل المسافات، هاهو يذكر عجيبة من عجائب البحر، فيقول:" ولقد رأيت يوما في البحر وأنا على صخرة والماء تحت رجلي، قد خرج ذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع، تطلب أن تقبض على رجل، فبعدت منها وأخرجت الحية رأسها، كأنه رأس أرنب من تحت ذلك الحجر(...)وإذا بها خمس حيات ورأس واحد، فعجبت من ذلك فسألت من كان هناك عن اسم هذه الحية، فقالوا: هذه تعرف بأم الحيات، وذكروا أنها تقبض على الآدمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتأكله."[1] كما يضيف" ولقد رأيت يوما وأنا على جانب البحر، وقد جزر الماء بعد الظهر، وانكشف جبل في البحر قريب من الساحل، فرأيت على صخرة من ذلك الجبل عددا من النارنج الطري الأحمر(...) فذهبت إليه فقبضت منها واحدة، فإذا هي ملتصقة بالحجر، وإذا بها حيوان يضطرب في يدي ويتحرك فتركته، ونظرت إليه إذا فمه في موضع العرجون الذي يعلق النارنج، وهو ثقب فيه خضرة، كما يكون النارنج وهو يتحرك ويفتح فمه."[2]

ويستمر في وصف عجائب مخلوقات البحار التي لا تنتهي، وكما يقول: (في البحر عجائب المخلوقات ما ليس له شبيه) ومن هذه المخلوقات سمك صغير لا يموت ولو قطع ألف قطعة" وفي بحر الروم سمك صغير يكون كالذراع يسمى بُلبْ، إذا اصطادوه ومسكوه وبقي في أيديهم ما شاء الله لا يموت، ولا يزال يتحرك ويضطرب فيقطعونه قطعا ما بين صغار وكبار، وهو يثب ويضطرب(...) ويحتاجون إذا طبخوه أن يثقلوا بحديد ثقيل أو صخرة ثقيلة حتى ينضج، ومهما ينضج لا يموت ولو قطع ألف قطعة، وهو من عجائب المخلوقات."[3]

---

[1] – التحفة. ص 121.

[2] – المصدر نفسه. 122.

[3] – المصدر نفسه. ص125.

ويتحدث عن تنين البحر ويصفه" في البحر سبع من السمك يعرف بالتنين اسود طويل كالثعبان العظيم، احمر العينين، له أنياب كأسنّة الرماح، اشر من اللّوسج* واشد وأقوى عدوانا، بحيث يفر اللّوسج منه، فينا يقال والله اعلم، وهو يثب من البحر على من كان في الشاطئ فيفترسه، وهو آفة عظيمة، وإذا اخذ وهو صغير ووقع في شبكة قتلوه، ويطعمون لحمه لمن به الفالج، ولمن غلب عليه البرد والرطوبة، فيستريح ويبرأ لحرارة لحمه."[1]

ومن ذلك أيضا حديثه عن عروس البحر، فيقول:" ولقد حدثني بعض التجار أنها خرجت إليهم سنة من السنين، سمكة عظيمة فثقبوا أذنها(...) وجعلوا فيها الحبال وجروها فانتفخت أذنها، وحرج من أذنها جارية حسناء، جميلة بيضاء، سوداء الشعر، حمراء الخدين عجزاء، من أحسن ما يكون النساء، ومن سرتها إلى نصف ساقها جلد ابيض كالثوب خلقة يتصل بجسدها، يستر حيها وجسدها، كالإزار دائر عليها فأخذها الرجال إلى البر وهي تلطم وجهها وتعض ذراعها وثديها، وتصيح وتفعل كما تفعل النساء في الدنيا حتى ماتت في أيديهم، فتبارك الله ما أكثر عجائبه وخلقه، وما لم نشاهده أكثر، وما لم نسمع به أكثر."[2]

وكما ختم الغرناطي قوله (ما لم نشاهده أكثر، وما لم نسمع به أكثر) فعجائب البحر لا تنتهي ولا تنقضي، وهذا غيض من فيض، وقد أجاد أبو حامد الوصف حتى كأننا معه في كل خطوة خطاها، نندهش لاندهاشه، ونتعجب لتعجبه، بل ويثير فينا عواطف تجعلنا نرغب في ركوب البحر وخوض الغمار حتى نواكب تجربته الفريدة.

*: اللّوسج: بحسب أوصافه التي ذكرت في موضع أخر من الكتاب يظهر انه سمك القرش.

[1] – التحفة. ص127.

[2] – المصدر نفسه. ص 139.

خاتمـــــــــــــة

خاتمة:

حاولنا في هذا البحث أن نسلط الضوء على نتاج تراثي فريد من نوعه، ممثلا في أدبيات رحلة الغرناطي التي جسدها في تحفته، وهو الكتاب الذي ألفه بعد أن تجاوز الثمانين من عمره، جامعا بين دفتيه خلاصة نصف قرن ممن عاينه خلال ترحاله في بلاد الله الواسعة، وبعد التقلب داخل أبنية هذا النص السردي، وتجوالنا في عوالمه العجائبية، استخلصنا النتائج التالية:

ـ السرد ميدان رحب وواسع، تشترك فيه مجالات عديدة في الدراسات الأدبية، كما يعدّ نقطة ارتكاز تلتقي فيها كثير من النصوص المتنوعة.

ـ إن مصطلح العجائبي من المصطلحات التي اهتم بها النقاد، سواء كانوا عرب أو غرب، ويعدّ من أهم العناصر السردية التي تستعمل كفن قائم بذاته، أو لأغراض جمالية.

ـ بحسب المفهوم الأدبي للعجائبي نجده يعني كل شيء غير مألوف ومعتاد، يحدث حيرةً وترددًا لدى المتلقي، وينتقل به إلى عوالم مجهولة.

ـ يعتبر العجائبي من أهم الأشكال السردية، التي لها دور بارز في بناء النص الرحلي، والذي يهدف لتحقيق غايات معينة، أهمها الإمتاع والتسلية، وإعادة صياغة تجارب الناس وآمالهم وأحلامهم، وتصوير عاداتهم وتقاليدهم والتعبير عنها بأسلوب سحري عجيب محبب إلى النفوس.

ـ إن أدب الرحلة جنس أدبي قائم بذاته، لكنه منفتح على كافة الأنواع السردية الأخرى، ويمكن القول انه خلق أدبي تتقاطع حدوده مع نصوص أخرى، وذلك لكونه نص يمتص من الموضوعات الفكرية والمعرفية التي يخترقها، كالجغرافيا والتاريخ والأدب، وعلم الاجتماع...الخ، حيث يتميز بالغنى والشمولية.

ـ تنوعت مجالات العجائبي في أدب الرحلة، فنجد الرحّالة يوظف منها ما يتناسب مع الظواهر العجائبية التي يشاهدونها، فنجد الوصف العجائبي، الحدث العجائبي والشخصية العجائبية والأمكنة العجائبية، وهذه السمات هي التي مكنت النص الرحلي من جذب القارئ وإبهاره.

ـ يعدّ الوصف العجائبي وصفا خاصا، لأنه يتعلق بوصف أشياء غريبة وعوالم جديدة من جهة، أو وصف عوالم واقعية بأوصاف عجيبة كالأمكنة والشخصيات.

ـ يحمل النص الرحلي العديد من المضامين الانتروبولوجية، وذلك بسبب نشوئه بين المجتمعات والحضارات التي تترجم عنها عاداتها وتقاليدها، كما استطاع ان يرسم لنا تنوع المعالم الحضارية للبلدان والأمم.

ـ ومن خلال هذا جاءت تحفة الغرناطي حافلة بقدرات سردية استمدت قوتها من الموارد العجائبية، حيث نجد عالم الرحلة يتفاوت بين الواقع والخيال، والى جانب نقله للبنى الجغرافية للاماكن التي زارها، نجده يجمع فضاءات أسطورية مثيرة، ذات بعد عجائبي خاصة تلك الأصقاع البعيدة، والتي تصعب فيها التواصل والمعاينة فيكثر حولها التخييل وتصبح فضاءات قائمة على العجيب والمدهش والخارق.

ـ إن تمظهر العجائبي في رحلة الغرناطي يؤكد تمكن الرحّالة من التقنيات الخاصة بخلق العجيب، وتفوقه في ميدان السرد حيث أجاد وصف كثير من الغرائب والعجائب، المستمدة من طبيعة المجتمعات التي احتك بها ، والذي يؤمن بمعتقدات معينة وله عادات وتقاليد خاصة.

ـ لقد استطاع الغرناطي بقدراته السردية ذات الطابع العجائبي، أن يجعل المتلقي مبدعا ثانيا لنص الرحلة، وذلك باستدعاء مخيلته في رسم صور ومشاهد وشخصيات وأحداث حسب استعداده النفسي وخلفياته الإيديولوجية، ليصبح العجائبي وسيلة للتعبير عنها.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد أسهمنا في تسليط الضوء على تجليات العجائبي في السرد الحكائي لأدب الرحلة على مستوى بنيتها، ونستسمحكم عذرا إن لم نوفق في التعمق في بعض جوانب الموضوع، أو إغفال جانب من جوانبه، ولهذه الأسباب ندعو للبحث في هذا المجال لما له من أهمية واتساع، لاستدراك ما لم نصل إليه، ولفتح آفاق جديدة في البحث، نقترح توصيات، منها دراسة تقنيات السرد في الرحلة بشكل أعمق، وإمكانية دراسة تداخل الأجناس الأدبية كميزة في أدب الرحلة، أو أثر رحلة الغرناطي في الآداب الغربية، وما مدى تأثر رواد فن القصة والرواية الحديثة في أوروبا بتحفة الألباب، وهذا يحتاج إلى تدقيق علمي يستدعي تقنيات الدرس المقارن، وغيرها، وهذا ما يؤشر إلى أن رحلة الغرناطي عالم رحب يجعل الدارس أمام خيارات متعددة لدراسة أي جانب يريده.

الملاحق

الملحق 1:

نبذة عن صاحب الرحلة:

أبو حامد الغرناطي.(473_565هـ) (1080_1169م)

"واحد من كبار رحالة القرن السادس الهجري "الثاني عشر الميلادي" ويكاد في نظرنا يبلغ مكانة ابن بطوطة، وان لم ينل من التعريف والدرس ما يحقق له الشهرة اللائقة برجل من عشاق السفر،الراغب فيه لذاته ابتغاء كشف العالم ومشاهدة المعالم، وتحصيل المعرفة وإثراء التجربة باقتحام المخاطر، والدخول إلى المجاهل.

ووضع كتابين على درجة كبيرة من الأهمية: هما (تحفة الألباب ونخبة الأعجاب) و(المعرب من عجائب المغرب)."[1]

" أبو حامد الغرناطي هو: محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن أبي الربيع بن محمد بن علي بن عبد الصمد، المازني القيسي الأندلسي الإقليشي الغرناطي الأصل، أبو حامد، وأبو عبد الله، وأبو محمد، وأبو بكر، ونحن نعرف ماذكره أبو حامد عن نفسه في التحفة: انه أندلسي غرناطي، وانه أقام في مدينة إقليش، وان جده الرابع كان يقيم بالقيروان قبل أن ترحل الأسرة إلى الأندلس، وانه ينتمي إلى القيسية وهم قبيل ظهرت قوته على المسرح السياسي بوضوح في الأندلس، ولاسيما في بداية الخلافة ولدى مقدم عبد الرحمان الداخل إلى الأندلس."[2]

" ولد أبو حامد في مدينة غرناطة التي نسب إليها وذلك سنة 473هـ، وفيها نشأ وتلقى تعليمه حتى بلغ سن النضج."[3]

---

[1] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص355.

[2] – أبو حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مرجع سابق. ص07.

[3] – أبو حامد الغرناطي. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. مرجع سابق. ص11.

" درس الفقه واللغة والأدب، ولما بلغ مبلغ الفتوة والشباب، وشرع فكره في النضوج، تحول لممارسة أحوال وطنه، وساءه أن بلاده وقعت في أيدي النصارى، وتساءل عن أحوال المسلمين في غير وطنه، وارتأى أن السبيل إلى معرفة ذلك لا يكون إلا بالسفر والمشاهدة، ولم يلبث أن اعدّ نفسه لذلك بعد أن أدرك بمرور الأيام أن الارتحال أصبح شاغله الأول والأخير، بوصله طريق المعرفة."[1]

" غادر بلاد الأندلس حوالي عام 500هـ (1106م) وكان في السابعة والعشرين من عمره ولم يعد إليها أبدا، لا عن كراهية أو فرار، ولكن عن ولع بالأسفار وطي القفار واكتساب المعارف، وحتى يومه الأخير كان لا يزال يأمل في الترحال وقد جاوز السبعين،

انفق منها خمسة وستين يطوف بالبلدان تحركه شهوة عميقة وقوية للتأمل في خلق الله، تدعمه ملكات عظيمة، منها: دقة الملاحظة ورغبة جامحة للعمل والحركة، وهمة عالية وحيوية ونشاط، مقبل على الحياة آخذ بكل متعها، يعيش بالطول والعرض ولا يتخلى في الوقت ذاته عن عبادة ربه، والدعوة لدينه القويم وانتهاج صراطه المستقيم."[2]

" قال عنه الصفدي: وكان نشيطا فاضلا أديبا، صنف كتابا في العجايب التي شاهدها في المغرب، وقال المقري: وكان حافظا عالما أديبا، وتكلم فيه الحافظ بن عساكر وزنّه بالكذب، وقال بن النجار: ما علمته إلا أمينا.

[1] – فؤاد قنديل. أدب الرحلة في التراث العربي. مرجع سابق. ص356.

[2] – المرجع نفسه. ص556.

ومن شعره:

العلم في القلب ليس العلم في الكتب

فلا تكن مغرما باللّهو واللّعب

فأحفظه وافهمه واعلمه كي تفوز به

فالعلم لا يجتبى إلا مع التعب."[1]

" ويعتقد أن رحلته الأولى كانت إلى مصر، حيث قصد الإسكندرية عام508هـ، وانتهى به المطاف في دمشق حيث توفي فيها سنة565هـ، وقد نيف على التسعين."[2]

[1] – ينظر: راغب السرجاني. أبو حامد الغرناطي. مرجع سابق.

[2] – ينظر: أبو حامد الغرناطي. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. ص12.

الملحق 2:

قصة مسجد عفان

وفي وسط مصر (أ) مسجد فيه قبر لرجل يقال له عفان[270]، وهو بين طريقين في ركن وله شبابيك من حديد كل من مر به من الناس، يقول رحمك الله، يا عفان، فأعجبني ذلك وسألت علماء مصر عنه، فقالوا هذا عفان، كان رجلا خياطا، فاشترى يوما غلاما زنجيا شابا فجعل يخدمه، فلما كان يوما أمره عفان أن يسجر التنور ليخبز فيه، فسجر التنور وشهقت النار في التنور، ففرح الأسود، فطرب لشهيق النار، ومضى إلى ثياب عفان، التي كان يتجمل بها فألقاها في التنور وعمامته وكل ما كان له، فرأى عفان ما صنع العبد، فرزقه الله صبرا وحلما، فأخرج العبد وزوده وأعتقه وأشهد على عتقه، ورجع إلى البيت، وقد سمع الناس بما فعل الزنجي، وما فعل عفان في حقه، فوقع لعفان في قلوب الناس محبة لما يريده الله تعالى به من الخير، فجاء إليه رجل من كبار التجار، وقال إن لي بضاعة تصلح للهند، وقد اخترت أن تذهب بها، فما ربحت، فلك كذا وكذا، واتفقا وجهزه ذلك التاجر، وخرج عفان ومعه أموال كثيرة لذلك الرجل، ووصل إلى عدن وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم ركب في البحر وذهب إلى بلاد الهند، وباع ماله الذي كان معه وربح ثم انصرف، ونزل السفينة، فعصفت الريح عليهم فألقت السفينة إلى بلاد الزنج، فخاف التجار على أنفسهم واضطروا إلى الدخول خوفا من الغرق.

فلما وصلوا إلى البر استقبلهم الزنوج، وجعلوا يأخذون رجلا رجلا يحملونه إلى الملك، ويردونه إلى السفينة، ولا يكلمه الملك بشيء حتى أخذوا عفان فأدخل على الملك.

فلما رآه الملك قام إليه وقبل يديه ورجليه ووقف بين يديه، ففزع عفان. فقال الملك للترجمان : قل له، الست عثمان الخياط بمصر الذي اشتريت غلاما زنجيا وأحرق ثيابك وأعتقته وزودته، ولم تضربه ولم تؤذه، وقد أساء إليك ؟

فقال عفان : نعم أيها الملك. فقال الملك : أنا عبدك الذي أعتقتني، وأعطاني الله هذه النعمة ببركة إحسانك إلي، وجميع هذه المملكة لك. فاجلس عندي وأنا ملك هؤلاء وأنت ملك علي، فحمد الله تعالى عفان، وقال : أيها الملك أنت لي كالولد، وبلادكم لا تصلح لي لكثرة الحر وعدم الجنس.

فأمر الملك له بسفينة وحمل معه من الأموال ما لا نهاية له ووهب الجميع له وبعث معه من عبيده من يوصله إلى بلاده، وخرج بها لا يدري نهايته.

وكان عفان رحمه الله لا يرد سائلا وعمل من الدور والخانات والدكاكين والحمامات كثيرا، وأوقف الكل على الفقراء المسلمين، وهذه داره جعل فيها هذا المسجد، وحفر فيها قبره، وكان يصلي في قبره كل ليلة، وجميع أمواله الآن وقفٌ على قبره، في كل يوم اثنين وخميس وجمعة يحضرون الوكلاء ومعهم الثياب للرجال والصبيان والبنات والدراهم، ويدخلون المسجد ويأتون الفقراء من خارج الشبابيك الحديدية التي جعلت في حيطان المسجد، فيقسمون على الفقراء أموالا كثيرة، وكل من عبر عليه يقول : رحمك الله يا عفان، كل يوم وكل ليلة آلاف من النساء والرجال والصبيان، وكنت أقف عند قبره وأرى كثرة من يدعو له بالرحمة كل ساعة، حتى الصبيان الصغار، أبناء سنتين وخمس سنين، فكنت أتعجب مما سهل الله له من الخير حيا وميتا، ولقد حدثتُ عنه بمصر رجلا من أهل المغرب وصل إلى مصر وأراد الحج وأن يجاور بمكة، وكان عنده آلاف من الأموال، فجاء إلى إمام جامع عمرو بن العاص، وكان رجلا صالحا من العلماء، فقال له ذلك التاجر :

- يا سيدي، جئت إليك في حاجة لك فيها ثواب ولي فيها معونة، فأسألك أن تقضي حاجتي ولا تردني. فقال : أفعل إن شاء الله فقال :

- إني أريد الذهاب إلى الحج ومجاورة بيت الله تعالى، وعندي شيء من المال أودعه عندك حتى أرجع من الحج، فإني أخاف عليه إن كان معي.

فأخذه الفقيه ووضعه في مخزنه، وذهب صاحب المال إلى الحج وكان للفقيه الإمام بنات كبار ولم يكن له مال يجهزهم به للاكفاء.

فقالت له زوجته إن هذا المال وديعة عندك تشري به عقودا وحليا لبناتك ونجهزهن به ويدخلن عند أكفائهن وتستريح من همهن. فإذا حصلن عند الأزواج[271] وجاء صاحب المال جمعنا ذلك الحلي والجوهر وجعلناه ذهبا وبقيت بناتك عند أزواجهن.

فما زالت به حتى فعل وزوج جميع بناته، وأخرج مع كل واحدة جملة الحلي والجواهر.

فلما كان بعد ثلاث سنين، جاء صاحب المال فدخل على الإمام في الجامع وسلم عليه ورحب به، وقال له :

ـ وديعتك غداً تأخذها.

فقال، متى شئت.

فرجع الإمام إلى داره مهموما، وقال لأهله :

ـ أما أنا فإني غدا في السحر، أخرج من مصر وأذهب إلى البادية بحيث لا يسمع لي خبر، فإن صاحب المال قد جاء وأنا أستحيي من الفضيحة.

فلما كان بالليل خرج الفقيه وأراد الذهاب على وجهه هاربا فجاء إلى درب عفان، وهو مغلق، ورآى مسجد عفان مفتوحا فدخل في المسجد، فخرج عفان من داره متنكرا، فدخل المسجد فجلس إليه وسلم عليه وكل واحد منهما لا يعرف صاحبه، فسأله عفان، من هو وما حاله ؟ فقال له الإمام، ومن أنت ؟ فقال عفان، رجل غريب.

فاطمأن الإمام وقال له، أنا إمام جامع عمرو بن العاص، وقد أصابتني مصيبة، ووصف له حاله، و[قال] قد عزمت أن أفر من هذه البلدة ولا أعود إليها خوفا من العار.

فقال عفان، أو يسهل الله تعالى لي ولك، خير من هذه ثم قام فخرج وأغلق باب المسجد من الخارج حتى لا يخرج الإمام، ودخل داره وأخرج على رؤوس العبيد أكياسا فيها من الذهب مثل ما كان عند الإمام وديعة، وقال للإمام :

ـ خذ هذا قرضا من عندي تؤديه إلى صاحب المال إلى أن تبيع أنت حلي بناتك بحيث لا يشعر أحد.

ففرح الإمام ورجع إلى داره والمال يحمل بين يديه، وهو يحمد الله تعالى ويدعو لعفان.

فلما كان بالغداة جاء المودع، صاحب المال، فأعطاه إياه، فقال:

ـ أيها الإمام هذا ليس عين وديعتي، وإن كان الوزن (أ) والعدد واحدا، ولكنني لا آخذه حتى تخبرني بما غيرت مالي وماذا ألجأك إلى هذا.

فأخبره بالقصة على وجهها، فقال المودع:

ـ أيها الشيخ: أما الوديعة فحق الله تعالى، كنت أطلب له مستحقا، وقد وجدتك، فالمال حقك، ولا شكر إلا لله تعالى.

ففرح الرجل وأهل بيته، وحمدوا الله تعالى، فخرج الإمام وحمل المال إلى عفان وأخبره بالخبر. فقال له عفان، الحمد لله الذي أراح سرك ووسع عليك. إن هذا المال لم أخرجه إليك ليرجع إلي، وإنما أخرجه هبة لك لأجل الله تعالى.

فصار الإمام من الأغنياء ببركة عفان، وكم لعفان مثل هذا وأكثر منه، سرا وعلانية!

وأمرُ عفان مشهور بمصر وفي جميع المغرب على ألسن المسافرين، و﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾[272]، فهو ميت خير من الملوك الأحياء الذين يبخلون بالدنيا على أنفسهم، حكم الله لنا ولجميع المسلمين بالخير في الدنيا والآخرة.

قصة قبر علي رضي الله عنه

ونختم هذا الكتاب بحكاية عجيبة في أمر أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وهي من أعجب الحكايات في قصة قبره عليه السلام،

وظهوره بعد الثلاثين وخمسمائة في ناحية بلخ[273] في قرية كبيرة يقال لها الخير[274].

رأى جماعة من أهلها الصالحين النبي ﷺ في النوم وهو يقول لهم، ابن عمي، علي بن أبي طالب في هذا الموضع، ويشير لهم إلى موضع قريب من القرية. وتواترت هذه الرؤيا عندهم، وكثر من رأى هذه الرؤيا حتى بلغوا أكثر من أربعمائة، كل واحد منهم من الصالحين من قرية الخير، ومن مواضع أخرى، فذهبوا إلى قماج، صاحب بلخ في زمان سنجر[275]، وحدثوه بما رأوا وما سمعوا من النبي ﷺ، فجمع العلماء وعرض عليهم ما قالوا وما شهدوا به.

فقال العلماء، قال عليه السلام : «من رآني رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي».

فقال فقيه منهم أيها الأمير، هذا محال، ورسول الله، ﷺ، لا يقول المحال. علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قتل بالكوفة [و] اختلف الناس في قبره، فمنهم من قال دفن في جامع الكوفة، تحت المنارة، ومنهم من قال دفن في كوخ زادوه (أ)، ومنهم من قال دفن بالغري (ب)، وعليه بني المشهد، فكيف يجيء إلى بلخ، مسيرة ألف فرسخ، وأكثر هذا محال.

فانصرف الناس، فلما كان نصف الليل خرج ذلك الفقيه من داره ومعه أولاده وأصحابه، وهو يصيح، إلى أن جاء إلى دار الأمير قماج، وهو يصيح ويستغيث، فأدخل خبره على قماج، فأمر بإدخاله عليه، فقال له، ما أصابك ؟

فقال، أيها الأمير، أنظر إلى وجهي وجسدي، فنظروا إليه بالشمع، فإذا بوجهه قد أسود و[كذلك] جميع جسده من كثرة ما ضرب ولطم ولكم، وجعل يبكي.

فقال له الأمير قماج، أيها الشيخ الإمام، من فعل بك هذا ؟ قال، كنت نائما في بيتي، فجاء إلي جماعة من العلويين لهم ظفائر وشعور، وعليهم ثياب بيض، شباب وكهول وشيوخ وصبيان، وقالوا : أنت الذي تكذب رسول الله ﷺ، وتقول إن أمير المؤمنين ليس ها هنا ؟ فأخذوني وسحبوني، وهم يسبونني، حتى أوقفوني على قبر مفتوح فرأيت أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب جالسا في القبر أبيض الرأس واللحية، وقالوا : أليس هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ؟ ثم جعلوا يضربونني بأرجلهم وأيديهم حتى أيقنت بالموت، فقلت يا أمير المؤمنين إرحمني، فأشار إليهم علي عليه السلام بيده، فتركوني، فاستيقظت وجميع أعضائي كأنها مكسرة، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما قلته.

فلما رأى الأمير ذلك، خرج بجميع عسكره إلى تلك القرية وحفروا في الموضع الذي أمرهم به رسول الله ﷺ فوجدوا القبر عليه لوحان من رخام، وأمير المؤمنين في داخله، لم يذهب منه شيء البتة، وكفنه صحيح، فرآه الأمير وجميع العلماء، ووجدوا تحت خده لبنة حمراء فيها مكتوب بالأصبع، هذا محب النبي علي كرم الله وجهه، فبني عليه مشهد عظيم، أحسن وأبهى من مشهد الغرى، وتلك اللبنة في كيس من ديباج معلقة في محراب المشهد، وأكثر أولئك الذين رأوا المنام بعد في الحياة. والناس يزورونه من جميع بلاد خراسان وبلخ وسمرقند. ومن عجائب الأمور أن يظهر قبر أمير المؤمنين في ناحية بلخ، ولا يعرف به إلا بعد الخمسمائة.

قائمـــة المصـــادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

. **القران الكريم** (مصحف المدينة للنشر الحاسوبي. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. المدينة المنورة. المملكة العربية السعودية.)

_ المصادر:

. الغرناطي أبو حامد. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. تح: إسماعيل العربي. منشورات دار الأفاق الجديدة. المغرب. ط1. 1993م.

. الغرناطي أبو حامد. رحلة الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب ورحلته إلى أوربة وآسية. تح وتق: قاسم وهب. دار السويدي للنشر والتوزيع. أبو ظبي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط1. 2003م.

. ابن بطوطة محمد بن عبد الله. رحلة ابن بطوطة. تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دار إحياء العلوم. بيروت. لبنان. ط2. 1877م.

. القزويني محمد زكريا. عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات. تح: فاروق اسعد. دار الشرق العربي. منشورات دار الأفاق. بيروت لبنان. ط2. 1977م.

_ المعاجم والقواميس والموسوعات والتفاسير:

. ابن فارس أبي الحسن احمد بن زكريا. مجمل اللغة. تح: زهير عبد المحسن سلطان. مؤسسة الرسالة. ج3. ط2. 1996م.

. ابن فارس أبي الحسن احمد بن زكريا. مقاييس اللغة. تح وض: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. سوريا. ج2. ط2. 1979م.

. ابن كثير أبي الفدا إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. تح: سامي بن محمد اسلامه. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. ط2.ج6. 1999م.

. البستاني بطرس. محيط المحيط. مكتبة لبنان. بيروت. نسخة الكترونية بدون دار نشر.

. الرازي محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح. ض وتح: مصطفى ديب البغا. دار الهدى. الجزائر. ط4. 1990م.

. الزبيدي محمد مرتضى بن محمد الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. دار الكتب العلمية. بيروت. ط1. ج2. 2007م.

. الصابوني. صفوة التفسير. نسخة الكترونية من موسوعة شريط. الإصدار الأول.

. الفيروز أبادي. القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة. بيروت. لبنان. ط8. 2005م.

. علوش سعيد. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. الدار البيضاء. ط1. 1985م.

. مجمع اللغة العربية. المكتبة الإسلامية. تركيا. دت. دط.

. معجم المعاني. عربي- عربي. نسخة الكترونية. .www.almaany.com

. وجدي فريد. دائرة معارف القرن العشرين. دار المعرفة. بيروت. لبنان. دط. دت.

_ المراجع العربية:

. الانباري إبراهيم. التعريفات. دار الكتاب العربي. بيروت. ط1. 1405هـ.

. البازغي سعد. الرويلي ميجان. دليل الناقد الأدبي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2002م.

. الزمرلي فوزي. شعرية الرواية العربية. مركز النشر الجامعي. جامعة منوبة. تونس. 2002م.

. الصلابي علي محمد. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. شخصيته وعصره. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. ط1. 2005م.

. العطار سليمان. الخيال عند العربي (النظرية والمجالات). دار الثقافة للنشر والتوزيع. القاهرة. دط. 1991م.

. الكردي عبد الرحيم. الراوي والنص القصصي. دار النشر للجامعات. القاهرة. دط. 1996م.

. الموافي ناصر. الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري. مكتبة الوفاء. القاهرة. ط1. 1995م.

. الموسري جاسم. مخابئ الخيال المنذهل. عجائبي ألف ليلة وليلة. ضمن كتاب: في المتخيل العربي. إعداد مجموعة من الباحثين. منشورات المهرجان الدولي للزيتونة. تونس. 1995م.

. بوعزة محمد. تحليل النص السردي. تقنيات ومفاهيم. الدار العربية للعلوم. منشورات الاختلاف. ط1. 2010م.

. حسني محمود. أدب الرحلة عند العرب. رحلات أمين الريحاني أنموذجا. الوكالة العربية للنشر والتوزيع. دط. 1995م.

. حليفي شعيب. الرحلة في الأدب العربي. دار القرويين. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 2003م.

. حليفي شعيب. شعرية الرواية الفانتاستيكية. منشورات الاختلاف. دار الأمان. الرباط. المغرب.

. خصباك شاكر. في الجغرافية العربية. دار الحداثة. بيروت. لبنان. ط1. 1988م.

. ذاكر عبد النبي. عتبات الكتابة. مقاربة لميثاق المحكي الرحلي العربي. منشورات مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي. المغرب. دط. 1996م.

. زيتوني لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية. دار النهار للنشر. مكتبة بيروت. لبنان. ط1. 2002م.

. ستار ناهضة. بنية السرد في القصص الصوفي. المكونات والوظائف والتقنيات. اتحاد كتاب العرب. دمشق. 2003م.

. سيزا قاسم. بناء الرواية (دراسة مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ). دار التنوير للطباعة والنشر. بيروت. لبنان. ط1. 1985م.

. شريبط احمد شريبط. تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (1985-1945م). من منشورات اتحاد الكتاب العرب. دط. 1998م.

. عبيدي مهدي. جماليات المكان في ثلاثية حنا مينة (حكاية بحار- الدقل- المرفأ البعيد). منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. وزارة الثقافة. دمشق. ط1. 2011م.

. علم المعاني. القصة القصيرة المعاصرة في الخليج العربي. مؤسسة العربي. بيروت. لبنان. ط1. 2010م.

. علي جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. دار العلم. بيروت. لبنان. ج8. دط. 1970م.

. علي خليل لؤي. تلقي العجائبي في النقد الأدبي الحديث(المصطلح والمفهوم). مراجعة علي أبو زيد. هيئة الموسوعة العربية. دمشق. ط1. 2005م.

. كيليطو عبد الفتاح. الحكاية والتأويل. دراسات في السرد العربي. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 1997م.

. كيليطو عبد الفتاح. المقامات والسرد والأنساق الثقافية. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. ط1. 1993م.

. محمد حسين حسني. أدب الرحلة عند العرب. دار الأندلس. بيروت. لبنان. ط1. 1983م.

. محمد فهيم حسين. أدب الرحلات. سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. عالم المعرفة. الكويت.1989م.

. مؤدن عبد الرحيم. الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر. مستويات السرد. دار السويدي للنشر والتوزيع. الأردن. ط1. 2006م.

. يقطين سعيد. السرد العربي مفاهيم وتجليات. رؤية للنشر والتوزيع. القاهرة. ط1. 2006م.

. يقطين سعيد. تحليل الخطاب الروائي. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء.ط3. 1997م.

_ المراجع الأجنبية المترجمة للعربية:

. ايخنياوم بوريس وآخرون. نظرية المنهج الشكلي. نصوص الشكلانيين الروس. الشركة المغربية للناشرين المتحدين. مؤسسة الأبحاث العربية. ط1. 1982م.

. تودوروف تزفيتان. الشعرية. تر: شكري المدحوت ورجاء بن سلامة. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء. المغرب. ط2. 1990م.

. تودوروف تزفيتان. مدخل إلى الأدب العجائبي. تر: الصديق بوعلام. دار الكلام. الرباط. ط1. 1993م.

. جيرار جنيت. حدود السرد. تر: بلعيسى بوحمالة. ضمن كتاب: طرائق تحليل السرد. منشورات اتحاد كتاب المغرب. ط1. 1992م.

. جيرار جنيت. خطاب الحكاية. تر: محمد معتصم. منشورات الاختلاف. الجزائر. ط1. 2000م.

. جيرالد برنس. قاموس السرديات. تر:السيد إمام. ميريث للنشر والمعلومات. القاهرة. ط1. 2003م.

. جيينز بروكمير. السرد والهوية. دراسات في السيرة الذاتية والذات الثقافية. تر: عبد المقصود عبد الكريم. المركز القومي للترجمة. القاهرة. ط1. 2015م.

. غاستون باشلار. جدلية الزمن. تر: خليل احمد خليل. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ط3. 1992م.

. فلاديمير بروب. مورفولوجيا القصة. تر: عبد الكريم حسن. شراع للدراسات والنشر والتوزيع. دمشق. ط1. 1996م.

. يان مانفريد. علم السرد. مدخل إلى نظرية السرد. تر: أماني أبو رحمة. دار نينوى. دمشق. سوريا. ط1. 2011م.

_ الرسائل الجامعية:

. الهروط بلال سالم. صورة الأخر في أدب الرحلات الأندلسية. رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها. جامعة مؤتة. الأردن. 2008م.

. بن جامع سميرة. العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة. مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي القديم. جامعة الحاج لخضر. باتنة. الجزائر. 2010م.

. بولعسل كمال. سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. شعبة السرد العربي القديم. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر. 2006م.

. روباش جميلة. أدب الرحلة في المغرب العربي. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب الجزائري القديم. جامعة محمد خيضر. بسكرة. الجزائر. 2015م.

. عطية فاطمة الزهراء. العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي ومنامات الوهراني. رسالة مقدمة لنيل شهادة العلوم في الأدب واللغة العربية. جامعة محمد خيضر. بسكرة. الجزائر. 2015م.

. علاوي خامسة. العجائبية في أدب الرحلات. رحلة ابن فضلان نموذجا. رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي. جامعة منتوري. قسنطينة. الجزائر. 2005م.

. لونانسة لبنى. النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين. مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب المغربي القديم. جامعة الحاج لخضر. باتنة. الجزائر. 2014م.

. مجول وردة. تجليات العجائبي في السرد الحكائي للحكاية الشعبية (حكاية وش من خضرة من واد سوف) انموذجا. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي. جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي. الجزائر. 2015م.

. منصور نعيمة. جماليات الخطاب في رحلة ابن بطوطة. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها. جامعة السانيا. وهران. الجزائر. 2011م.

_ المجلات والدوريات:

. ألجيار مدحت. أدب الرحلة. مداخل لقيمة وتوظيفه. مجلة الرواية. قضايا وأفاق. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. العدد13. دط. دت.

. الرقيب أشواق فهد. تجليات العجائبي في أدب الرحلات. المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث. جامعة الطائف. المملكة العربية السعودية. العدد1. مج5. مارس2019م.

. العتيبي خديجة هلال. العجائبي في الرحلة العربية. جامعة أبو ظبي. الإمارات العربية. العدد23. 2016م.

. المسعودي حمادي. العجيب في النصوص الدينية. مجلة العرب والفكر العالمي. مركز الإنماء القومي. بيروت. عدد14/13. 1991م.

. أميد جيهان بخت ليلي. آليات التوثيق في رحلات أبي حامد الغرناطي. تفة الألباب ونخبة الأعجاب. مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها. نصف سنوية دولية محكمة. السنة10. العدد30. 2020م.

. بخالد فتيحة. تقاطعات العجائبي والغرائبي في أدب الرحلات. مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية. مج5. العدد11. 2017م.

. بطرس إنجيل. الرحلات في الأدب الانجليزي. مجلة الهلال. ج7. 1975م.

. بوغنوط روفيا. فتنة السرد وصورة الأخر في رحلة أبي حامد الغرناطي. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب. مجلة إشكالات. جامعة العربي بن مهيدي. أم البواقي. الجزائر. مج7. العدد1. 2018م.

. تودوروف تزفيتان. موضوعات العجائبي(مدخل نظري). تر: الصديق بوعلام. مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية. فاس. المغرب. العدد1. 1987م.

. حليفي شعيب. مكونات السرد الفانتاستيكي. مجلة فصول. ج4. مج11. العدد4. 1993م.

. خلف محمود حسين. بنية السرد في أدب الرحلات الأندلسية. تحفة الألباب ونخبة الأعجاب لأبي حامد الغرناطي. دراسة تحليلية. مجلة الدراسات التاريخية والحضارية. مج4. العدد 31. 2017م.

. علي لؤي خليل. تجنيس العجائبي. مجلة علامات. مج15 العدد75.

_ المواقع الالكترونية:

. السرجاني راغب. أبو حامد الغرناطي. الأعلام. علماء الحياة. قصة الإسلام. www.islamstory.com .م2017/06/18

. بن كراد سعيد. جولات ايكو السردية. موقع سعيد بن كراد http://Saidbengrad

الفهـــــــرس

الفهرس

المقدمة	**أ**
مدخل	**09**
الفصل الأول: السرد العجائبي	**16**
أولا: السرد	**17**
1_ السرد لغة	**18**
2_ السرد اصطلاحا	**21**
ثانيا: العجائبي	**24**
1_ العجائبي لغة	**24**
2_ العجائبي اصطلاحا	**26**
3_المفهوم الأدبي للعجائبي	**28**
ثالثا: السرد العجائبي	**35**
الفصل الثاني: العجائبي في أدب الرحلة	**37**
أولا: أدب الرحلة مفهوما وتجنيسا	**38**
1_ تعريف أدب الرحلة	**39**
ـ أدب الرحلة لغة	**39**
ـ الرحلة في القرآن الكريم	**40**
ـ أدب الرحلة اصطلاحا	**41**
2_ تجنيس أدب الرحلة	**43**
ثانيا: أهمية الرحلة ووظائفها	**48**
ثالثا: العجائبي في أدب الرحلة	**49**
الفصل الثالث: تجليات السردية والعجائبية في رحلة الغرناطي	**56**

أولا: مسار الرحلة وأهميتها	**57**
1_ مسار الرحلة	**57**
2_ أهمية الرحلة وأثرها	**62**
3_ وصف كتاب " تحفة الألباب ونخبة الأعجاب "	**71**
4_ التحفة في عيون العرب والمستشرقين	**74**
ثانيا: الرحلة الغرناطية سرديا وعجائبيا	**79**
1_الرحلة الغرناطية سرديا	**86**
_ تحليل قصة مسجد عفان	**86**
_ تحليل قصة قبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه	**107**
2_ الرحلة الغرناطية عجائبيا	**121**
الوصف العجائبي	**121**
عجائبية الشخصيات	**135**
عجائبية الأحداث	**138**
عجائبية الأمكنة	**143**
خاتمة	**160**
الملحـق	**164**
قائمة المصادر والمراجع	**175**